صاحب الجلالة الملك محمد السادس خلال تدشين القاعة الرياضية المغلقة ببركان
« صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن »، الإثنين 18 يونيو 2012

« وتتجلى الجدية كذلك، في مجال الإبداع والابتكار، الذي يتميز به الشباب المغربي، في مختلف المجالات.

...

والجدية كمنهج متكامل تقتضي ربط ممارسة المسؤولية بالمحاسبة، وإشاعة قيم الحكامة والعمل والاستحقاق وتكافؤ الفرص

...

في ظل ما يعرفه العالم من اهتزاز في منظومة القيم والمرجعيات ، وتداخل العديد من الأزمات، فإننا في أشد الحاجة إلى التشبث بالجدية، بمعناها المغربي الأصيل:

- أولاً : في التمسك بالقيم الدينية والوطنية، وبشعارنا الخالد : الله - الوطن - الملك ؛
- ثانيًا : في التشبث بالوحدة الوطنية والترابية للبلاد ؛
- ثالثًا : في صيانة الروابط الاجتماعية والعائلية من أجل مجتمع متضامن ومتماسك ؛
- رابعًا : في مواصلة مسارنا التنموي، من أجل تحقيق التقدم الاقتصادي، وتعزيز العدالة الاجتماعية والمجالية. »

مقتطفات من الخطاب الملكي لصاحب الجلالة الملك محمد السادس،
ألقيت بمناسبة عيد العرش،
السبت 29 يوليوز 2023

بركان قوة الذكاء

وكالة جهة الشرق

سلسلة Oriental.ma / دجنبر 2023

Editions Hammouch

إدارة النشر
محمد امباركي
مدير عام
وكالة جهة الشرق

إدارة التحرير
فيليب ميشيل مع
الكبير حنو،
توفيق بودشيش،
عبد القادر قيطوني،
محمد إديز،
فاطمة الوافي

إيقونوغرافيا
الارشيف والاشارات

صور فوتوغرافية
يونس فزازي

تصميم
Agence Topic Groupe MpCom

إدارة فنية
حكيمة مبصير

لجنة المراقبة، وكالة الشرق
حنان جوات، سعيدة ماهر، مريم الناوي

تنسيق
لحسن بوعالي
مدير برنامج DéLIO

الايداع القانوني : 2021MO4603
ردمك : 978-9920-34-485-2

منشورات وكالة جهة الشرق / © وكالة جهة الشرق

الفهرس

الفهرس

5:18

الـفـهـرس

الـفـهـرس

المقدمة

تعتبر بركان منذ فترة طويلة قطبا رئيسيا للتنمية الجهوية وتراثا ثقافيا عميقا، ومجالات ترابية حيوية يتحتم تثمينها لدعم ديناميتها كما هو الشلن بالنسبة لجهة الشرق قاطبة.

فالمدينة ومختلف المكونات الترابية للإقليم تسرد قصة مذهلة، ولا يعرف هذا الكنز الإنساني الثري وبيئته الغنية إلا أهل المعرفة. فبركان تشكل أحد أسس دينامية جهة الشرق، وهذا الكتاب يساهم في ذلك. فهو عبارة عن بطاقة تعريفية ممتعة التصفح، غنية المحتوى وراقية الشكل، كما أنه أداة قيِّمة للتواصل الترابي، لإثارة اهتمام صانعي القرار وإقناع المستثمرين. وقد عاشت وكالة تنمية جهة الشرق هذه التجربة، حيث أن إصداراتها التي تعنى بالجهة تعرف إقبالا كبيرا.

فكتاب بركان يعزز مقاربة الترويج للمجالات الترابية التي بدأناها من جنوب الجهة - واحة فكّيكْ- وصعدت تدريجيًا عبر النشر نحو الشمال، إلى ضفاف البحر الأبيض المتوسط.

وتم تواليا تثمين وترقية النجود العليا، منطقة بني كْيل (المجالات الكبرى لجهة الشرق)، الحيوانات والنباتات الجهوية، مدينة جرادة التي نشأت بفضل استغلال المعادن، علاقات الجهة بالبحر المتوسط... وأيضا الفنانين التشكيليين، المرأة وذاكرة يهود جهة الشرق وغيرها. كما تم إصدار دلائل تبرز مواقع ما قبل التاريخ، ورحلات المشي، والمسارات القروية، التي هي في الواقع مسارات العبور لاكتشاف المناطق الداخلية، وثروات فنون الطبخ...

وبنفس المنطق، يتحدث هذا الكتاب عن بركان بجميع أبعادها. فهو يَعبُر آلاف السنين لتتبع نشأة هذه الهوية الفريدة والأخاذة، المنبثقة عن اختلاط السكان، بفعل الديناميات الكبرى التي عرفها البحر المتوسط. فالتعريف الحالي لهذا المجال الترابي تم تكوينه بطريقة أصيلة على جميع المستويات؛ جغرافياً وإنسانياً بالتأكيد، وأيضا تاريخياً واقتصادياً وبيئياً وثقافياً واجتماعياً...

المقدمة

بركان في كلمتين

عندما يستشف النظر هذه القرون، على ضوء جل المناهج العلمية، ويتوقف عند القرن السابق تم يسائل الزمن الراهن، تفرض في خضم النجاحات والمحن، كلمة واحدة نفسها : «الذكاء».

فحينما تطلب الأمر التفكير في عنوان لهذا الكتاب الذي يسعى للتعريف ببركان وتثمين نفودها الترابي، فرضت هذه الكلمة نفسها، وإن كانت تبدو لأول وهلة، مفتقرة للتواضع، حيث توافق تمامًا التحولات الماضية، وتوجه المعطيات الحالية. فمعنى هذه الكلمة يشير لقدرة البشرية على فهم الأوضاع عن طريق ربط الأشياء بعضها ببعض (أفكار، حقائق، كتابات، سلوكيات وغيرها)، وبالتالي القدرة على استخلاص النتائج الصحيحة لهذا التقارب، الناجم عن مرونة العقل.

هذا بالضبط ما يرويه لنا تاريخ بركان، حتى قبل أن تنشأ المدينة.

فكلمة «قوة» تواكبه. تبسط نفودها من الصمود إلى الفوز. تُذَكِّر بقرون من التطور لمجتمع بشري تشكل تدريجيًا هنا، قاسمه المشترك هو النضال. فالمناطق الجبلية التي احتضنت منذ القدم «قبائل» بني يزناسن، تحمل هذا الاسم، وتمتد سهول تريفة وغرب أنكاد، التي تزدهر بها المراعي وبعض الزراعات، فضلاً عن الشريط الساحلي الممتد من السعيدية إلى رأس الماء الذي يوفر ثروات مهمة من الموارد البحرية. يشكل المجال والاقتصاد والثقافة وأسلوب الحياة نمطا متناغمًا ومستدامًا، لم يتأثر بتوافد واستقرار مجموعات جديدة، بل على عكس ذلك، شكلت مساهمة الوافدين من جهات أخرى قيمة مضافة للمنطقة.

هذا الاختلاط التدريجي، الذكي والهادئ، المفرز لثروات مشتركة، والمحرك لاقتصاد المجالات الترابية المعنية، يتناقض مع الرفض القوي للغزاة، الذين حاولوا الاستيلاء على الثروات والأماكن...

في حالة مثل هذه، تلخص «قوة» بكلمة واحدة، المقاومة الشرسة التي أبدتها القبائل المحلية ضد المعتدين، مهددين كانوا أو محتلين عابرين، لكي يحافظوا على أسلوب

حياتهـم وهويتهـم، وأراضيهـم وثرواتهـا... او باختصـار، ثقافتهـم. وبالتـالي، «الـذكاء» و»القـوة» مثـلا في القـرن الواحـد والعشريـن، المفاتيـح الـتي ترمـز للحـاضر الحيـوي كمـا لتاريـخ هـذه المجـالات الترابيـة، الـذي ينهـل أصالتـه وخصوصياتـه مـن مغربيتـه المميـزة.

بركان، فاعل وشاهد على التاريخ الشامخ للمغرب

إن القبائـل البربريـة الزناتيـة واليهـود الذيـن نزحـوا للمنطقـة يعتـبرون مـن السـكان الأوائـل. فمعظـم الغـزاة الذيـن حاولـوا احتـلال الأراضي جزئيـا أو كليـا، أو مـن فضـل الاسـتقرار بهـا بأمـان، مـروا مـن بـركان ونواحيهـا، لأن المنطقـة كانـت دومًـا محـل أطمـاع.
فالفينيقيـون، اسـتقروا بالمـوانئ وتفاوضـوا بشـأن تواجدهـم. كمـا اسـتقر خلفاؤهـم القرطاجييـون، بشـكل دائـم، وتوغلـوا في الأراضي الداخليـة، تبنـوا أسـاليب الحيـاة المحليـة الى درجـة أنهـم انصهـروا تدريجيًـا بفعـل اختلاطهـم بالسـكان. بعـد انتصـارات رومـا، والاتفاقيـات المبرمـة مـع الونـدال، تركتـا هاتـان الإمبراطوريتـان الإدارة المحليـة للسـكان، دون تقويـض للهويـات أو الأعـراف.
وابتـداءً مـن القـرن الخامـس، اسـتقرت قبائـل بـني هـلال العربيـة بالمنطقـة، وطُـرِدت مجموعـات أخـرى. وسـتؤدي الهجومـات القادمـة مـن الـشرق ومـن الجنـوب إلى سـيطرة الأدارسـة ثـم الفاطميـين فالمرابطـين والموحديـن والمرينيـين والوطاسـيين... وقـد تمـت الإشـارة أيضـا ذكـر غـارات إسـبانية، ابتـداء مـن القـرن السـادس عـشر، حيـث تناوبـت في سـياق تأثـيرات السـعديين والعثمانيـين، بكثافـة وبطبيعـة مختلفتـين...
في النصـف الثـاني مـن القـرن السـابع عـشر، اسـتقرت السـلالة العلويـة في عهـد مـولاي إسـماعيل، الـذى بـنى قصبـات عـين الـركّادة وشراعـة وبوغريبـة. بعـد وفاتـه. وبعـد قرابـة قـرن مـن المواجهـة ضـد الأتـراك، عـاد الهـدوء في الربـع الأول مـن القـرن التاسـع عـشر، الـذي سيسـتمر إلى غايـة الدعـم المقـدم للأمـير عبـد القـادر ضـد الاحتـلال الفرنـسي في الجزائـر، ابتـداءً مـن سـنة 1843. ثـم جـاء الفرنسـيون لمواجهـة قبائـل بـني يزناسـن، وبـدأ الاسـتقرار الفرنـسي بعـد معركـة إسـلي الشـهيرة، فتكثفـت غاراتهـم، مسـتغلين بذلـك بعـض

المقدمة

الاضطرابات والتنافسات، مما أدى لاحتلال بني يزناسن وتريفة ابتداءً من 1907. وقد شجعت معاهدة الحماية سنة 1912 العديد من الأوروبيين على النزوح إلى المنطقة، قادمين في معظم الاحيان من الجارة وهران. وبسبب الثورة الاقتصادية الناتجة عن زراعة المناطق المسقية، نشأت مدن جديدة، التي شكلت نواة النسيج الحضري الحالي، كما هو الشأن بالنسبة لبركان وأحفير...

لكن، بعد مرور عشرين سنة تقريبا، بدأ الاحتجاج الوطني عبر النضال الثقافي من أجل التعليم، الذي سيتحول إلى نضال عسكري لم ينته إلا بالحصول على الاستقلال.، حيث عَيّن المغفور له الملك محمد الخامس، الراحل مبارك البكاي لهبيل، ابن بركان، لرئاسة الحكومة الأولى في المغرب الحديث، يوم 7 دجنبر 1955.

وقد لقي هذا التعيين ارتياحا كبيرا، لأن الرجل يحمل في نفس الآن قيما تقليدية عميقة يتحلى بها سكان المنطقة، وحداثة متميزة، مما جعله يؤدي مهامه بحكمة حفاظا على وحدة البلاد وثقافاتها التقليدية، ووضع أسس ولوج المعاصرة. ستلعب بركان وضواحيها لاحقًا دورًا استراتيجيًا على الصعيد الإفريقي وذلك على المستوى السياسي والعسكري، حيث استقبلت قادة ومجاهدين وطنيين من بلدان افريقية عديدة، كانت تكافح من أجل استقلالها، نجد في مقدمتهم جزائريون بأعداد مهمة ومثقفون وزعماء حركات التحرير من طينة نيلسون مانديلا، أميلكار كابرال، أغوستينو نيتو، فرانز فانون، وقادة آخرون سيصبح أغلبهم رؤساء دول بمجرد التحرر من الاستعمار.

بركان، كتبت دوما التاريخ... خاصة في الوقت الحاضر!

تواصل بركان اليوم، تطورها بقوة وذكاء، بمفهوميهما العصري، في المغرب السريع التغير، تحت قيادة جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله. فالذكاء اليوم، أصبح رقميًا، وأدواته كذلك! والقوة تكمن في الأداء العالي الذي تقدمه الأجهزة والكفاءات والمعدات التي عبأها الإقليم. لقد اتخذت بركان العديد من المبادرات في هذا الصدد. وهكذا، أعيد تنظيم الإدارة، لتسريع وثيرة اتخاذ القرار والتنفيذ والسلاسة والتتبع... فشفافية

الإجـراءات عـلى سـبيل المثـال، الـتي لا يُطعـن فيهـا الآن عـلى الإطـلاق، تخفـف أيضًـا العـبء عـلى الموظفـين الإداريـين والمواطنـين وبالطبـع عـلى الـشركات. تشـكلت كذلـك، منظومـة بيئيـة كاملـة حـول مـشروع إقليمـي حقيقـي. فهـو يشـمل كفـاءات جديـدة، بعضهـا لإدارة الوسـائل الجديـدة المتوفـرة، مثـل طائـرات بـدون طيـار أو الخدمـات الرقميـة، وبعضهـا لإعـداد تطبيقـات جديـدة، مثـل التطبيقـات المخصصـة لإدارة الإقليـم، مدعومـة ومكملـة لتلـك الـتي تقدمهـا الخدمـات العموميـة. أنجـزت معظـم هـذه الابتـكارات، في «مجمـع مجـال للـذكاء والابتـكار الـترابي» الـذي تعـتز وكالـة تنميـة جهـة الـشرق بدعمـه.

فبالنظـر للعـدد المتزايـد للقطاعـات الـتي تعتمـد حلـول التكنولوجيـا العاليـة، وللحاجـة الملحّـة إلى كميـات هائلـة مـن البيانـات، دخلـت بـركان في عـصر الإدارة الشـاملة للمعلومـات، ممـا يعـرف ب - «البيانـات الضخمـة» - مـن خـلال الاسـتثمار في قـدرات التخزيـن، وفي تقنيـات المعالجـة المناسـبة.

فلـكي تعمـل المنظومـة البيئيـة بشـكل سـليم، اتخـذت جميـع التدابـير، الـتي لا تقتـصر عـلى المعـدات، بـل وفي المؤسسـات التعليميـة، وفي التوعيـة والإعـلام وتكويـن المواطنـين. والجديـر بالذكـر، فـإن العديـد مـن المنتديـات واللقـاءات الـتي تنظمهـا الفعاليـات العامـة والخاصـة، تحظـى بإقبـال كبـير لـدى السـاكنة.

فبركان ولجت اليوم بكل قوة المجالات الجديدة للذكاء!

محمد امباركي
المدير العام لوكالة جهة الشرق

ذكـــــاء
الـمـجـالات الـتـرابـيـة

وعاء متوسطي متعدد الاشكال

الأراضي الواقعة تحت تأثير بركان تفوق في حجمها الاقاليم التي تحمل نفس الاسم. وهي تغطي ثلاث مجموعات كبيرة من النقوش البارزة: في الجنوب، جزء من سهول أنجاد، وفي الوسط، سلسلة بني حسن، وفي الشمال، سهل تريفة. يرحب هذا التكوين الغني بتاريخ إنساني واقتصادي حيث تم التعبير دائمًا عن الذكاء الإقليمي.

سلسلة جبال بني يزناسن، حاجز غير منيع

تـتراص هـذه الجبـال المتوسـطية بـين سـهل تريفـة في الشـمال وسـهل أنكّاد في الجنـوب. اسـتقر بهـا السـكان بكثافـة، فشـكلوا عـبر العصـور إطارهـا الطبيعـي (مدرجـات، سـواقي...). تتنـوع الزراعـات في بـني يزناسـن بـين الحبـوب والبقوليـات وأشـجار الفواكـه المتوسـطية. وقـد جعـل النمـو الديموغـرافي الهائـل مـن السلسـلة الجبليـة مصـدرا مهمـا للهجـرة، خاصـةً نحـو بـركان ووجـدة.

تنقسـم السلسـلة الجبليـة إلى قسـمين مختلفـين جيولوجيـاً، يفصلهمـا خـط صـدع، يخـترق تافوغالـت : الطيـة ذات النـواة الكْرانيتيـة لبـني يزناسـن في الـشرق، والطية المعقـدة والمتصدعة في الغـرب، أو بـني ماهيـو. يمكـن اجتيـاز السلسـلة بسـهولة، عـبر ممريـن يربطـان سـهل تريفـة بممـر تاوريرت-وجـدة. الأول، ممـر تافوغالـت، وهـو ممـر طـولي، يبلـغ اثـني عـشر كيلومـترًا، بارتفـاع متوسـط يبلـغ 500 مـترًا ؛ وينفتـح نحـو الشـمال الـشرقي عـلى مضيـق واد زكْـزل، مـن خـلال حـوض تغـاسروت. والثـاني، ممـر الكْربـوس، حيـث لا يتجـاوز عـرض السلسـلة 10 كيلومـترات، ويبلـغ ارتفاعـه المتوسـط 300 مـترًا ؛ تقـع أحفـير في مخرجـه، في اتجـاه سـهل تريفـة. وتشـكل السلسـلة الجبليـة مسـتطيلا، يمتـد طـولا عـلى مسـافة 28 كيلومـتر وعرضـا 22 كيلومـترً.

يعتبر الجزء الشرقي الأكثر ارتفاعا، توجد أعلى قمة به في رأس فوغال (1532 متر)، يطل على فضاء مركزي من وديان عميقة، تفصل بين قمم مختلفة الارتفاع. تنخفض تدريجيا إلى أن تبلغ 400 متر بمقربة نهر ملوية، الذي يتدفق عبر مضائق الحافة الغربية، ما بين سد محمد الخامس وسد مشرع حمادي. أما في الغرب، فهو ينخفض تدريجيًا.

إن مساحة السفح الشمالي لبني يزناسن واسعة، تربط بين المناطق الجبلية وسهل تريفة. لقد أدى موقعه المحوري، ومؤهلاته الزراعية المتنوعة إلى استيطان كثيف. تتوفر المنطقة كذلك على رواسب كثيرة وينابيع مياه غزيرة وأراضي خصبة.

يبرز على اليسار، السهل وسفوح الجبال والمرتفعات التي تشكل أفقًا منسجمًا، لما نقترب من الإقليم

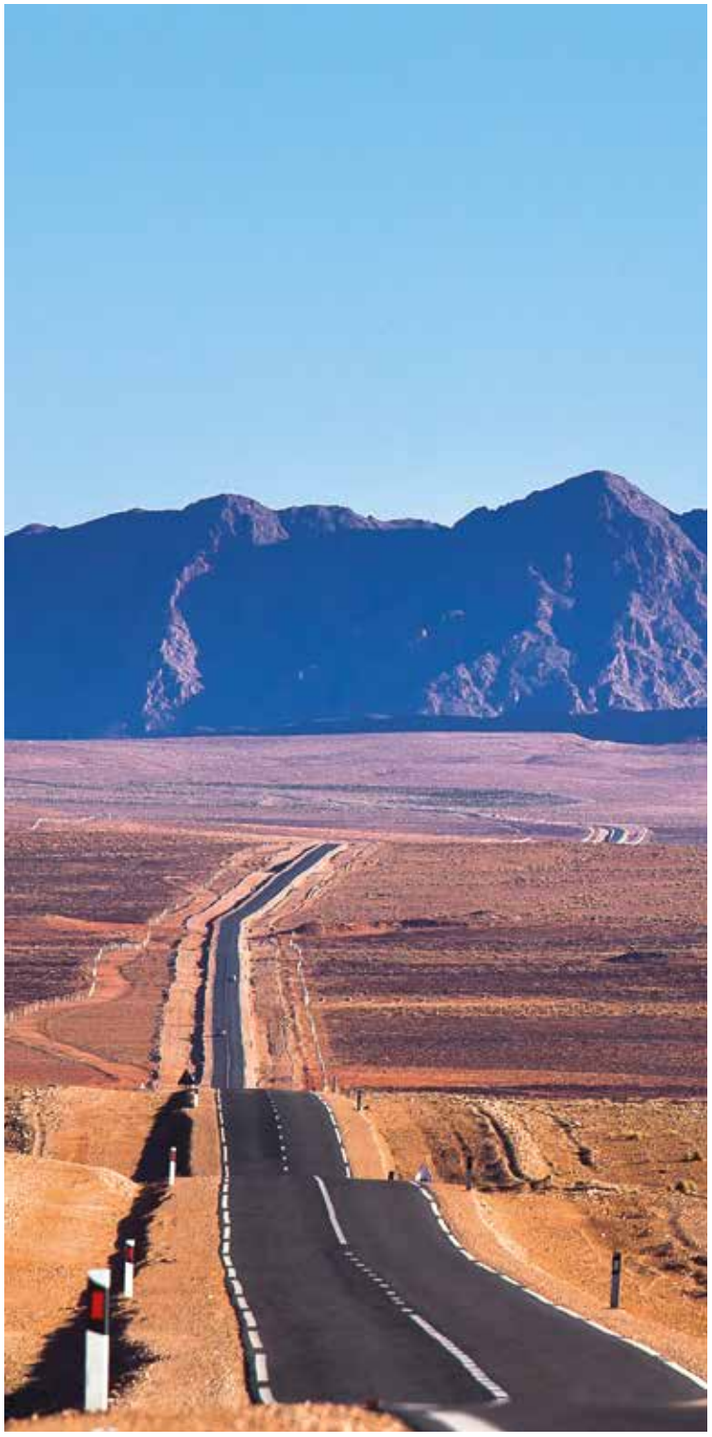

سـهـل تريفة،
مـصـدر للـغـذاء

يشـكل سـهل تريفـة مخروطًـا واسـعًا مـن الرواسـب الركاميـة، فهـو مسـطح جـدا ابتـداء مـن سـفوح بـني يزناسـن، وتبلـغ مسـاحته 600 كلـم^2. ينخفـض ارتفاعـه تدريجيـا مـن الجنـوب إلى الشـمال (150 مـتر في بـركان و 80 مـتر في مـداغ). يبلـغ علـو تلالـه غربـا 100 مـتر، وتضاريسـه غـير منتظمـة. يشـكل هضبـة أولاد منصـور عـلى الضفـة اليمـنى لنهـر ملويـة ويطـل عـلى واد كيـس مـن الـشرق، فينتهـي بجـرف، يطـل عـلى السـهل السـاحلي الصغـير للسـعيدية، بشـاطئها الرمـلي الجميـل، الممتـد عـلى مسـافة 13 كيلومـتر، بـين مصـب ملويـة وواد كيـس. يديـن سـهل تريفـة برواسـبه ومياهـه الجوفيـة والسـطحية لبـني يزناسـن. لقـد تراكمـت الرواسـب الرباعيـة، فأعطـت أراضي خصبـة، بـين ملويـة السـفلى في الغـرب وواد كيـس في الـشرق. وقـد سـاهم نظـام الـري، المرتبـط بسَـدّي مـشرع حمـادي ومحمـد الخامـس عـلى نهـر ملويـة، في تغيـيره بشـكل كبـير.

سـد
مشرع حمادي

كان السهل يعتمد إلى نهاية الستينات من القرن الماضي، على زراعة الحبوب والكروم التي أدخلها المستعمر، وطوروها بعد الأزمة العالمية لسنة 1929، حيث تقلصت مساحته التي كانت تناهز 6 000 هكتار عام 1968 بسبب بعض الأمراض مثل الفيلوكسيرا والبياض المسطح، وبسبب شيخوخة أشجار العنب.

ومما يدل مجددا على الذكاء الترابي، شرع السكان في زراعة الحوامض، لإنعاش هذا المجال : فتجاوزت المزروعات 10 000 هكتار في الثمانينات، مما جعل من منطقة ملوية السفلى، ثالث منتج للحوامض في المغرب.

وقد وجدت شجرة الكليمتين التي زرعها المستعمرون الارضية الملائمة والخصبة في سهل تريفة. فثمرة الكليمتين هجين بين شجرة الماندرين والبرتقال الحلو، حصل عليها لويس تشارلز ترابوت حوالي سنة 1892، وهو طبيب وعالم نباتات، والأب كليمون الذي كان يدير منبتا زراعيا لدار الأيتام في ميسرغين، قرب وهران.

فالمنطقة تتوفر اليوم على أكثر من عشرين محطة تعمل على تلفيف حوالي 100 000 طن سنويًا، تتمركز 17 منها في بركان، «عاصمة الكليمنتين». غير أن شيخوخة الداليا والمنافسة الدولية ساهمتا في انخفاض الصادرات. لذا قام الفلاحون بتنويع المحاصيل الريعية (زراعة الخضروات، الزراعات الصناعية والعلفية).

سد
محمد الخامس

واحدة من وحدات
تعبئة الحوامض الحديثة في بركان

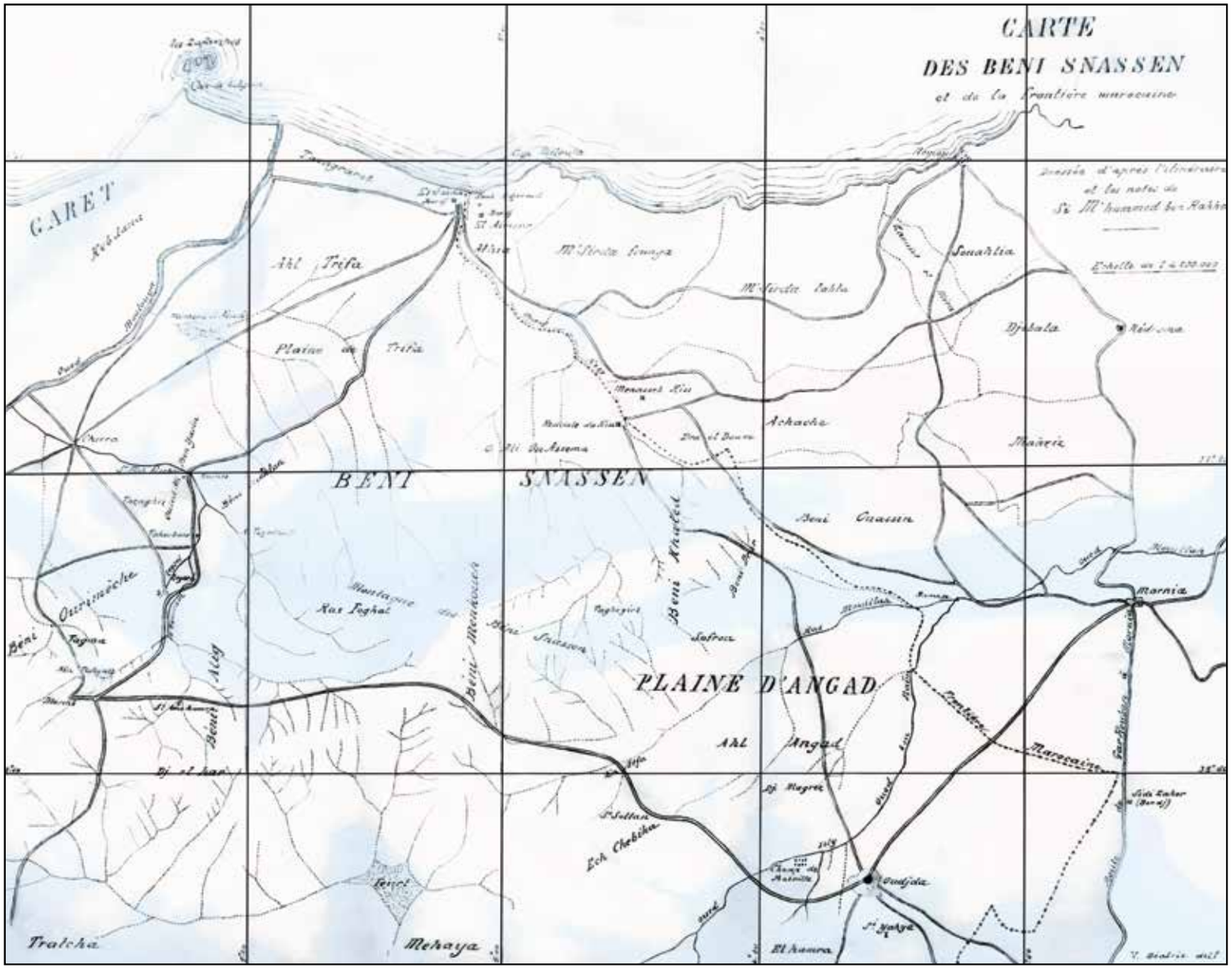

ترجع هذه الخريطة إلى الجغرافي محمد بن رحال الذي نشرها عام 1888. كان من بين أوائل « المستكشفين » للمنطقة، وقد استُغلّ عمله من طرف من كانوا يمهدون للغزو الفرنسي لشمال المغرب، في تلك الفترة. لقد كانت جمعية الجغرافية والآثار في وهران، معقل الأهداف الاستعمارية للسلطات الفرنسية، إذ كانت تدعم هذه الأعمال وتنشر نتائجها في مجلتها

مناخ مفيد للطبيعية

مناخ متوسطي ذو صبغتين

تدل درجات الحرارة وحجم الأمطار المتوسطة في بركان، على أنّ مناخها معتدل على غرار المناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط : صيف حار وجاف، شتاء معتدل وماطر. تبلغ الحرارة السنوية المتوسطة حوالي 18 درجة (أغسطس هو الشهر الأكثر حرارة ب 26 درجة وشهر يناير هو الأبرد، 11 درجة). فدرجات الحرارة المنخفضة في الشتاء لا تعيق النمو النباتي، أما في فصل الصيف، فالري ضروري للزراعة. يمكن تمييز نوعان من المناخ من الشمال إلى الجنوب :

- واحد، نصف جاف، في بركان وفي تريفة بتساقطات سنوية تتراوح ما بين 340 وأزيد من 400 ملم، وتقلص في الأمطار من الشرق إلى الغرب بسبب جبال كبدانة في الشمال الغربي، التي تحجب التأثيرات البحرية على الضفة اليسرى لنهر ملوية ؛
- آخر، في بني يزناسن، نصف رطب بأمطار وفيرة في المرتفعات (600 ملم سنويًا في تافوغالت) ومتوسط حرارة منخفض.

دور هيدروغرافية واد ملوية

من المحتمل أن يكون اسم ملوية مأخوذًا من مولوشا الرومانية، أو من العربية التي تعني «نهر ذو منعطفات». فهو النهر الدائم الرئيسي، يوجد منبعه عند تقاطع الأطلس المتوسط والأطلس الكبير. بطول 520 كيلومترًا، و يصب في البحر الأبيض المتوسط بين السعيدية ورأس الماء. يبلغ حوضه المائي 74 000 كيلومتر مربع، تتجمع به مياه الريف الشرقي والأطلس المتوسط في الغرب والأطلس الكبير في الجنوب. أهم روافده هي أودية مسون من الريف، وملولو من الأطلس المتوسط، وزا بالهضاب العالية. لكن تدفقه يتغير بشكل كبير بسبب عدم انتظام الأمطار والتبخر، بمتوسط سنوي يبلغ 34 متر مكعب في الثانية (5 في أوقات النضوب، و 5 000 خلال الفيضان التاريخي في ماي 1963).

بدأت أعمال تطوير الجزء السفلي من النهر في عام 1952، بتعاون بين سلطات الحماية الفرنسية والإسبانية، بما في ذلك بناء سد تحويلي في مشرع حمادي، الذي انتهت الأشغال به سنة 1956. لقد كانت سعته الأولى تبلغ 42 مليون متر مكعب، لكن سعته النافعة تقلصت كثيرًا اليوم. ومن أجل تنظيم نهر ملوية وإنتاج الطاقة الكهرومائية، تم بناء سد آخر بين عامي 1960 و 1967 هو سد محمد الخامس في مشرع كليلة، بسعة أصلية تبلغ 630 مليون متر مكعب، لكنها انخفضت إلى أقل من الثلث اليوم بسبب الترسبات.

تتحدر الأنهار الرئيسية الأخرى من بني يزناسن. فهي غالبًا ما تنضب في الصيف، تدفقها ضعيف وغير منتظم : أما واد كيس الذي يمثل الحدود بين المغرب و الجزائر، فهو يصب في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من السعيدية ؛ في الغرب، واد بني وكلان الذي يتدفق من الجنوب إلى الشمال، يستقبل واد ورتاس ويلتقي بواد زكّزل (أو واد تازغين في الأسفل)، الذي ينبع من مغارة الجمل. كل هذه الوديان تغذي واد شراعة، الذي يمر بجنوب بركان، ويعبر السهل ليبلغ واد ملوية.

تعـترض هيدرولوجيـا سـهل تريفـة مشـكلتان : صعـود الفرشـة المائيـة الـتي تـؤدي الى الاختنـاق وملوحـة التربـة ممـا يهـدد حـوض مـداغ، وسـط السـهل، ويسـتلزم أحيانًـا ضخـا عميقـا، وكـذا خطـر تلـوث الفرشـة، خاصـة في الشـمال.

الاتربة الغرينية الخصبة لسهل تريفة

عـلى شـكل منعـرج بـين واد ملويـة في الغـرب إلى واد كيـس في الـشرق، يشـكل سـهل تريفـة منخفضـا قديمـا، ممتلئـا بالرواسـب. تغطيـه قـشرة كلسـية في حـدود السـهل. فمعظـم أتربـة السـهل بنيـة أو سـمراء، مـن نـوع السـهوب، حيـث تقـل المـادة العضويـة في العمـق، مـع وجـود طبقات كلسـية مـن 30 أو 50 سـم، وتراكمـات طينيـة في خلفياتـه العميقـة. هـذا، يكسـب التربـة قوامـا مناسـبا للاحتفـاظ بالمـاء، كمـا أنهـا تجمـع بـين الرمـال والعنـاصر الدقيقـة. إن تربـة تريفـة خاصـة في الوسـط، تتمتـع بقيمـة زراعيـة عاليـة، لأنهـا تتكـون مـن رواسـب طينيـة سـلطانية ورمـال غربويـة.

أمـا في المناطـق الجبليـة فـإن الطوبوغرافيـا المائلـة، لا تـترك إلا مسـاحات قليلـة صالحـة للزراعـة، تنحـصر في ضفـاف الوديـان المهيئـة عـلى شـكل سـطوح، كتلـك المتواجـدة بـوادي زكْـزل عـلى طـول 14 كيلومـترًا. كمـا أن تربـة السـفوح الممتـدة والمتكونـة مـن رواسـب عـلى مخـارط مـن المخلفـات حيـث تظهـر الوديـان، غالبًـا مـا تكـون خصبـة، تخصـص للحبـوب والخـضروات والأشـجار المثمـرة (اللـوز، الزيتـون...). لكـن أتربـة تريفـة أصبحـت مهـددة بالتدهـور الكيميـائي - مما يدفـع المزارعـين إلى اسـتعمال الاسـمدة – وكـذا بالملوحـة، لأن ميـاه ملويـة تعـبر طبقـات سـطحية متعـددة ومتنوعـة.

سفح الجبل الشمالي لبني يزناسن وسهل تريفة كما يظهر من فوق السلسلة الجبلية

الغطاء النباتي لبني يزناسن، بيئة مناسبة للتنوع البيولوجي

تغطـي الأشـجار المتنوعـة أكـثر مـن 40 000 هكتـار، موزعـة بـين الغابـات الطبيعيـة مـن الصنوبـر (25 000 هكتـار مـن الأرز، العرعـر...) والأشـجار المورقـة (4 000 هكتـار مـن البلـوط الأخـضر، البلـوط كرمـس...) والغابـات المزروعـة (حـوالي 6 500 هكتـار) مـن الأشـجار المورقـة والراتنجيـة، مثـل صنوبـر حلـب والأوكالبتـوس. لهـذه الأشـجار أهميـة اجتماعيـة، مثـل الخـروب (قـرب تافوغالـت وتانـزارت)، حيـث يسـتخدم لبـه في صناعـة الشـوكولاتة، والصمـغ المسـتخرج مـن البـذور، كمـا أن لـه اسـتخدامات طبيـة وغذائيـة، وشـجرة الأركّان عـلى مسـاحة تقـدر بحـوالي 300 هكتـار، في جماعـة الشـويحية، الـتي بهـا ألـف شـجرة.

بعض أشجار الأركّان في جماعة شويحية

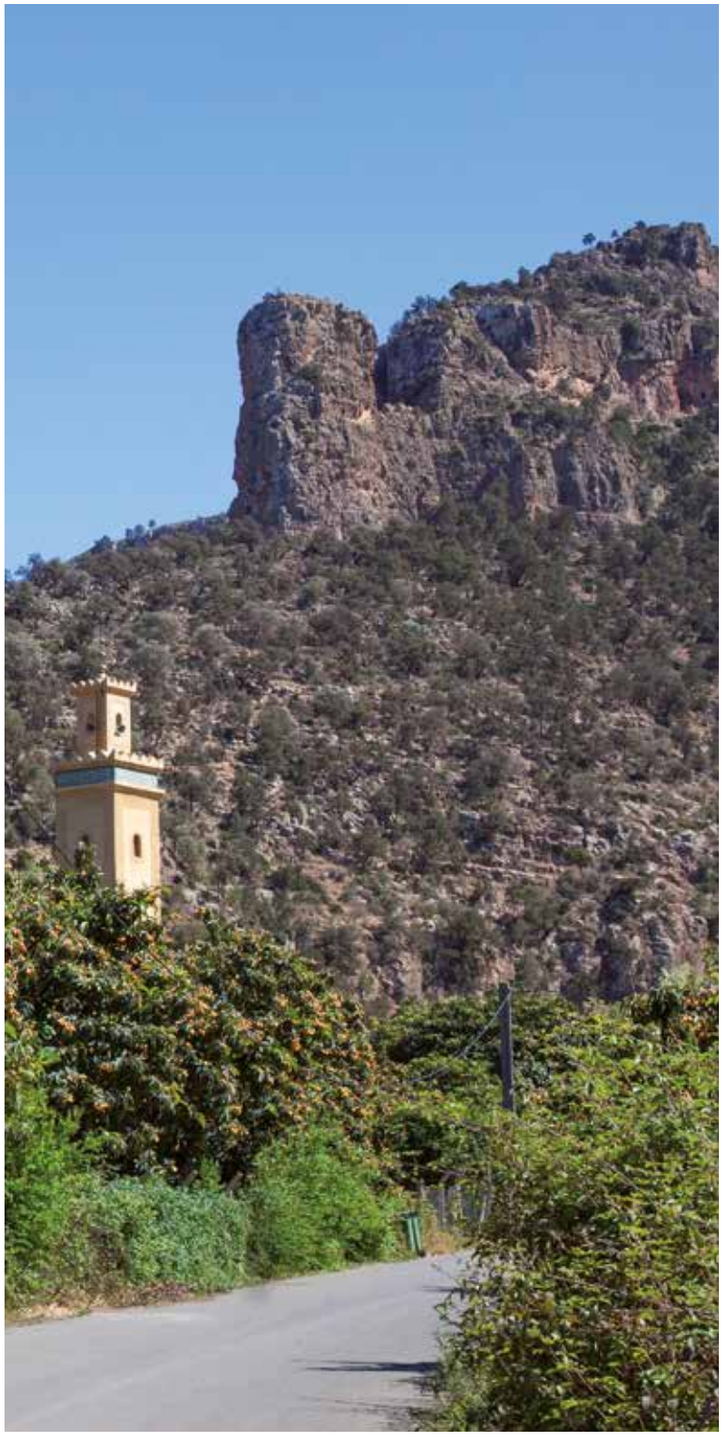

المشملة أو (لَمْرَاخ) بوادي زكْزل

تترعرع بوادي زكْزل، في قلب بني يزناسن، العديد من الأشجار المثمرة : اللوز، الزيتون، الليمون، البرتقال والمزاح، بالإضافة إلى الحبوب والخضروات التي تزرع بالمسطحات. تعتبر السلسلة الجبلية، ملتقىً بيئيًا في تشكيلاتها الغابوية، للعديد من النباتات العطرية والطبية، (إكليل الجبل، الخزامة، اللاذن، الشيح، الزعتر، الميرمية...). تساعد هذه البيئة الطبيعية كذلك، على تربية النحل، بفضل وفرة اللقاح والرحيق. يمارس الكثير من السكان تربية النحل، كنشاط إضافي. فمن بين 560 مربي نحل معروفين، يمتلك نصفهم تقريبا 5 700 خلية نحل تستغل بتقنيات حديثة، بالإضافة إلى 2 300 خلية، تستغل بالطرق التقليدية. يبلغ الإنتاج السنوي حوالي 100 طن.

لقد سطرت الخطة العشرية للتنمية الغابوية (2015-2024) عدة محاور استراتيجية : استعادة المنظومة البيئية الغابوية، مكافحة التصحر، الحفاظ على التنوع البيولوجي وتثمينه، تثمين المنظومة البيئية الغابوية من الناحية الاقتصادية.

البنية الحضرية
مجالات ترابية محيطة ببركان

التحولات بسهل تريفة : ذكاء متتالي

الهجرة الأوروبية القادمة من مقاطعة وهران

بـدأ الاسـتعمار في 1908، واشـتدت وتيرتـه بعـد الحـرب العالميـة الأولى. كان مـن طـرف الخـواص في تريفـة، حيـث اشـترى أوروبيـون أراضي مـن السـكان المحليـين أو مـن القبائـل. فخـلال فـترة الحمايـة، كان أكـثر مـن نصـف المسـتعمرين الأوروبيـين في تريفـة يتشـكل مـن القادمـين مـن الجزائـر، وأكـثر مـن ثلثهـم مـن مقاطعـة وهـران. أدخلـوا تقنيـة وأسـاليب جديـدة كالتنـاوب الزراعـي والـري بالضـخ، وزراعـات الكـروم والنيـورا والحوامـض...) بالإضافـة إلى نمـط قريـة الاسـتعمار.

احتـل المعمـرون سـنة 1954 أكـثر مـن 35 000 هكتـار في سـهل تريفـة، فأصبـح شـبيها بمقاطعـة وهـران، حيـث شـكلت معـه منطقـة اقتصاديـة مشـتركة : مسـتعمرون مـن وهـران، مينـاء نمـور (غـازوات) كمخـرج للمغـرب الـشرقي، تبـادلات تجاريـة مهمـة، يـد عاملـة قادمـة مـن بـني يزناسـن ومناطـق أخـرى مـن تريفـة لتشـتغل في مـزارع العنـب وغيرهـا، وسـميت بعـض المواقـع في تريفـة بأسـماء فرنسـية مثـل السـعيدية كيـس، مقهـى مـور، (لعثامنـة)...، كان أغلـب السـكان في بـركان مـن الأوروبيـين في ذلـك الوقـت : فرنسـيون، إيطاليـون وبعـض الإسـبان.

قصبة السعيدية التي كانت ترسم الحدود (1908، أرشيف)

«مكتب الجمارك الشريفة والفرنسية» (1944، أرشيف)

لويس تريبار، شهادة مستعمر سابق بأحفير

كانت عائلة تريبار، أباً عن جد، من المزارعين للحبوب أساساً، وكذا اللوز والزيتون، كما كانت لديهم بعض المواشي. بدأ لويس عام 1961 بزراعة الحوامض. فهو يحكي خلال زيارته لمزرعته القديمة بعد 60 عامًا، أي سنة 1989 وكذا في2017 ما يلي :

التاريخ...

«عاشت عائلتي في أحفير حيث كانت تمتلك *800* هكتار، التي بدأ جدي في اقتنائها منذ عام *1911*. عمري اليوم *83* سنة، ولا تزال، مع ذلك ،ذكرياتي من المغرب حية.» «أنا من المغرب الشرقي، من أحفير، إقليم بركان، أجمل منطقة في المغرب، وإن كانت غير معروفة *!*»

التقدير...

«لقد بيعت *250* هكتارًا التي كانت بحوزة عمتي، على شكل بقع صغيرة للمغاربة، أغلبهم كونوا ثرواتهم عندما هاجروا إلى فرنسا، من أجل العمل. لقد كانوا عموما يعملون بجد وتفانٍ، لأن الهجرة تتطلب الشجاعة، كالتي أبان عنها الفرنسيين الذين قدموا إلى المغرب، في بداية الحماية. لقد أطلق أحدهم على أرضه اسم «شد روحك» *(*ثبت نفسك*) !*»

الاستقبال...

«عندما عدت إلى المغرب، استقبلني عمالي القدامى بالترحاب، في زيارتي الأولى، و كذا فعل أبناؤهم في زيارتي الثانية... أعتقد أن فرحتنا كانت متبادلة أثناء اللقاء. عدت أول مرة سنة *1989*. وجدت أن محطة الضخ التي ربطتها بشبكة الكهرباء ما زالت تشتغل، و *20* هكتارًا زرعتها بنفسي بالحوامض، قائمة الذات...»

الحداثة...

« لقد أسعدني أن أرى أنّ مياه سدود ملوية، قد وصلت إلى مزرعتي القديمة. ساعدني أبناء عمالي القدامى، في الصعود إلى سطح منزل فرأيت الضيعة مزروعة أو قيد الزراعة بأشجار الكليمتين.

كليمتين بركان هي الأفضل جودة في العالم *!* تنتشر الأشجار في مزرعة جدي القديمة، إلى أبعد مدى. يتم الآن الري في كل مكان، بفضل نظام التنقيط الحديث، الذي يوفر الكثير من المياه». «ذهبنا أيضًا إلى أنكاد، لزيارة المزرعة القديمة لأخ زوجتي. لقد استُبدل الكرم بأشجار الزيتون، على مساحة *200* هكتار، ويتم سقيها أيضًا بالتنقيط.»

الختام...

«...هذه هي الدنيا، كما يقول المغاربة.»

*(*المصدر : شهادة نشرها مصطفى الجماهري، في جريدة ليبراسيون، يوم *11* غشت *2020)*

بعد الاستقلال، عمدت الإدارة الذكية، على إقامة نظام جديد للملكية العقارية في تريفة، بدون صعوبة، وبشكل تدريجي. بذلك، تقلصت مساحة الممتلكات الأوروبية إلى 500 21 هكتار في 1960، ثم 000 16 هكتار في 1969، حيث تنازل المستعمرون عن أراضيهم بالتراضي. وهكذا كانت بركان تعد أكثر من 500 أوروبي من بين 837 1 أجنبي سنة 1960.

لقـد اسـتهدف برنامـج إصـلاح الأراضي الزراعيـة في السـبعينات أساسـا، اسـتعادة الأراضي الـتي كانـت في حـوزة الأجانـب. فأنشـأت الدولـة المغربيـة مـن أجـل ذلـك، شركتـين عامتـين صوديـا (شركـة التنميـة الزراعيـة) و سـوجيطا (شركـة إدارة الأراضي الزراعيـة). فتـم في وقـت لاحـق تسـليم هـذه الأراضي إلى مزارعـين، معظمهـم مغاربـة، بعقـود إيجـار مدتهـا أربعـين سـنة. فأصبحـت الأراضي المحيطـة بـبركان، تشـكل أكـبر مسـاحة مـن الأراضي المعروضـة سـنة 2006، بعـد الغـرب وسـايس.

قرن من العلاقات عبر الحدود

كان المسـافرون والبضائـع خـلال فـترة الحمايـة يمـرون مـن ثـلاث نقـاط جمركيـة : السـعيدية، عـبر قنطـرة عـلى واد كيـس ؛ أحفـير، ووجـدة عـبر المنطقـة الحدوديـة زوج بغـال، عـلى بعـد 13 كيلومـترًا في الشـمال الـشرقي، بالقـرب مـن مغنيـة، عـبر الطريـق والسـكة الحديديـة. ومـن وجـدة، كان يتـم تصديـر الكليمتـين وبواكـر سـهل تريفـة، تـم الحلفـاء وأغنـام النجـود العليـا، والمعـادن (الأنثراسـيت، المنغنـيز، الرصـاص والزنـك).

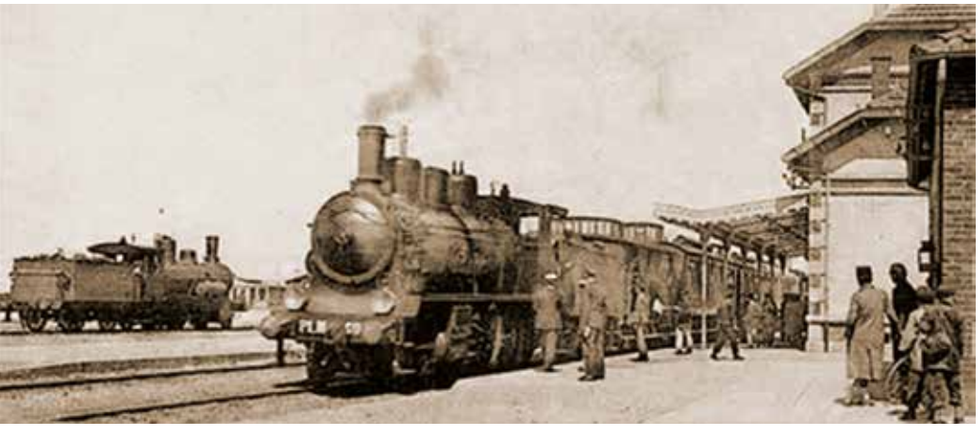

تتجه قطارات البضائع من وجدة نحو وهران،
أو ميناء نمور لتصديرها (في نهاية الثلاثينات، الأرشيف)

اسـتقبلت تريفـة خـلال حـرب التحريـر في الجزائـر، العديـد مـن الجزائريـين. ففـي سـنة 1960 كان عددهـم 5 740 في أحفـير، 1 300 في بـركان... ظـل وجودهـم ملحوظًـا رغـم رحيـل العديـد منهـم سـنة 1962 : حـوالي 2 500 في 1971 و 1 500 في 1982... ولا يـزال حـوالي 600 منهـم في تعـداد 2014، عـلى الرغـم مـن حصـول أغلبهـم عـلى الجنسـية المغربيـة.

ميناء ساي دو كيس والسعيدية، أو مشروع الميناء الذي لم يرى النور

في يونيـو 1900، اسـتقر ضابـط احتيـاط البحريـة الفرنسـية، لـوي جان-بابتيسـت سـاي، بالقـرب مـن مصـب واد كيـس، لإنشـاء ميناء كمخـرج بحـري آخـر للمغـرب الـشرقي، إلى جانـب ميناء مليليـة آنـذاك.

بـنى لـوي سـاي عـلى نفقتـه البـنى التحتيـة الأولى للميناء، ومركـزا اسـتعماريا : مكتـب البريـد ومكتـب الجمـارك (1903)، وخـط التلغـراف إلى غايـة مغنيـة (1904)، ومدرسـة ابتدائيـة (1906).

بركان في العقد الأول من القرن العشرين (1910)

استقر أول المستعمرين الفرنسيين عندما احتُلت بني يزناسن في عام 1907، فطوروا بسرعة الإنتاج الزراعي في تريفة، مما تطلب مخرجًا بحريًا قريبًا. ولكن محاولات لوي ساي فشلت لأن الموقع مليئ بالرمال، مما أدى إلى استبعاد الرصيف المائي المتعامد على الشاطئ، ولأن الجمعية الوهرانية بقيادة النائب أوجين إتيان، كان يُروِّج لميناء نمور، تم إنجاز هذا الأخير في وهران، ودافع بشكل متواصل عن مصالح الجزائر الفرنسية، خلال فترات ولايته كنائب من 1881 إلى 1919، ثم كوزير (للداخلية في 1905، ثم كوزير للحرب في 1906 وفي 1913)، وحصل على لقب «نوتر دام الاستعمار». لم ينجز في النهاية، لا مشروع ميناء السعيدية، ولا مشروع لوي ساي، ولما اكتملت الوصلة الحديدية بوجدة في عام 1935، أصبح نمور هو ميناء المغرب الشرقي.

التحضر يعكس تطور الساكنة

ظل التحضر محدودًا لفترة طويلة في بركان وأحفير. وتوسع بعد ذلك بأكليم وعين الركادة في 1982، فالسعيدية ابتداءً من 1994... لقد استفاد السكان من التحويلات المالية لمغاربة الخارج المنحدرين من المنطقة الشرقية التي تعتبر المصدر الأول للهجرة من المغرب إلى أوروبا، خاصة فرنسا، إسبانيا، هولندا، بلجيكا وألمانيا. فمغاربة الخارج يؤثرون على مستوى التحضر، لأن العقار يظل مجال الاستثمار المفضل لديهم. فالمهاجر يشتري أو يبني منزلاً في المجال الحضري، حتى ولو كان ينحدر من القرية. وتؤثر هذه التحويلات إيجابا على الأسر المستفيدة في إنعاش الاقتصاد، خاصة التجارة والحرف اليدوية والأنشطة المرتبطة بالبناء. تحصل العديد من البنوك على الأموال المرسلة من الخارج إلى الجهة الشرقية التي تعد الثالثة من حيث التراكم الإجمالي لقيمة الحسابات. فمدينة بركان تستضيف ثلثي الوكالات البنكية المتواجدة بالإقليم - أكثر من أربعين فرعًا – في الوقت الذي لا نجد فيه بأحفير إلا عشرة.

بركان،
في قلب أريافها

اسـم بـركان (مـن أبـركان، «الأسـود» بالأمازيغيـة) ويُعتقـد أنـه مشـتق مـن اسـم الـولي الصالـح محمـد بـن حسـن أبـركان، الذي يقـع ضريحـه في المدينـة، عـلى الضفـة اليمـنى لواد شراعـة. كانت بـركان معروفـة في البدايـة باسـم شراعـة، وكانـت سـوقًا في القـرن التاسـع عـشر، إذ تقـع في ملتقـى منطقتـين متكاملتـين : جبـال بني يزناسـن حيـث الفاكهـة والخـضروات، وسـهل تريفـة الـذي كان مخصصًـا للحبـوب وتربيـة المـواشي.

المدينة وليدة موقعها الاستراتيجي

كتـب مـارك دو مازيـير، وهو عضـو في أكاديمية العلوم الفرنسـية مـا وراء البحـار، في عـام 1912: «لـم تكـن بـركان موجـودة قبـل 1907». أصبحـت بـركان سـنة 1908، مركـزا اسـتعماريا. بنيـت بـه القريـة الاسـتعمارية عـلى شـكل رقعـة شـطرنج – توجـد بوسـط المدينـة حاليـا - شـمال غـرب المراكـز القديمـة، بـو إقشـار وكْرابـة فواكْـة. أنشـئت بعـد الاسـتقلال، في المسـاحات الفارغـة، أحيـاء الأندلـس ولبـني الجديـد. كمـا بـني موقـع صناعـي صغـير عـلى طريـق وجـدة. ستتوسـع المدينـة بأحيـاء في الضاحيـة، يقطنهـا مدنيـون جـدد وفقـراء. ارتبـط التوسـع الحـضري، منـذ السـتينيات، بالديموغرافيـة. فقـد ازداد عـدد سـكان بـركان مـن 20 496 نسـمة في عـام 1960 إلى 39 015 نسـمة في عـام 1971، عـلى الرغـم مـن مغـادرة العديـد مـن الجزائريـين بعـد سـنة 1962، إذ بلـغ معـدل النمـو الديموغـرافي سـنويا 6%، ثـم 4.6% بـين 1982 و 1994.

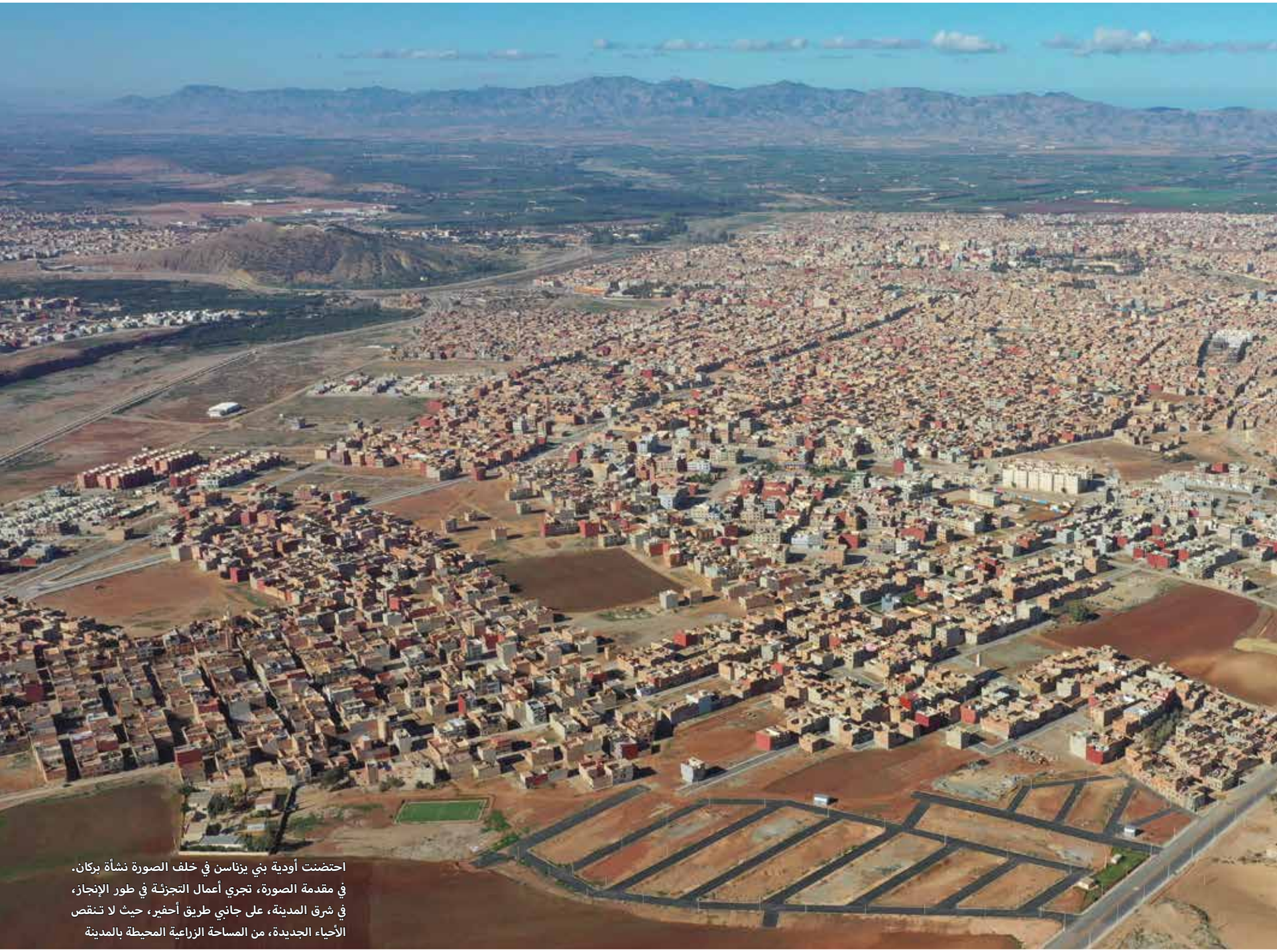

احتضنت أودية بني يزناسن في خلف الصورة نشأة بركان. في مقدمة الصورة، تجري أعمال التجزئة في طور الإنجاز، في شرق المدينة، على جانبي طريق أحفير، حيث لا تنقص الأحياء الجديدة، من المساحة الزراعية المحيطة بالمدينة

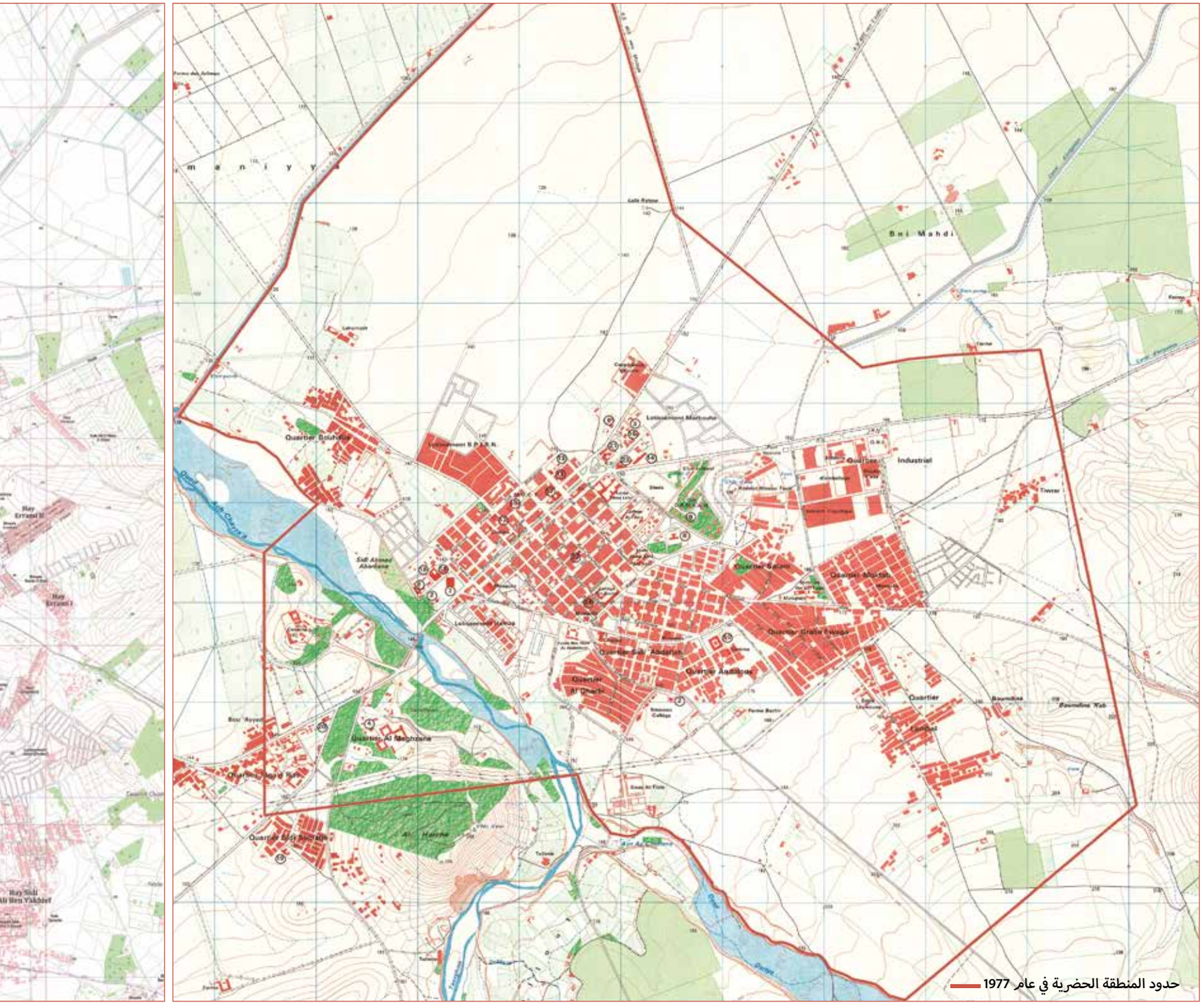
حدود المنطقة الحضرية في عام 1977

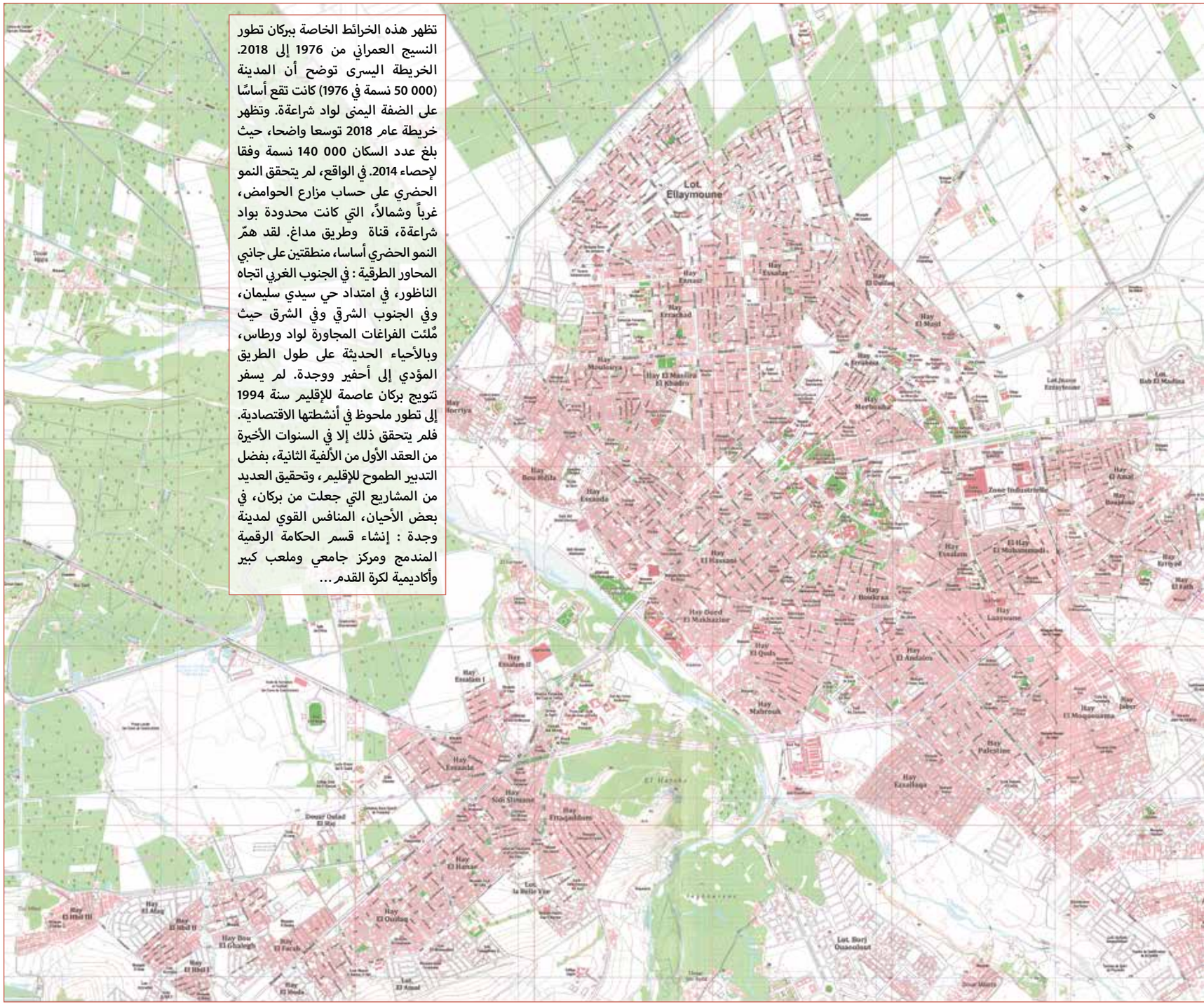

تظهر هذه الخرائط الخاصة ببركان تطور النسيج العمراني من 1976 إلى 2018. الخريطة اليسرى توضح أن المدينة (50 000 نسمة في 1976) كانت تقع أساسًا على الضفة اليمنى لواد شراعة. وتظهر خريطة عام 2018 توسعا واضحا، حيث بلغ عدد السكان 140 000 نسمة وفقا لإحصاء 2014. في الواقع، لم يتحقق النمو الحضري على حساب مزارع الحوامض، غرباً وشمالاً، التي كانت محدودة بواد شراعة، قناة وطريق مداغ. لقد همّ النمو الحضري أساسا، منطقتين على جانبي المحاور الطرقية : في الجنوب الغربي اتجاه الناظور، في امتداد حي سيدي سليمان، وفي الجنوب الشرقي وفي الشرق حيث مُلئت الفراغات المجاورة لواد ورطاس، وبالأحياء الحديثة على طول الطريق المؤدي إلى أحفير ووجدة. لم يسفر تتويج بركان عاصمة للإقليم سنة 1994 إلى تطور ملحوظ في أنشطتها الاقتصادية. فلم يتحقق ذلك إلا في السنوات الأخيرة من العقد الأول من الألفية الثانية، بفضل التدبير الطموح للإقليم، وتحقيق العديد من المشاريع التي جعلت من بركان، في بعض الأحيان، المنافس القوي لمدينة وجدة : إنشاء قسم الحكامة الرقمية المندمج ومركز جامعي وملعب كبير وأكاديمية لكرة القدم...

في الإحصائيات الموالية، لم يحتسب سكان سيدي سليمان شراعة وبوهديلا ضمن سكان بركان، وإلا لكان عدد سكان بركان قد بلغ 140 000 في عام 2014

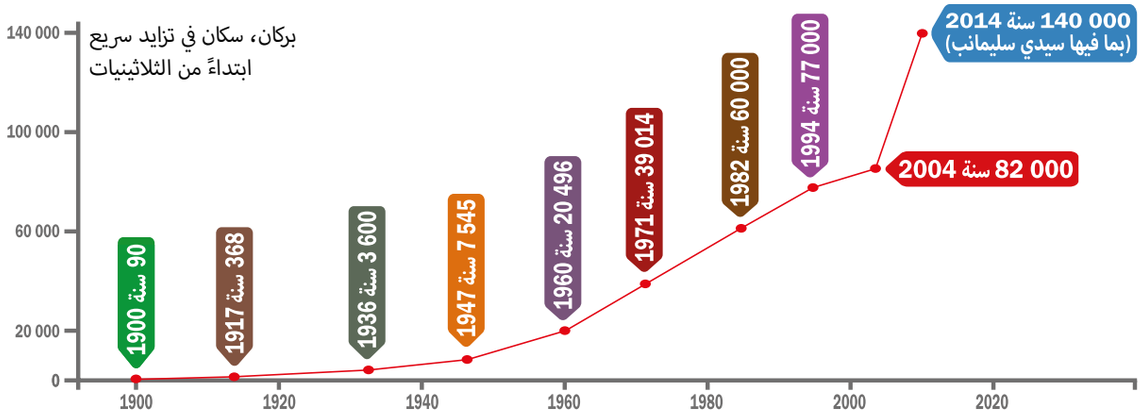

بركان، مصممة لتبقى متصلة

كانت المنطقة الحضرية في السبعينات من القرن الماضي، محددة. إذ كانت تحيط بالمدينة بدءا بحي سيدي سليمان جنوبا، وتذهب شمالا، عابرة واد شراعة لإدماج حي بوهديلة، ثم تحادي القناة الرئيسية لتريفة، إلى غاية طريق مداغ، التي كانت جزءًا من الحدود في الشمال، ممتدة من مسجد باب السلام إلى شارع القاهرة. كان الخط يتجه شرقًا إلى القناة الثانوية، انطلاقًا من شارع الأزهر، ثم يتجه جنوبا نحو واد ورطاس، وهو الحد الطبيعي الذي يتجه نحو واد شراعة. لقد احتُرم هذا التعريف للمساحة المُعمّرة في الغرب والشمال، وتم تجسيده من خلال قناة تريفة، التي تحدد مزارع الحوامض و«مزرعة العطور». لقد تم النمو الحضري خاصةً على طول الطرق : في الجنوب الغربي، من سيدي سليمان باتجاه زكْزل، الناظور وأكليم، وفي الشرق نحو أحفير (تجزئة جنان الزيتون، باب المدينة، حي تيورار).

تقع البنايات في أراضي غير منتظمة، من تلال وجبال : في الجنوب الغربي في الحرشة، تازاغين وبرج واولوت، في الشرق والجنوب الشرقي في حي الرامي. يوجد ببركان نسيجان غير متكافئان على جانبي واد شراعة : أكبرهما يقع على الضفة اليمنى، والثاني في الجنوب الغربي، على الضفة اليسرى، يتركز حول سيدي سليمان، ويشمل الأحياء الجديدة المحيطة بطريق الناظور (الهناء، الوفاق، الهدى، الفرح والهبيل).

إحدى منازل عائلة بلحاج في بركان التي استضافت قادة وطنيين من إفريقيا

سيدي سليمان شراعة، نحو تكتل عمراني مع بركان

تشكل هـذه الضاحية لـبركان مـع الأحيـاء الجديـدة، في الجنـوب الغـربي للمدينـة، في الضفـة اليـسرى، تكتـلا عمرانيـا مـع بـركان. سـيحقق المخطـط الإسـتراتيجي للتهيئـة الحضريـة لـبركان الكـبرى، الـذي هـو في طـور الإنجـاز، التـوازن بـين المسـاحات الحضريـة والمسـاحات الطبيعيـة والمسـاحات الزراعيـة. ويضـم الخطـوط العريضـة للتوقعـات في أفـق 25 سـنة لتطـور الإقليم. ومـن بـين المشـاريع الـتي تـم التخطيـط لها، مـشروع ربـط بركان بالشـبكة الحديديـة الوطنيـة، في إطـار خطـة السـكك الحديديـة لعـام 2040، الـتي تعـتزم تنفيذهـا المديريـة الوطنيـة للسـكك الحديديـة، طريـق يربـط طنجـة بوجـدة، وسـكة حديديـة بـين وجدة-الناظـور عـبر بـركان.

جسر على واد شراعة

عاصمة الكليمنتين المتعددة الوظائف

إن لقـب بـركان تـبرره 17 محطـة لتعبئـة الحوامـض. يوجـد بهـا مقـر المكتـب الجهـوي للاسـتثمار الفلاحـي لملويـة، الـذي يضم حـوالي 400 مسـتخدم (مـن بينهـم أكـثر مـن 150 مهنـدس وإطـار وتقـني)، فهـي تقـوم بالتدبـير الإداري والتقـني، للمناطـق المسـقية في ملويـة السـفلى : تريفـة عـلى الضفـة اليمـنى، زبـرا، بـو عـرك وكْارب عـلى الضفـة اليـسرى.

بـركان رمـز لاتحـاد ضفـتي النهـر، الـتي كانـت في السـابق حـدودًا إقليميـة داخليـة. تمكنـت بـركان عـلى هـذا الأسـاس، مـن تنويـع وظائفهـا : التجـارة بالجملـة، الخدمـات، الصناعـة الغذائيـة (شركتـين للتعليـب، مطحنـة السـعادة)، النقـل، قطـب مدرسـي...

تتقاطع ببركان سبع طرق : نحو وجدة شرقا، السعيدية في الشمال الشرقي، مداغ في الشمال، رأس الماء في الشمال الغربي، أكليم في الغرب، الناظور في الجنوب الغربي وزكْزل في الجنوب.
كانت بركان تابعة لولاية وجدة إلى غاية يناير 1994، حيث أحدث إقليم بركان-تاوريرت الذي جمع بين مدينتين، تفصل بينهما جبال بني يزناسن، وهي عائق طبيعي لتطوير علاقاتهما.
عندما تُوِّجت تاوريرت عاصمة للإقليم عام 1997، أصبح إقليم بركان أكثر انسجاما واستمرارية. فقد أظهر استقصاء ميداني، أجري في مدن شمال شرق المغرب في التسعينات، أن بركان هي مدينة متوسطة الحجم، تتسم بنقص في العمران : خدمات نادرة، كثافة منخفضة في وسط المدينة، حركة مرور ضعيفة، عدم وجود شوارع تجارية متخصصة، مشاكل في التخطيط العمراني...
لقد فقد مركز التجارة الأصلي حيويته، بعد نقل السوق الأسبوعي إلى جنوب المدينة عام 1968، بعيدًا عن محور وجدة-الناظور، مما اضطر الفلاحين وتجار السوق إلى عبور المدينة.
أصبحت طريق وجدة تمر في وسط المدينة، عبر شارع محمد الخامس على الجسر الوحيد، بواد شراعة، مما نجم عنه صعوبات في حركة السير. ولتسهيل الحركة وتخفيف الضغط على وسط المدينة، تم تزويد بركان حاليا بطريق مداري على طول 14 كيلومترًا، يمر بجنوب المدينة، ويرتبط بالطريق الوطني رقم 2، بالإضافة إلى اثنين من البنيات التحتية على واد ورطاس وزكْزل.

تم الانتهاء من بناء الجسر الحديث الأول على واد شراعة في عام 1918، من قبل شركة بيكويل، لتسهيل التبادل بين بركان وتافوغالت، بعد أكثر من ثلاث سنوات من الأشغال (1950، الأرشيف)

كانت بركان بالفعل، في السنوات الأولى من القرن، سوقًا مهمًا لتبادل منتجات الجبال والسهول، بالإضافة إلى منتجات أخرى من فرنسا وإسبانيا (1948، الأرشيف)

بركان، محور المجال الجهوي

إن التكامل بين تريفة وبني يزناسن ساهم في الرقي ببركان التي أضحت قطبا جهويا، والرفع من إشعاعها على محيطيها. وبصفتها خزانا للمهاجرين باتجاه بركان، فإن سلسلة بني يزناسن تحد من تأثير وجدة على الشمال الغربي. كما يبدو أن الطريق بين أحفير وقنطرة مشرع صفصاف، على ملوية، تبدو كالعمود الفقري لدائرة نفوذ بركان التي تهيمن تمامًا على تريفة، بفضل الشبكة الطرقية الكثيفة التي تتخلل السهل.

فنفوذها يتجاوز ملوية، خصوصًا بسبب تدبير المناطق المسقية، على الضفة اليسرى للنهر، وبفضل تصدير الحوامض والخضروات الطازجة من تريفة عبر بني أنصار، وتوافد تجار بركان على أسواق الريف الشرقي.

تقع بركان في منتصف المحور وجدة-الناضور، وهي بذلك تشكل قوة للشبكة الحضرية الجهوية. فالمدينة توجد على حوالي عشرين كيلومترًا ما بين ساحل البحر الأبيض المتوسط وبين الحدود. إنها عاصمة محلية شبه كاملة.

فإشعاعها الترابي يمتد من رأس الماء شمالا إلى عين الصفا جنوبا، ويصل لعمالة وجدة-أنكاد وإقليمي تاوريرت والناظور. فبإنعاش مناطقها الداخلية، توازن بركان بين جاذبية مدينتي وجدة والناظور، إذ تقوم بدور محوري للمدينتين، مما يضفي طابعا خاصا على سير العمل بالمجال الجهوي.

إن بركان وليدة مجالاتها الترابية – خاصة تريفة - وتدين لها أيضًا بازدهارها. كما أن إنجازات جديدة ستعزز دورها الجهوي، كإحداث أكاديمية لكرة القدم عند مخرج المدينة على طريق أكليم، ومركز جامعي تابع لجامعة وجدة.

التغلغل الفرنسي

أدى مؤتمر مدريد، من 19 ماي إلى 3 يونيو 1880، إلى اتفاقية تسمح للأوروبيين باقتناء العقارات في المغرب. كانت الأوساط الاقتصادية في وهران تطالب بالوصول إلى أسواق المغرب الشرقي، لمواجهة التهريب ولمنافسة مليلية، التي أصبحت منطقة حرة عام 1881. منذ ذلك الحين، أصبح شمال شرق المملكة، محط اهتمام الأوساط الاستعمارية الفرنسية، التي كانت تسعى إلى التعرف عليها، بشكل أدق، لتهيئ تغلغلها.

الثكنات الفرنسية في أحفير (مارتيمبري-دو-كيس سابقا) في عشرينيات القرن الماضي (أرشيف)

كان العسكريون، بفضل خبرتهم ومعرفتهم الدقيقة لواقع المنطقة والقبائل، يرغبون في التحول من مخبرين إلى فاعلين (سيتقاسم الضباط المسؤولون عن «الشؤون الأهلية»، والمراقبون المدنيون، تدبير الشرق المغربي منذ بداية الاحتلال). لقد عينت لجنة المغرب في عام 1903 بباريس، بإيعاز من يوجين إتيان، نائب وهران، ونائب وزير الدولة، لتحضير الاحتلال الفرنسي.

مؤلفات فرنسية عن بركان منذ 135 عامًا

المستكشفون، من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين

لقد نظمت رحلات استكشافية مبكرا بدعم من الجمعيات، خصوصًا جمعية الجغرافيا والآثار في وهران، التي تصدر مجلة إخبارية فصلية منذ 1878. ولقد تحدث فيها «المسافرون» عن المنطقة بتفصيل. نذكر من بين المؤلفين الرئيسيين : **جوزيف كانال**، عضو في الجمعية، كتب مقالًا مفصلًا بعنوان «الحدود المغربية. وجدة» في عام 1885 ؛ محمد بن رحال، الذي نشر مقالاً طويلاً سنة، 1888 عند عودته من المغرب الشرقي، بعنوان «عبر بني يزناسن» ؛ **هنري دي لا مارتينيير**، المستكشف وعالم الآثار والدبلوماسي، عضو اللجنة الفرنسية بطنجة، الذي نشر روايات رحلاته في عام 1891 ؛ **أوغست موليراس**، التبشيري والأنتروبولجي، من مواليد تلمسان، وهو عضو في الجمعية يتحدث بالعربية، كتب بشكل خاص «المغرب المجهول» (1899) ؛ **غابرييل دلبريل**، توبوغرافي يجيد العربية ومقيم في مليلية. نشر «مسارات في المغرب 1893-1891» و«جغرافيا مقاطعة الريف. 1911-1909».

اهتمام العسكريين قبل بداية الحماية الفرنسية

كتب بعض الضباط، مذكرات عن عمالة وجدة، منذ نهاية القرن التاسع عشر : **شارل دو فوكو**، ضابط فرقة الفرسان الفرنسي، الذي أصبح مستكشفًا وجغرافيًا، ثم قسًّا، وفاز بميدالية ذهبية من جمعية الجغرافيا، عن كتابه «استكشاف المغرب» (1888) ؛ **إسماعيل حامت**، الذي وُلد بالجزائر، وكلف بمهمة في المغرب الشرقي، من قبل السلطات الفرنسية في الجزائر، لسرد رحلته في المجلة الأفريقية (1900)، تحت عنوان «خمسة أشهر في المغرب» ؛ **لوي موجان**، الذي وُلد في مستغانم، وهو جنرال مكلف بالبعثة العسكرية الفرنسية في وجدة، نشر دراسات حول وجدة والمنطقة المغربية-الجزائرية ؛ **لوي فوينو**، الضابط والخبير برسم الخرائط، الذي كتب «وجدة والعمالة»، نشرت من قبل الجمعية في وهران (1912)، وهو مصدر أساسي.

بركان ونواحيها من وجهة نظر الجغرافيين

لقد اهتم بعض الجغرافيين بشكل خاص بالمغرب الشرقي، من بينهم : **أوغستان برنارد، أستاذ في جامعة الجزائر**، ثم في المدرسة الاستعمارية بباريس، نشر في 1911 «الحدود المغربية-الجزائرية» ؛ **أرمان جولي**، مؤلف المقال المنشور في مجلة الجمعية في 1912، بعنوان «ملاحظات جغرافية بسيطة عن بني يزناسن» ؛ **روني راينال**، الذي قدم أطروحته لنيل الدكتوراة في باريس في 1959، بعنوان «السهول والسفوح بحوض ملوية، المغرب الشرقي» ؛ **رولاند باسكوف**، وُلد في وجدة، وهو متخصص في السواحل، نشر «وجدة. عرض أولي لجغرافية حضرية»، في النشرة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب، و«السهول العليا للمغرب الشرقي»، بالإضافة إلى «تهيئة الضفة السفلي لملوية»، في مجلة «كتب ما وراء البحار «(1962) ؛ **جان-بول شاغفي**، وهو أستاذ الجغرافيا في وجدة، متخصص في الزراعة، قد كتب في 1972 مقالا «سهل تريفة. دراسة جهوية» ؛ **حماد بكاوي**، قدم أطروحته في 1984 بعنوان «تحولات الاقتصاد الجهوي والنمو الحضري، نموذج بركان» ؛ **سعيد الصايغ**، وهو معتمد في اللغة العربية، ومتخصص في القرن التاسع عشر بالمغرب ، تطرق في مقال نشر في مؤلفه سنة 1986، للتدخلات الفرنسية «فرنسا والحدود المغربية-الجزائرية. 1902-1873» ؛ **عبد الله لعوينة**، متخصص في الجيومرفولوجية، قدم أطروحته بباريس سنة 1987 تحت عنوان: «المغرب الشمالي الشرقي : التضاريس، المنحوتات وديناميات الحجر الجيري»، سيتم نشرها من قبل جامعة محمد الأول في وجدة ؛ **عبد القادر قيطوني**، أستاذ سابق بجامعة محمد الأول، وجدة، أطروحته تحت عنوان «التحولات الريفية والتمدن في الريف الشرقي» ناقشها بجامعة تور بفرنسا سنة 1994 وأبحاثه الميدانية تسلط الضوء على الشبكة الحضرية للمغرب الشرقي.

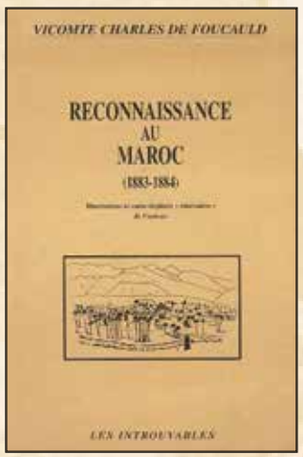

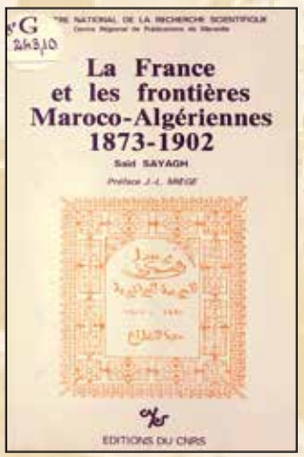

المراكز الحضرية تحت تأثير بركان

أحفير والسعيدية، مدن واد كيس في الحدود

أحفير عند مخرج ممر كْربوس

تقع أحفير («حفرة» بالأمازيغية، وهي إشارة إلى منجم، كان يُستغل في السابق من قبل الأوروبيين) قرب منابع واد كيس. لقد أقيمت الحدود بعد معركة إسلي، بموجب اتفاقية مغنية، الموقعة في 18 مارس 1845. وبذا، دحضت مطالب الاستعماريين في الجزائر، في إقامة الحدود على نهر ملوية. تنقسم الحدود إلى قسمين، من الشمال إلى الجنوب : مجرى واد كيس، من السعيدية إلى أحفير، على مسافة حوالي عشرين كيلومترًا، ثم ممر كْربوس، الذي يمتد لنحو 12 كيلومترًا.

تعود أول نواة للمدينة إلى عام 1859، عندما أنشأ الجنرال الفرنسي إدموند دو مارتيمبراي حصنًا، في ممر كْربوس، «لمنع غارات» قبائل بني يزناسن. أسس ليوطي قرية، سنة 1908، باسم مارتيمبراي-دو-كيس، تكريمًا له. أصبحت أحفير منذ عام 1910، مركزًا استعماريًا على نحو القرى بالجزائر، عند سفح جبال بني يزناسن، وقرب الحدود، على طريق وجدة-بركان، وملتقى الجاليات المختلفة (المحلية، الجزائرية، الفرنسية والإسبانية). شكل الأجانب في عام 1960، أكثر من نصف الساكنة، التي بلغت 794 10 نسمة. ثم ركد عدد السكان، بعد رحيل العديد من الأوروبيين والجزائريين. كانت أحفير مكانًا تتعدد به المبادلات، بين شمال شرق المغرب ووهران، خلال الاحتلال، ولكنها شهدت تراجعًا بعد إغلاق الحدود. هذا ما تظهره الديموغرافيا : 500 20 نسمة في عام 1994 تم 630 19 في عام 2014 ... حتى التهريب، الذي حاربه البَلدان، اختفى.

تقع أحفير في ملتقى الطرق بين وجدة، بركان والسعيدية. لقد نشأ من النواة الاستعمارية، ومن حي المغاربة الأصلي في العشرينيات. ظهرت بعض الأحياء فيما بعد، كحي السوق، حي السكن، حي بام، حي مسعود وتجمع القدس، جنوب الطريق التي تصل وجدة ببركان، كما توسعت البنايات حول الطرق المؤدية إلى السعيدية ووجدة.

السعيدية، أشهر منتجع صيفي في المغرب حكاية لا تصدق

كانت تدعى كْرن الشمس، ثم أد جرود (وتعني «الشعر» بالأمازيغية) إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر، وأخيرًا السعيدية (سعيدة أد جرود أو «القلعة السعيدة»). أول من سكنها هم قبائل أولاد منصور العربية. يشتمل المجال الترابي على تلال يفصل فيما بينها السهل والبحر. تعود النواة الأولى للسعيدية إلى عام 1883، في عهد السلطان الحسن الأول، الذي بنى قصبة على الضفة اليسرى من مصب واد كيس، لرسم الحدود ومراقبتها. نما عدد سكان السعيدية ببطء في البداية: 100 1 نسمة في عام 1960 (منهم نحو 500 أجنبي)، ثم بلغ 530 2 في عام 1971. أصبحت السعيدية مركزًا حضريًا سنة 1994، يعيش بها 563 2 نسمة، وازداد عددهم من 338 3 نسمة في عام 2004 إلى 780 8 نسمة في عام 2014، مع تدشين المحطة السياحية السعيدية أصبح عدد الزوار خلال العطلة الصيفية في ارتفاع مستمر، يزيد عن 000 80 مصطاف.

كان هذا الجزء من الطريق إلى السعيدية غير معبد تمامًا، إلى غاية نهاية التسعينيات، يحد الفضاء الحضري من الجانب الغربي. يمر هذا الطريق حاليًا وسط النسيج الحضري، لأن أحفير محدودة في الشرق بالجزائر

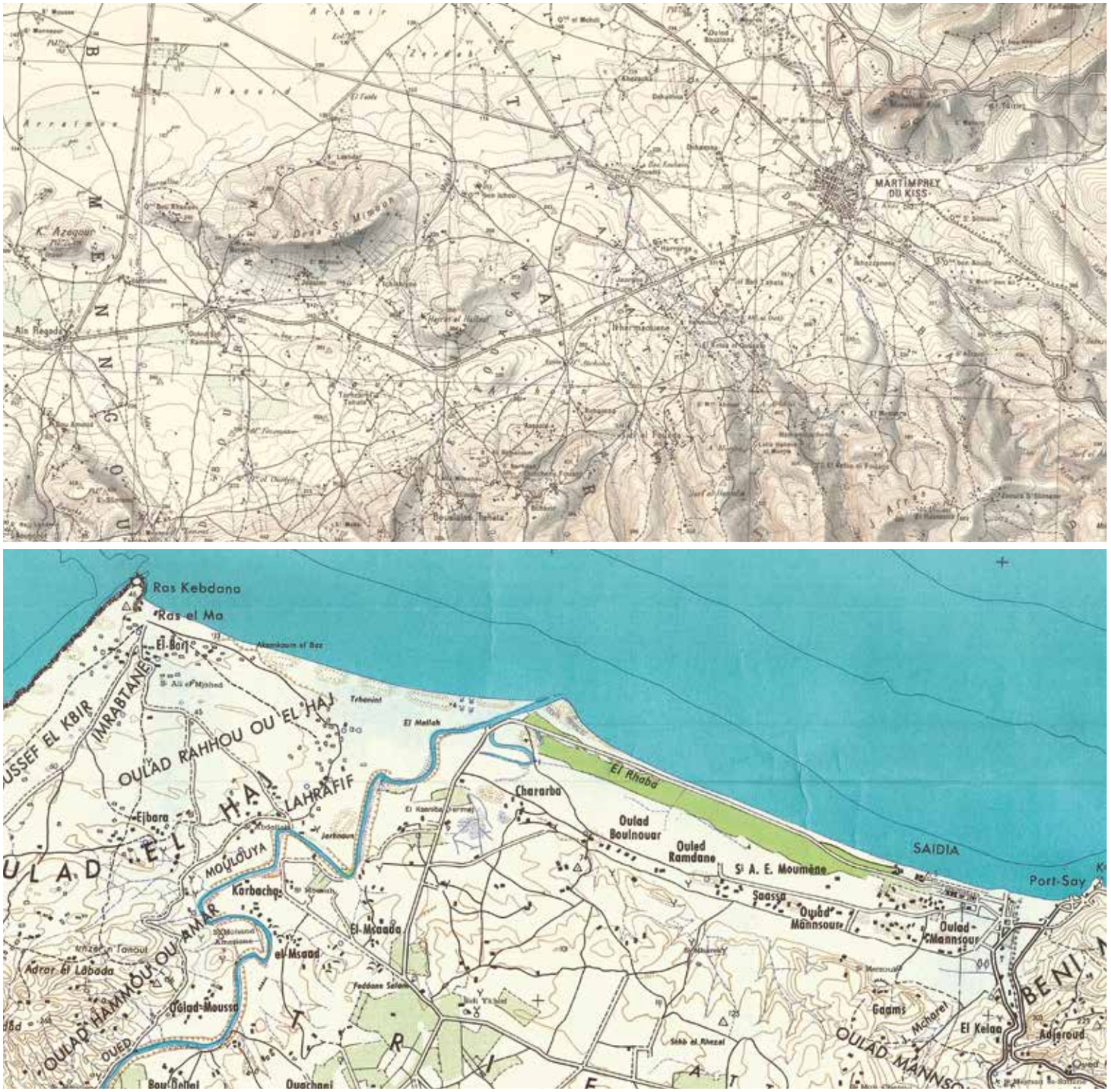

الخرائط التي أعدها المعهد الجغرافي الوطني الفرنسي (أحفير في الأعلى، مارتيمبري-دو-كيس سابقًا، سنة 1958 ؛ السعيدية في الأسفل، سنة (1968 الأرشيف)

مدخل السعيدية، وجدار قصبتها في الخلف

تقع أحفير في المرتبة الثانية بين مدن إقليم بركان، من حيث عدد السكان (أكثر من 000 20)، وتتميز مارتيمبري-دو-كيس سابقا، بموقعها الاستراتيجي الحدودي، عند مخرج ممر كْربوس. في الخلفية، نرى من اليمين إلى اليسار، أحد التلال المسمى مناسب كيس، ثم القرية الجزائرية الحدودية بوكانون.
الصورة الأمامية تظهر التقاطع، بالقرب من ملعب كرة القدم، لثلاثة طرق رئيسية (في اتجاه السعيدية نحو الشمال، بركان نحو الغرب ووجدة نحو الجنوب) التي تشكل الشبكة الحضرية للمدينة. تتطور الأحياء الحضرية الجديدة على طول الطرق

تشمل التجهيزات التجارية أساسًا التغذية والمطاعم.
تضـم المحطـة، بشـكل رئيـسي، منـازل ثانويـة لمغاربـة الخارج، ولسـكان وجدة وبـركان. كمـا يفضل بعـض المصطافـين، المخيمات. تسـتضيف السـعيدية، المعروفـة أيضًـا بـ «اللؤلـؤة الزرقـاء»، مراكـز سـياحية، تابعـة لبعض المؤسسـات (الجمـارك، بريـد المغرب، وزارة الداخليـة، وزارة التجهـيز، الميـاه والغابـات، المركـز الجهـوي للاسـتثمار الفلاحـي لملويـة، المكتـب الوطـني للمـاء والكهربـاء، مناجـم جـرادة إلى غايـة عـام 2000...) وكذلـك مخيمـات صيفيـة. وقـد ازدادت جاذبيتهـا بفضـل «الطريـق السـاحلي المتوسـطي»، ومهرجـان موسـيقى الغرناطـي والفنـون الشـعبية، المنظـم سـنويًا منـذ عـام 1980.
يوجـد بالقـرب مـن السـعيدية، «بـين لجـراف»، وهـو موقع حـدودي، حيث يلتقـي في الصيف مـن كل جانـب، المغاربـة والجزائريون. فلقـد احتفـل المئـات مـن المغاربـة مـع مشـجعي الجزائـر، بفـوز الجزائـر بـكأس إفريقيـا للأمـم، مسـاء يـوم 19 مـن يونيـو 2019، كمـا اتجـه العديـد مـن الجزائريـين إلى بـين لجـراف، عـلى الرغـم مـن بـرودة الطقـس، للاحتفـال بانتصـار المغـرب عـلى إسـبانيا وعـلى البرتغـال، في كأس العالـم لكـرة القـدم المقامـة بقطـر، يومـي الثلاثـاء 6 والسـبت 10 دجنـبر 2022.

ساحل السعيدية

مرسى السعيدية

قصبة أد جرود، التي تأسست عام 1883، هي النواة الأولى للسعيدية، التي أنشئت عام 1929، فأصبحت المحطة البحرية للجهة الشرقية. شهدت «اللؤلؤة الزرقاء»، بشاطئها الرملي، الذي يمتد على مسافة 13 كم، انـتعاشاً عقاريا منذ عام 2000. وقد تقلصت سلسلة الكثبان الرملية، بسبب بناء مقاهي ومطاعم، وفقدت غِطاءها النباتي

السعيدية، محطة ساحلية قديمة في البحر الأبيض المتوسط

شباب وجدة في الإجازة الصيفية في السعيدية (أرشيف)

في بداية القرن العشرين، قدم شباب أغلبهم من وجدة، لقضاء العطلة الصيفية، حيث نصبوا خيامهم على الشاطئ.

اكتشف بيير ميسبوليه، وهو مراقب مدني لبني يزناسن، جمال الشاطئ، ذي الرمال الناعمة عام 1927. فصمم برنامجا لتنميته، بمعية أصدقائه - بوتان، وهو مستعمر ثري، من تريفة، ومستقر في منطقة لمريس، وفوترو، وهو محامٍ بوجدة، ومزارع بالقرب من مداغ -.

وافقت السلطات في عام 1929، على إنشاء محطة ساحلية تدعى «السعيدية-دو-كيس»، بعد أن فشل اللوبي الاستعماري في وهران، في تنفيذ مشروع إقامة ميناء الشرق المغربي هناك، لصالح نمور. ثم قامت مديرية المياه والغابات، بتجزئة 12 هكتارًا، إلى قطع تتراوح مساحتها بين 300 و 000 1 متر مربع ؛ وقد ورد عليها 125 طلبًا فور الإعلان عنها !

تم بناء 80 منزلًا وبانغالو عام 1930، وهرع أكثر من 12 000 شخص إلى السعيدية، عند حلول الصيف. انطلقت المحطة إذًا، أصبحت السعيدية بعد أربع سنوات، تتوفر على أكثر من 150 فيلا حديثة، مزودة بالمياه والكهرباء وطرق معبدة وفندق مصنف (الفندق الكبير الرمال)، وملعب للتنس وموقع مهيئ للطيران .

بلغ عدد السكان 210 نسمة عام 1936، 120 منهم أوروبيون و 90 مغربي يقيمون في القصبة. وكانت السعيدية هي الوجهة الرئيسية، في نهاية الأسبوع، للأوروبيين القاطنين بوجدة. بدأت السيارات تنتشر، فأعد مسار سياحي يربط وجدة بالسعيدية عبر أحفير، ثم يعود إلى بركان ويعبر جبال بني يزناسن من ممر تافوغالت، وأودية زكْزل، وهو مسار يربط بين البحر والجبل.

تستقطب احتفالات 15 من غشت، التي تقام كل سنة، الأوروبيين من تريفة ووجدة، وكذا الفرنسيين المقيمين بتلمسان، سيدي بلعباس ووهران.

محطة الساحل في السعيدية في عام 1936 (أرشيف)

الموقع الحدودي بن لجراف

أكليم، عين الرّكّادة ومداغ، مراكز صغيرة في تريفة

أكليم، همزة وصل لبركان بتريفة

على بعد 15 كيلومترًا غرب بركان، يعزى الوضع الحضري لأكليم إلى كونها فضاء لتجميع المنتجات الزراعية، خاصة الحوامض. فقربها من بركان يجعل منها مدينة تابعة، بنمو سكاني بطيء : 992 7 نسمة في عام 1994 و 969 8 في 2004 تم 695 9 في 2014. لا تستفيد أكليم كثيرًا من الحركة الطرقية بين بركان والناظور، وإن كان ثلث متاجرها يعتمد عليها، لأنها لا تتوفر على مدخل مباشر من الطريق الوطني رقم 2.

تتكون من نواتين : الأولى في الشمال الشرقي، وهي متطورة نسبيًا، إذ توفر خدمات وتجزئات بها مباني من طابقين ؛ الثانية في الجنوب الغربي، أصغر حجمًا، تتمحور حول السوق، وبها متاجر على طول المحور الطرقي.

مركز لجمع الحوامض، تشهد المدينة نموًا بطيئًا،
بسبب موقعها خلف طريق بركان-الناظور، وقربها
من مدينة بركان، وهي تدور في فلكها

الزاوية البودشيشية والقطب الفلاحي، مصدران لحيوية مداغ

تقع مداغ على بعد 8 كيلومترات شمال بركان، كان عدد سكانها 212 2 نسمة في 1994، معظمهم من العرب، من قبيلة ولد الصغير، المستقرة في المنطقة منذ عام 1830. تعرف مداغ نموا سكانيا بطيئا، انتقل من 312 2 نسمة في 2004 إلى 452 2 سنة 2014. تعتبر مداغ مقر الزاوية القادرية البودشيشية، التي منحت للمنطقة شهرة عالمية بفضل قدوم آلاف المريديين من أوربا، أمريكا، آسيا، أفريقيا للاحتفال بذكرى المولد النبوي. كما لعب القطب الفلاحي الصناعي الذي رأى النور في السنوات الاخيرة، دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة التي اصبحت تستقطب خدمات عصرية : وكالات بنكية، سوق للفواكه والخضر، مستوصف، عيادة، مدارس....

عين الركّادة، مركز حضري معروف بموسيقى تميزه

قام السلطان مولاي إسماعيل ببناء قصبة عين الركّادة عام 1679 لتوطيد سلطته على قبائل تريفة، ومراقبة الطرق التي تسلكها القوات الشريفية. ستتطور عين الركّادة في محيط بركان، وقد عرف سكانها نموًا ملحوظًا، من 374 2 نسمة في 1982 إلى 228 3 في 1994، ثم انخفض إلى 983 2 في 2004 و 694 2 في 2014. تتكون المدينة من مجموعة من المنازل المتكتلة، يحدها بشكل رئيسي الطريق الوطني رقم 2، الفاصل بين الأراضي الزراعية والبنايات. وتشتهر هذه المنطقة بموسيقى الركّادة الدائعة الصيت.

أكليم في بيئتها الزراعية على سفوح الجبل وسهل تريفة

رأس الماء، تحت تأثير بركان والناظور

عرفت في السابق باسم « كابو دي أگوا »، وكانت تحت الحماية الإسبانية قبل عام 1956. تقع رأس الماء في منطقة كبدانة، بإقليم الناظور. وتحد مصب واد ملوية. الموقع محاط بشاطئ طويل وبأجراف، يحميه رصيف رئيسي، طوله نصف كيلومتر تقريبًا، مجهز بمرافق الإرساء. به ميناءً للصيد وللترفيه، يضم أسطوله الساحلي، حوالي خمسة عشر مركبا للصيد، وحوالي 200 قارب للصيد التقليدي، سجل في عام 2019، أكثر من مليون طن من الأسماك.

في عزلة عن الناظور، بسبب سلسلة كبدانة، التي تقع بين البحر الأبيض المتوسط وملوية السفلى، رأس الماء قريبة من تقاطع الطرق الذي يُعرف باسم « دوار ملوية »، الآتية من بركان ووجدة والسعيدية والناظور. يُظهر نموها السكاني حيويتها : 410 2 نسمة في 1994، 580 7 في 2014... يظهر تأثير بركان والناظور عليها جليا، حيث يمتلك بعض سكان المدينتين منازل ثانوية بها، بل ويفضلونها أحيانًا على السعيدية، التي تكون مكتظة في الصيف ؛ وكذا الأمر بالنسبة لسكان وجدة. يرتاد رأس الماء المصطافون وهواة الغوص. لقد أحدثت بفضل الصيد، العديد من مطاعم الأسماك المتعددة الأطباق (السردين، الأنشوجة، الدنيس، الذئب، السمك الصخري، الحبار، القمرون...).

نسيجها الحضري على شكل مثلث، يحده طريق أحفير-بركان، والطريق المتجه شمالاً نحو العثامنة (المقهى المغربي القديم)، حيث تلتقي الطرق المؤدية إلى رأس الماء، السعيدية، أحفير، بركان، ومداغ. لم يزدد حجم المدينة بسبب تراجع عدد السكان في الوسط الحضري.

وادي زكّزل الأخضر الخصب

يتوجه سكانها للتسوق، وللاستفادة من الخدمات في بركان، مما يظهر تأثير هذه الأخيرة على طول الساحل، إلى غاية السعيدية.

المراكز القروية، من الجبل إلى السهل

الاستيطان وتطوره الحديث

استغلت قبائل بني يزناسن إلى بداية القرن العشرين، أراضيها والمجالات المجاورة : مسطحات وادي المروج المروية، حيث أشجار الفاكهة والزراعات البستانية، تربية الغنم والماعز في الأنكاد في الجنوب، زراعة الحبوب في الشمال في سفوح سهل تريفة.

وهكذا، فمن الشرق إلى الغرب، تستغل قبائل بني خالد، بني منقوش، بني عتيق، وبني أوريمش أراضيها وفق تقسيم طولي، مما يسمح لكل قبيلة من الاستفادة من نوع من التضاريس : الجبل، السفح، والسهل. تقطن بالسهل في الشمال، خمس قبائل ناطقة بالعربية، من الغرب إلى الشرق : أولاد الحاج، هوارة، أولاد الصغير، أولاد منصور، وبني منقوش. إن نشاطهم الزراعي ضعيف (تربية الحيوانات، زراعة الحبوب) بالمقارنة مع فلاحي المرتفعات، الذين يمارسون زراعة مكثفة، بتقنيات قديمة متطورة. تنتشر الأسواق في السفوح، حيث كان سكان الجبال يتبادلون مع سكان السهول، مما أسفر عن نشأة بركان وأحفير.

أحدث التقسيم الجديد في يناير 1994، إقليم بركان-تاوريرت وجماعتين قرويتين : العثامنة وسيدي بوهرية، على التوالي من مداغ وتافوغالت.

تـم تقسـيم جماعـة أكليـم إلى قسـمين : الشـويحية وبوغريبـة. وقـد أبـان تعـدادا 2004 و 2014، أن عـدد سـكان معظـم المراكـز القرويـة في الإقليـم، ثابـت أو في تناقـص ؛ باسـتثناء بلديـة أغبـال، الـتي تسـجل نمـواً صافيـاً (حـوالي ألـف نسـمة). وهـذا يعـود إلى الهجـرة القرويـة، خاصـة نحـو بـركان. أمـا الكثافـات القرويـة العاليـة، فتوجـد في السـهل (بوغريبـة، العثامنـة ومـداغ)، وفي الجبـل (زكْزل والشـويحة).

أرياف بركان العليا

تافوغالت، نحو السياحة البيئية الاستكشافية

إسـمها يـدل عـلى وفـرة الغابـات، الـتي تُشـبَّه بكثافـة الشـعر. تافوغالـت في قلـب بـني يزناسـن، عـلى بعـد 18 كيلومـتراً جنـوب غـرب بـركان. كانـت تسـمى لفـترة طويلـة عـين تافوغالـت، (صخورهـا غنيـة بالينابيـع العميقـة)، وموقعهـا اسـتراتيجي، عـلى ارتفـاع 850 مـتر، إذ تقـع في الممـر الجبـلي الـذي يحمـل إسـمها.

تعكس البنية التقليدية لمباني تافوغالت، الهوية المعمارية الأصيلة لهذه المحطة الصيفية

طريـق سريـع حديث، بمعاييـر مريحة، مما يـيسـر اليوم، الوصول إلى تافوغالت شمالا

عـثر خـلال الحفريـات الأثريـة في كهـف الحمـام (كـف الحمـام)، وهـو تجويـف طبيعـي شاسـع، تشَكّل في رواسـب الحجـر الجـيري الدولوميـتي، عـلى اكتشـافات ثمينـة. يعتـبر الكهـف واحـدا مـن المواقـع النـادرة، للعـصر الحجـري الحديـث في المغـرب. لقـد اسـتخدم معسـكره للسـيطرة عـلى المنطقـة، لأن بـه ممـر طبيعـي، في عنـق الجبـل، يفصـل بـين بـني عتيـق في الـشرق وبـني أوريمـش في الغـرب.

عرفـت تافوغالـت نمـوًا سـكانيا ضعيفـا (733 نسـمة في عـام 1960 وأقـل مـن الضعـف في عـام 2014). لقـد لوحـظ التدهـور السـكاني في الجماعـة في الإحصـاء الأخـير. تتألـف البنيـة التحتيـة مـن نـواة إداريـة، بعـض الخدمـات، مركـز للغابـات، ومشـتل للميـاه والغابـات بـه محطـة أرصـاد جويـة، ومتاجـر، بمـا فيهـا العديـد مـن المطاعـم، الـتي تقـع بالشـارع الرئيـسي، والـتي يبـاع بهـا أيضًـا لحـم الأغنـام. تعتـبر تافوغالـت مركـزاً للاصطيـاف بمؤهـلات كبـيرة، وتتمتـع بمنـاخ متوسـطي جبـلي معتـدل، بدرجـات حـرارة معتدلـة في الصيـف، وطبيعـة مخـضرة نـضرة، تتلقـى حـوالي 600 ملـم مـن الأمطـار سـنويًا. تعتـبر تافوغالـت وجهـة سـياحية في العطـل ولتنظيـم الرحـلات، إذ كانـت في فـترة الحمايـة، محطـة جبليـة وغابويـة، يزورهـا المخيمـون خـلال الصيـف، بشـكل خـاص. لكـن السـياحة انخفضـت، لأنهـا تفتقـد إلى البنيـة التحتيـة. لـذا تـم فتـح ثـلاث مـآوي سـياحية، في الآونـة الأخـيرة، وهـي أساسـية لتطويـر السـياحة البيئيـة والقرويـة أو الجبليـة. كمـا أن توسـيع الطـرق، وتجهيزهـا عـبر الطريـق الوطـني 6، أو الطريـق السـيار، قـد ينشـط السـياحية.

تقع العديد من المطاعم ومحلات طهي لحم الأغنام، على طول طريق تافوغالت

زكْزل وريسلان، في قلب جبال بني يزناسن

زكْزل، موقع بمؤهلات سياحية كبيرة

وادي زكْـزل هـو سـهل أخـضر عـلى شـكل ممـر، بـه أشـجار الفاكهـة المتوسـطية (التـين، الزيتـون، الرمـان، البرتقـال، واللـوز الشـوكي). يبلـغ طولـه حـوالي 14 كيلومـترًا، وهـو يزخـر بمناظـر خلابـة، شـبهها بعـض المؤلفـون بحديقـة هيسـبريدس الخرافية. بـه تـارة مسـطحات، وتـارة ممـرات، يقصـده خاصـة زوار مغـارة الجمـل (أو كهـف تغـاسروت)، حيـث منبـع نهـر زكْـزل.

زكْـزل هـي واحـدة مـن الجماعـات القرويـة القليلـة، الـتي تعـرف زيـادة في عـدد السـكان (399 13 نسـمة في عـام 1994 و 137 16 نسـمة في عـام 2014). وأصبحـت محـورا سـياحيًا، يسـتثمر بـه بعـض الأفـراد، بفضـل توسـيع الطريـق بـين زكْـزل وبـركان في عـام 2022. لقـد حظيـت بالرمـز الجماعـي لشـجر المـزاح، ممـا سـاهم في انتشـار صيـت السـهل.

ريسلان، سوق أسبوعي عليه إقبال متزايد

تشـتهر ريسـلان بسـوقها الأسـبوعي المجهـز بإتقـان، والـذي يقـام يـوم الأحـد. يفـد إليـه الـزوار مـن بـركان، زايـو، الناظـور ووجـدة، ثـم يتجهـون إلى تافوغالـت وزكْـزل. تسـود بـه تجـارة الأغذيـة : اللحـوم (خاصـة العـنز)، سـمك رأس المـاء، الدواجـن، البيـض، الأرانـب، الحلـزون، الفاكهـة والخـضروات، التـين البربـري، الخـروب، الجـوز، التمـور، التوابـل ... وشـتلات الأشـجار المثمـرة. يعـرف بمنتجاتـه المحليـة كالعسـل (برتقـال، خـروب، أوكلبتـوس، عنـب الذئـب، إكليـل الجبـل، الزعـتر ...) واللـوز. ينتصـب عنـد مدخـل ريسـلان، تمثـال وهـو عبـارة عـن لـوزة عـلى جـذع شـجرة لـوز. يزخـر بعـدة أنـواع مـن اللـوز، بمـا في ذلـك صنـف ماركونـا الشـهير.

قطعة صغيرة من الأرض المزروعة في وادي زكْزل

اللوز، مورد مهم في ريسلان، يعبر علن ذلك التمثال عند مدخل القرية

أرياف السفح وسهل تريفة

ميزتان بالشويحية : الأركان والعلاج بالمياه المعدنية

تقـع الشـويحية عـلى سـفوح بـني يزناسـن مـن الشـمال، حيـث تتقاطـع ثـلاث طـرق : الأولى قادمـة مـن بـركان، والأخـرى تـؤدي إلى سـد مـشرع حمـادي في الجنـوب الغـربي، والثالثـة تحـادي خـط القمـم نحـو ريسـلان وتافوغالـت في الـشرق. ينمـو بهـا عـلى 300 هكتـار شـجر الأركان، الـذي صنفـه اليونسـكو في عـام 1998، «تراثـا عالميـا للإنسـانية». فهـو معلمـة سـياحية، وثـروة ينبغـي حمايتهـا وتثمينهـا. منـذ عـام 2003، تقـوم تعاونيـة بإنتـاج زيتـالأركان، كمـادة تسـتعمل للغـذاء والتجميـل. كمـا توجـد بهـا ميـاه معدنيـة في وسـط الجماعـة، والـتي تشـتمل عـلى خصائـص علاجيـة لبعـض الأمـراض الجلديـة.

أركان الشويحية

ثمرة الأركان

فزوان، إقلاع السياحة الجهوية بفضل المنتجع الصحي

بـين أحفـير وبـركان، عـلى السـفوح الشـمالية، يتوفـر فـزوان عـلى مركـز للعـلاج بالميـاه المعدنيـة. نبعهـا بـركاني، وقـد اشـتهر منـذ الاسـتقصاءات الـتي أجريـت عامـي 1961 و1962. تحتـوي الميـاه عـلى معـادن (بيكربونـات الكالسـيوم والمغنيسـيوم) ولها خصائص استشـفائية، خاصـة لأمـراض الـكلى. تـم تجهـيز المحطـة وتزويدهـا بحمامـات للعـلاج، بالإضافـة إلى بعـض الخدمـات العموميـة ومسـتوصف ومتاجـر صغـيرة. توجـد بـه ثلاثـة فنـادق مصنفـة، لإيـواء مئـات الـزوار القادمـين مـن الناظـور، بـركان ووجـدة...

عين الصفا، كهف صفرو وأشجار اللوز

تجمع عين الصفا بين قريتين : ورُّو وكهف صفرو، قرب المنبع والوادي اللذان يحملان نفس الاسم. فهي منطلق طريق القمم، التي تؤدي إلى تافوغالت وتنتهي في الشويحية. تتكون مواردها الرئيسية من الحبوب والخضروات والزراعة (خاصة شجر اللوز). يستوفي اللوز، المنتج المحلي المحبب، الشروط اللازمة للحصول على الترميز. تراجع سكان الجماعة لصالح وجدة وبركان (727 5 نسمة في عام 1994 و 490 4 في عام 2014). تشتهر عين الصفا ب (سبع قباب)، وهي مقابر الأولياء الصالحين لبني وكيل، وبسوقها الذي يطل على سهل أنكاد، بالإضافة إلى كهف صفرو بمياهه النقية. تم تزيين جزء من واد صفرو بنوافير مضيئة، تنبعث من بين الحصى.

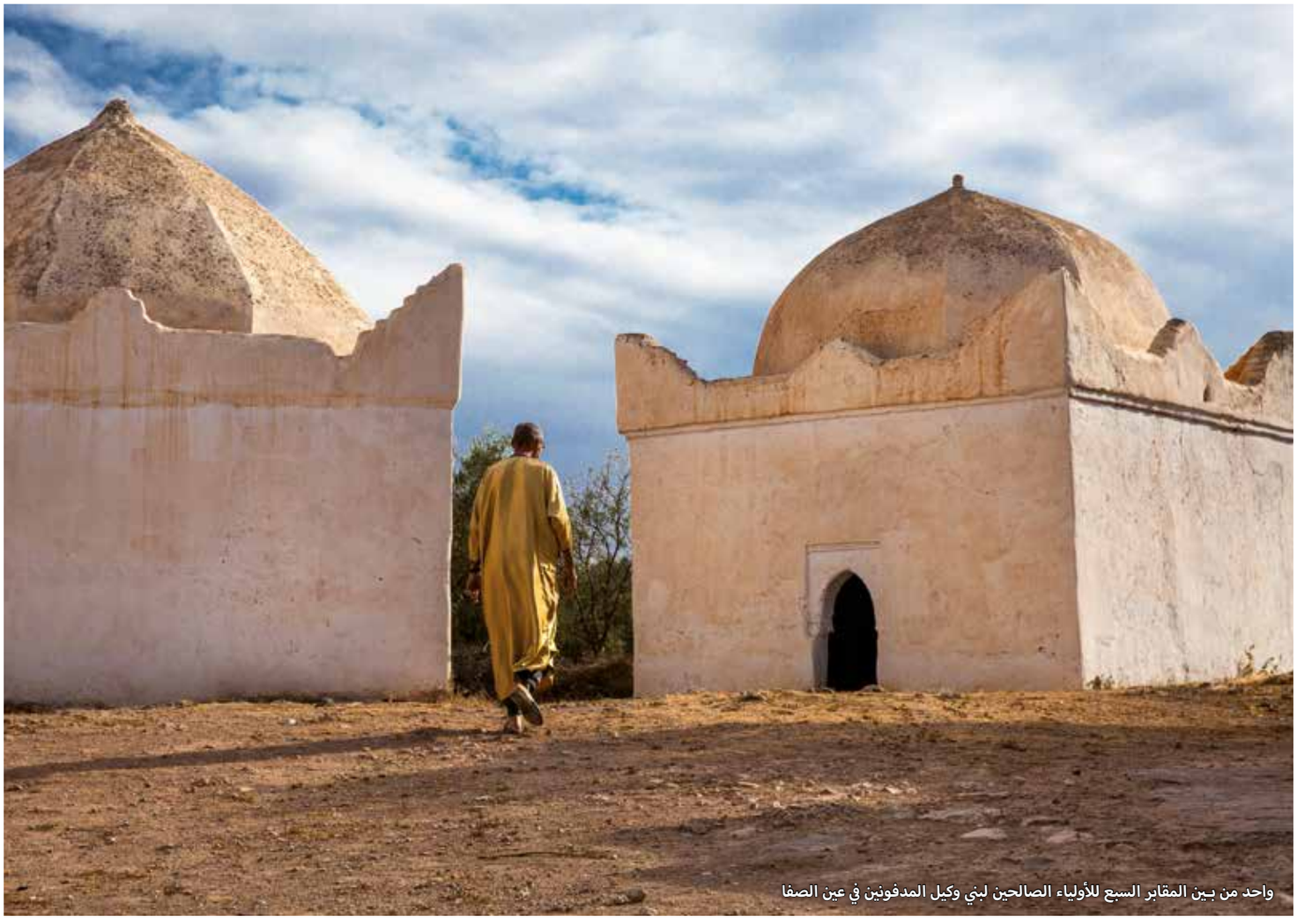

واحد من بين المقابر السبع للأولياء الصالحين لبني وكيل المدفونين في عين الصفا

الأراضي المحيطة بأكليم والشويحية

شجرة اللوز
قرب عين الصفا

سيدي بوهرية، عند تقاطع أنكّاد وبني يزناسن

كانت فيما قبل، قرية استعمارية قديمة، تحمل اسم ولي صالح. تقلص عدد السكان (901 5 نسمة في عام 1994 إلى 525 4 في عام 2014). بها سيدي بوهرية، سوق الجمعة، بعض المتاجر والخدمات، مستوصف، مدرسة ابتدائية ومدرسة إعدادية. تقع عند تقاطع الطريق بين تافوغالت ووجدة، باتجاه العيون، وهي تعاني من موقعها في الطرف الشمالي لسهل أنكّاد، عند سفح الجبل الذي يفصلها عن بركان. يعتقد بعض المؤرخين، أن قبر بابا عرّوج في سيدي بوهرية هو في الحقيقة قبر القرصان التركي بربروس.

بوغريبة، العثامنة وأغبال، كثافة سكانية عالية

بوغريبة، توازن بين الموارد وحاجيات السكان

بلغت ساكنتها 513 20 نسمة سنة 2014، تقع الجماعة القروية على ملتقى الطريق بين بركان والناظور، الذي يعرف حركة كبيرة، لأنها تؤدي إلى سد مشرع حمادي، المتصل بالطريق السيار. تقوم بوغريبة بتدير الأراضي الخصبة في الغرب، وتستفيد من حركة الطرق. باستثناء مستوصفها ومدارسها، يتوجه السكان إلى بركان من أجل التسوق والاستفادة من بعض الخدمات. تعاني بوغريبة من نسبة عالية من الملوحة في مياهها الجوفية. سيتم قريبا إنشاء محطة لتحلية الماء، تعمل بالطاقة الشمسية في دوار الحمري، بدعم من جامعة محمد الأول في وجدة ومعهد ألماني، التي ستنتج أكثر من 200 لتر من المياه الصالحة للشرب يوميا.

لعثامنة ولمريس، اقتصاديات تحت تأثير بركان

تقع لعثامنة في مفترق خمس طرق مؤدية لبركان، أحفير، السعيدية، رأس الماء وبوغريبة. انخفض عدد سكانها من 493 15 نسمة في عام 2004 إلى 996 13 نسمة في عام 2014، مما يشير إلى دينامية ضعيفة. ليس للقرية الاستعمارية القديمة، الواقعة قرب بركان، تجهيزات كثيرة.

قـام العديـد مـن سـكان بـركان ووجـدة، ببنـاء منـازل ثانويـة في هـذه المنطقـة، نظـرًا لأسـعارها المنخفضـة، مقارنـة مـع السـعيدية، الـتي تبعـد بحـوالي عـشرة كيلومـترات. يسـتفيد المركـز الصغـير لمريـس، مـن حركـة الطـرق بـين وجـدة والسـعيدية.

يحتل التين مكانة خاصة في أغبال، بالقرب من أحفير

أغبـال (وتعـني « العـين » بالأمازيغيـة)، قريبـة مـن أحفـير، تقـع في نهايـة سـفوح بـني يزناسـن الشـمالية، وتطـل عـلى شرق تريفـة. تنبـع فيهـا ثلاثـة عيـون رئيسـية : عـين عيشـون غربًـا، الـتي تتدفـق منهـا ميـاه معدنيـة صالحـة للـشرب، ودافئـة في الشـتاء، وعـين مورجيـا وعـين أغبـال جنوبًـا، المخصصـة للـري، حيـث يتـم تجميـع مياههـا في حـوض كبـير. يسـتمتع بهـا شـباب أحفـير وأغبـال في الصيـف كمسـبح للاسـتجمام.

يتجـه السـكان إلى أحفـير مـن أجـل المتاجـر، والأسـواق يومـي الاثنـين والخميـس، والتجهـيزات والخدمـات. تسـمح الأمطـار الغزيـرة، بالإضافـة إلى أشـجار الثالـوث المتوسـطي (الزيتـون، العنـب والتـين الـتي تنتـشر مزارعهـا)، مـن زراعـة الحبـوب والخـضروات دون الحاجـة إلى الـري.

أصبـح التـين وأشـجار التـين رمـزًا مميـزًا للمدينـة، لدرجـة أن جمعيـة غرماويـن للمنتجـين في أغبـال، تنظـم مهرجانـا للتـين سـنويا، بدعـم مـن وكالـة تنميـة جهـة الـشرق. تبـاع بهـا العديـد مـن الأصنـاف (شـتوي، غـودان، أسـود، عنـق الحمـام ...) وكـذا بعـض المنتجـات المشـتقة منـه مثـل المـربّى.

جبال بـني يـزنـاسن
وسفوحها الممتدة نحو تريفة

ديـمـومـة الـمـــوارد

فضاءات
تتألق بها الطبيعة

إن الاهتمام بالبيئة المحيطة ببـركان
ينبع من القيم التراـ لهذه المناطق،
التي لم تـكن معروـ لا بشكل محدود حتى
عام 1996، وهو الـ ر الذي تم فيه
تصنيف مصب نهر ـ ية وجبال بني يزناسن
كموقع ذي أهمية بـ جية وبيئية.
أنها تحتوي على الـ ت الجمالية والعلمية
والتربوية الضرورية للمجتمعات البشرية.

أهم المواقع البيئية وإشكالياتها

يمثل الموقعان أهمية بيولوجية وبيئية بالغتين (SIBE)، بفضل تنوع الموائل البيئية، حيث تعيش الحيوانات والنباتات المتنوعة، والغنية بخصائصها اللافتة للنظر. تضم المنطقة مواقع أخرى للثروات الطبيعية، مثل حديقة اللقلق الأبيض، التي يهتم المسؤولون والسكان بحماية مواردها.

حديقة اللقلق الأبيض في بركان

تقع هذه الحديقة المليئة بأشجار الأوكالبتوس جنوب المدينة، على الضفة اليمنى لواد شراعة، بالقرب من ضريح سيدي أحمد أبركان والمسجد الكبير في بركان. تحتوي على ثلاثة وثلاثين عش للقلق الأبيض، وهو ثاني أكبر تجمع في المغرب. لقد استقر أول زوج عام 1953، لكن بعض الخبراء يظن أن وجودهم يعود إلى قرون عديدة في المنطقة. بعد ازدياد مستمر في عدد الأزواج في الموقع، لقد انخفض عددهم في السنوات الأخيرة: إذ لم يُحص إلا 46 زوجًا عام 2003. لقد أثرت الأنشطة البشرية، وتغير المناخ على هجرة اللقلق.

تقوم «جمعية حماية اللقلق الأبيض»، التي تأسست في عام 2004، بحملات توعية لحماية وتعزيز هذا التراث الطبيعي الرمزي للمدينة.

لتثمين هذا الموقع، تم إنشاء حديقة موضوعاتية، بها متحف، أنجز من قبل إقليم بركان، في إطار تطوير المساحات الخضراء للمدينة، بشراكة مع المجلس البلدي، ووزارة الطاقة والمعادن والماء، والمديرية الإقليمية للمياه والغابات، وشركة العمران.

ا لموقع البيولوجي لمصب نهر مولوية

بمساحة تبلغ 4،745 هكتارًا يقع بين السعيدية ورأس الماء، عبر الطريق الوطني رقم 16. لقد صنف منذ عام 2005، منطقة محمية في قائمة الأراضي الرطبة، ذات الأهمية الدولية (رامسار) للطيور المائية.

يمتد الموقع SIBE من مستنقع العين الزَّرْكَا في الأعلى، إلى مصب نهر ملوية في الأسفل، ويشمل مستنقعات الشرارية والكثبان الرملية حول النهر. يهمُّ الموقع ثلاث جماعات قروية : مداغ وبوغريبة في إقليم بركان على الضفة اليمنى ؛ ورأس الماء في إقليم الناظور على الضفة اليسرى.

يعتبر مصب نهر ملوية، الذي يتمتع بقيمة تراثية عظيمة، موقعا استثنائيا: هو أكبر مصب نهر في ساحل البحر الأبيض المتوسط للمغرب العربي. يتشكل من أوسع المناطق المالحة في شمال إفريقيا على ضفته اليمنى، ويحتضن أطول تجمعات أشجار التماريكس، في المغرب. يلعب الموقع دورًا بيئيًا كبيرًا : فهو يمتص فيضانات النهر، ويوفر بيئة أساسية لهجرة العديد من أنواع الأسماك النادرة، أو المهددة في المغرب. تستخدمه العديد من الطيور المهاجرة، كمحطة أو كمكان لإقامة الأعشاش. يضم الموقع أنواعًا لها قيمة عالمية: 109 نباتية (13 متأصلة، 6 نادرة، 4 مهددة و 86 مميزة) و 159 حيوانية (25 متأصلة، 65 نادرة، 25 مهددة و44 مميزة). يحتوي الموقع على أكبر تجمع لأنواع الطيور في شرق المغرب: أكثر من 200 نوع، منها 40 إلى 60 معشِّشة وأكثر من 70 شتوية. بعضها محمي، مثل :

- النورس أودوان، نوع مهدد (حوالي 000 20 زوج في العالم) ؛
- الحذف الرخامي، نوع هش (حوالي 000 3 فرد في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط) ؛
- طائر الفرفور الأرجواني (حوالي 20 إلى 30 زوجًا قرب المصب).

من اليسار إلى اليمين: الواق الكبير، الحذف الرخامي، النكات المغيزلي

مصب نهر ملوية في قلب المحمية البيئية التي تحمل نفس الاسم

نجـد أيضًـا في المحميـة البيئيـة العديـد مـن الأنـواع المتميـزة، مثـل النحـام الـوردي، نقـار لوفايـان، حميـراء موسـيه... وغيرهـا الـتي أصبحـت نـادرة جـدًا مثـل البلشـون الأرجـواني، الطُّوَل الأبيـض، النـكات المغـيزلي، والـواق الكبـير، والـواق الذهـبي... تـم التأكـد مـن وجـود بعـض الأنـواع النـادرة مـن الفراشـات مثـل جاسـون، الملـك، نوكتـول دو رونجـي، بـاون دو نويـت دو لـوكاس، وأزوري وهـراني وهـي أنـواع مهـددة بالانقـراض.

اسـتفادت محميـة مصـب نهـر ملويـة مـن برنامـج Med West Coast المغـربي (حمايـة المناطـق السـاحلية في حـوض البحـر الأبيـض المتوسـط) الـذي يهـدف إلى دعـم التسـيير المشـترك والمسـتدام. لكـن الموقـع مهـدد الآن مـن قِبـل بعـض الأنشـطة الزراعيـة والرعـي، السـياحة، الصيـد الجائـر، واسـتخراج الرمـال، بالإضافـة إلى تـآكل الكثبـان الرمليـة المجـاورة للمصـب. وهنـاك أيضًـا خطـر الجفـاف، بسـبب القحـط المتكـرر والاسـتخراج مـن المنبـع، خصوصًـا بواسـطة الضـخ مـن أجـل الـري، ولتلبيـة حاجيـات السـكان. فعـلى سـبيل المثـال، لـم يصـل النهـر إلى البحـر سـنة 2021...

تتصاعـد الميـاه المالحـة لمسـافة حـوالي خمسـة عـشر كيلومـترًا مـن مصـب النهـر، ممـا يـضر بالتنـوع البيولوجـي المـائي ونوعيـة التربـة، الـتي كانـت في الأصـل ذات ملوحـة مرتفعـة. لـذا، فينبغـي دراسـة أي مـشروع، قـد يتفاعـل مـع نهـر ملويـة، مـن زاويـة تأثـيره عـلى تدفقـه ومجـراه.

لقـد أطلـق مـشروع مبتكـر في أوائـل عـام 2023 : يهـدف إلى إنشـاء نظـام رقمـي، لتقييـم ومتابعـة جميـع المواطـن والنظـم البيئيـة في مصـب نهـر ملويـة. وهـو وليـد شراكـة بـين إقليـم بـركان، وزارة البيئـة، الوكالـة الوطنيـة للميـاه والغابـات، المجلـس الإقليمـي للـشرق، المجلـس الإقليمـي لـبركان، جماعـة السـعيدية، وكالـة حـوض ملويـة، شركـة تطويـر السـعيدية، وجمعيـة الإنسـان والبيئـة.

من الأعلى إلى الأسفل : النحام الوردي، النقار لوفايان، حميراء موسيـيه، المالك الحزين الأرجواني،

من اليمين الى اليسار : طائر الطوالة دجاجة الماء الارجوانية نورس أودوين طائر السلطعون المشعر

صور من بني يزناسن
أعلى :
الضأن البربري
الذي أعيد إدخاله
سنة 1999
أسفل :
شجر الخروب
(على اليسار)،
تين ونخيل قزم
(على اليمين)،
نباتات متأصلة

موقع الاهتمام البيئي والبيولوجي في بني يزناسن

يغطي مساحة تبلغ 300 8 هكتار في إقليم بركان، موزعة بين جماعات بوغريبة، تافوغالت، زكزل، فزوان وعين صفا، حيث يوجد أكثر من 000 6 هكتار مغطاة بأشجار الأرز، بالإضافة إلى شجر البلوط في جبل فوغال.

إلى جانب ثرائه النباتي، يزخر جبل بني يزناسن بحيوانات برية متنوعة، مثل الثدييات (الخنزير الوحشي، الأرنب، القنفذ، ثعلب الماء، النمس، القط البري...) والطيور (الحجل، اليمامة، النسر الذهبي، اللقلق الأبيض، الصقر، الزرزور، بومة كبيرة...) والزواحف (هو ثاني أكبر موقع في المملكة من حيث عدد الأنواع).

يوفر الموقع مأوى مثاليًا للعديد من الأنواع الحيوانية. بعضها انقرض أو في خطر شديد وهي محمية، إذ أعيد إدخال البعض منها منذ الستينات، مثل الضأن البربري في عام 1999 في محمية بالقرب من تافوغالت (توجد فقط عدة عشرات من الأفراد في الحياة البرية ببني يزناسن (يزخر الموقع بأجمل المناظر الطبيعية الموجودة في بني يزناسن، من كهوف، وأجراف ومنحدرات، وتنوعاً كبيراً في البيئات. يحتوي كذلك على ثروات هائلة تعود إلى ما قبل التاريخ (خاصة كهف الحمام المشهور) وعجائب طبيعية (كهف الجمل، وادي المزاح...) مما يخول له مؤهلات سياحية بيئية كبيرة. بفضل تنوع المناخات والجغرافية المتباينة، بالموقع أيضًا العديد من أنواع الأشجار، التي تضفي على المناظر الطبيعية حلة خاصة، وهي جزء من هويتها الطبيعية. نذكر من بين أهمها :

- الفستق الأطلسي، والعناب، الذي تدهور بسبب الجفاف ؛
- زيتون وحشي أو «الزيتون البري»، كان شائعًا في الماضي، ولا تزال بعض النماذج منه ؛
- الأوكسيسدر أو «الأرز الصغير»، وهو نادر، يوجد في المناطق الموجودة بين الأرز والبلوط الأخضر ؛
- بلوط كرمس أو «بلوط الغاريغ»، وهو نادر في المغرب، يوجد في الأماكن المختلطة بالأرز والبلوط الأخضر؛
- البلوط الأخضر، وهو النوع الأكثر انتشارًا، يغطي القمم المرتبطة بالأرز أو الصنوبر الحلبي ؛
- الصنوبر الحلبي، وهو ينمو عفويا، يتكيف مع المناخ شبه الجاف، غالبًا ما يتم زرعه لإعادة التشجير ؛
- الثويا، المشهور بجودة وأصالة خشبه، فهو نوع مهدد، ينمو في المناخ شبه الجاف ؛
- الأرگان، نادر في المغرب الشرقي، وهو مهدد بسبب الجفاف وانعدام التجديد والاستخدام المفرط.

قيمة تراثية وأخطار واضحة

تعاني بركان والمناطق المجاورة لها من تغير المناخ، مع إجهاد مائي دائم، أثر على التراث البيئي والاقتصاد المحلي. لا بد إذا من اتخاذ تدابير بيئية مستدامة، للحفاظ على الموارد الطبيعية، وللزيادة في قدرتها على المقاومة بشكل عام، وعلى الموارد المائية بشكل خاص.

بلوط كرمس أو «بلوط الگاريگ»

الأوكسيسدر أو «الأرز الصغير»

العناب

الأرگان

الزيتون البري أو «ألياستر»

الفستق

أشجار الصنوبر في نواحي عين ألمو

الديمومة
للحفاظ على الموارد

المياه الجوفية حول بركان

يوجـد حـوالي ثلاثـين تجويـف مـائي في حـوض نهـر ملويـة. تختلـف أهميتهـا، مـن حيـث الكميـة والنوعيـة، وبحسـب التراكيـب الجيولوجيـة، وطبيعـة المخـازن الليثولوجيـة والمنـاخ. يقـدر الحجـم الـكلي لميـاه الجـوف المتجـددة بحـوالي 520 مليـار مـتر مكعـب سـنويًا، يوجـد حـوالي ثُمُنـه شـمالًا، لـه نسـبة ملوحـة عاليـة (وكارب-بوعـارك)، وفقًـا لوكالـة الحـوض المـائي لملويـة. يوجـد أكـبر تجويـف ببـني يزناسـن. يظهـر هـذا التجويـف (حـوالي 180 لـتر في الثانيـة) في بعـض المرتفعـات وعـلى التـلال الشـمالية؛ يصـب جـزء مـن الميـاه في تجويـف وفي حفـرة صـبرا. يحتـوي مرتفـع بـني بـو ياحـي، بسـفوحه الحـادة، عـلى تجويـف محـدود، بسـبب جفـاف المنـاخ، وتدفـق الميـاه السريـع والمؤقـت. تعـد المـوارد المائيـة في الجبلـين، المقـدرة مـا بـين 50 و 100 مليـار مـتر مكعـب، أساسـية لهيدرولوجيـا نهـر ملويـة و. يغطـي تجويـف 460 كيلومـتر مربـع بـين سلاسـل كبدانـة وبـني يزناسـن. كان الـصرف يتـم في السـابق طبيعيًـا عـلى طـول نهـر ملويـة، ويضـخ الآن بشـكل أكـبر. يـتراوح عمـق تجويـف (بيـنن 5 إلى 40 مـترًا) ؛ وبسـبب الضـخ المسـتمر (حـوالي 000 4 بـئر)، وينخفـض السـقف باسـتمرار.

آثار ومستقبل الزراعة المروية الحديثة

سـاهم الـري في بشـكل كبـير، في الزيـادة السريعـة والقويـة للإنتـاج الزراعـي، ولكنـه أدى أيضـا إلى تدهـور جـودة الميـاه. لقـد سـجلت معـدلات عاليـة مـن النـترات في معظـم الآبـار، خاصـة في الشـمال الغـربي، ووسـط . تعـود نسـبة الملوحـة العاليـة إلى إعـادة اسـتخدام ميـاه الـري. أكـبر الينابيـع في هما عـين زبـدة وعـين شـباك. لكـن تدفقهـم الضعيـف، يـؤدي إلى شـحن المـاء بالملـح، ممـا يتسـبب في ضرورة ضـخ نهـر ملويـة، وبالتـالي يعـرض تدفقـه البيولوجـي للخطـر. تحتـوي حفـرة الشراربـة السـاحلية، شـمال ، عـلى احتياطيـات مـن ميـاه الجـوف المالحـة. مـن أجـل الحفـاظ عـلى الميـاه الجوفيـة، والمنظومـة البيئيـة النهريـة لملويـة السـفلية، فأصبـح مـن الـضروري الانتقـال إلى زراعـة معقلنـة. لقـد ظهـرت تقنيـات جديـدة واعـدة، مثـل الـري النانـوي الـذي يقلـص كميـة المـاء إلى خمسـة أضعـاف، ممـا يحقـق وفـرا كبـيرا في المـوارد المائيـة، وفي طاقـة الضـخ. ومـن الـضروري أيضـا تطويـر الزراعـة العضويـة؛ والانتقـال إلى زراعـات لا تحتـاج إلى كميـات كبـيرة مـن المـاء.

ملوية، التي تأثرت بالجفاف وبالضخ الشديد،
لا تصب دائمًا في البحر الأبيض المتوسط

لقـد انخفـض حاليًـا صبيـب نهـر ملويـة بشـكل كبـير، لدرجـة أنه لـم يعـد يصـب في البحـر، بينمـا ينبغـي الحفـاظ عـلى التدفـق البيـئي، عنـد مصـب النهـر. يؤثـر ضـخ ميـاه الجـوف في ، بشـكل كبـير، عـلى إمـداد المناطـق الرطبـة بالميـاه.
تُـدرس الآن تدابـير لاسـتيعاد شـكل وحيويـة النهـر الطبيعيـين، وللحفـاظ عـلى وظائفـه في التنقيـة الذاتيـة والتنظيـم الـذاتي.

تدبير مياه الصرف الصحي، معالجة ممنهجة.

محطة معالجة مياه الصرف الصحي (*STEP*) في بركان :

تقـع شـمال غـرب المدينـة، عـلى بعـد حـوالي 7 كيلومـترات، وكانـت هـذه المنشـأة تعتمـد عـلى «التجمـع الطبيعـي». بلغـت أقصاهـا مـع التطـور الديموغـرافي والحـضري، وأنجـزت فيهـا العديـد مـن التعديـلات لإقامـة «التجمـع المُهـوّى»، ومضاعفـة مسـاحته لـكي تبلـغ 60 هكتـارا.
تقـوم STEP بطـرح الميـاه المعالجـة وفقًـا للمعايـير المغربيـة، وتحـد مـن الروائـح الكريهـة (حـوض مغطـى بغشـاء جيـو، مـع جمـع وحـرق الغـاز الحيـوي). وتسـاعد الريـاح المنتظمـة، في اتجـاه الشـمال، في إبعـاد الروائـح الـتي قـد تـأتي مـن المدينـة.
سـتتمكن المحطـة مـن معالجـة 16 000 مـتر مكعـب يوميًـا بحلـول عـام 2035.
يمكـن إعـادة الميـاه المعالجـة إلى واد شراعـة، أو إعـادة اسـتخدامها في الزراعـة، أو لـري المسـاحات الخـضراء في المدينـة الـتي مـن المتوقـع أن تبلـغ حـوالي 220 هكتـارًا بحلـول عـام 2035.

صورة جوية لمحطة معالجة مياه الصرف الصحي في بركان

محطات معالجة مياه الصرف الصحي في السعيدية والقطب الزراعي ببركان

تستخدم محطة السعيدية مثل بركان، الأسلوب المعروف بـ « التجمع المُهوّى ». بقدرة معالجة تبلغ 400 20 متر مكعب يوميًا، تم إنشاؤها بشراكة مع شركة تنمية السعيدية. تقوم الأنابيب الآن، بنقل مياه الصرف الصحي من المدينة ومنتجع الشاطئ إلى هذه المحطة. يستفيد القطب الزراعي أيضًا من محطة من نفس النوع، لمعالجة مياه الصرف الصحي، وتلك التي تأتي من العتامنة ومداغ. ستصل طاقتها اليومية إلى 456 1 متر مكعب بحلول عام 2030.

تدبير النفايات الصلبة، حديث ومتكامل

بالنسبة لبركان، تقوم شركة التنمية المحلية « مرافق بركان » بجمع النفايات المنزلية وما شابهها (أقل من كيلوغرام واحد للفرد في اليوم، بما فيها النفايات الصناعية والسياحية) وتدير مكب القمامة البلدي، الذي يقع على بعد 12 كيلومترا من المدينة.

تعالج مكب القمامة حوالي 000 64 طن سنويًا. كما أن نفايات السعيدية تنقل إليها، منذ سنة 2013. انضمت جماعات العتامنة ومداغ إلى «مجموعة »، التي تتولى تدبيرها بشكل منفصل، وتنقل منذ ذلك الحين نفاياتها أيضًا إليها.

لقد أغلق مكب القمامة القديم في بلدية العتامنة، وتم ترميمه. سيحسن مركز فرز وتثمين النفايات المنزلية وما شابهها، من معدل إعادة التدوير. سيساهم في تطوير واد شراعة، وإزالة النقط السوداء وإنشاء حدائق بيئية على طول واد شراعة.

صورة جوية لمحطة معالجة مياه الصرف الصحي في بركان

الـتـاريـخ وحُـجَـجُـه

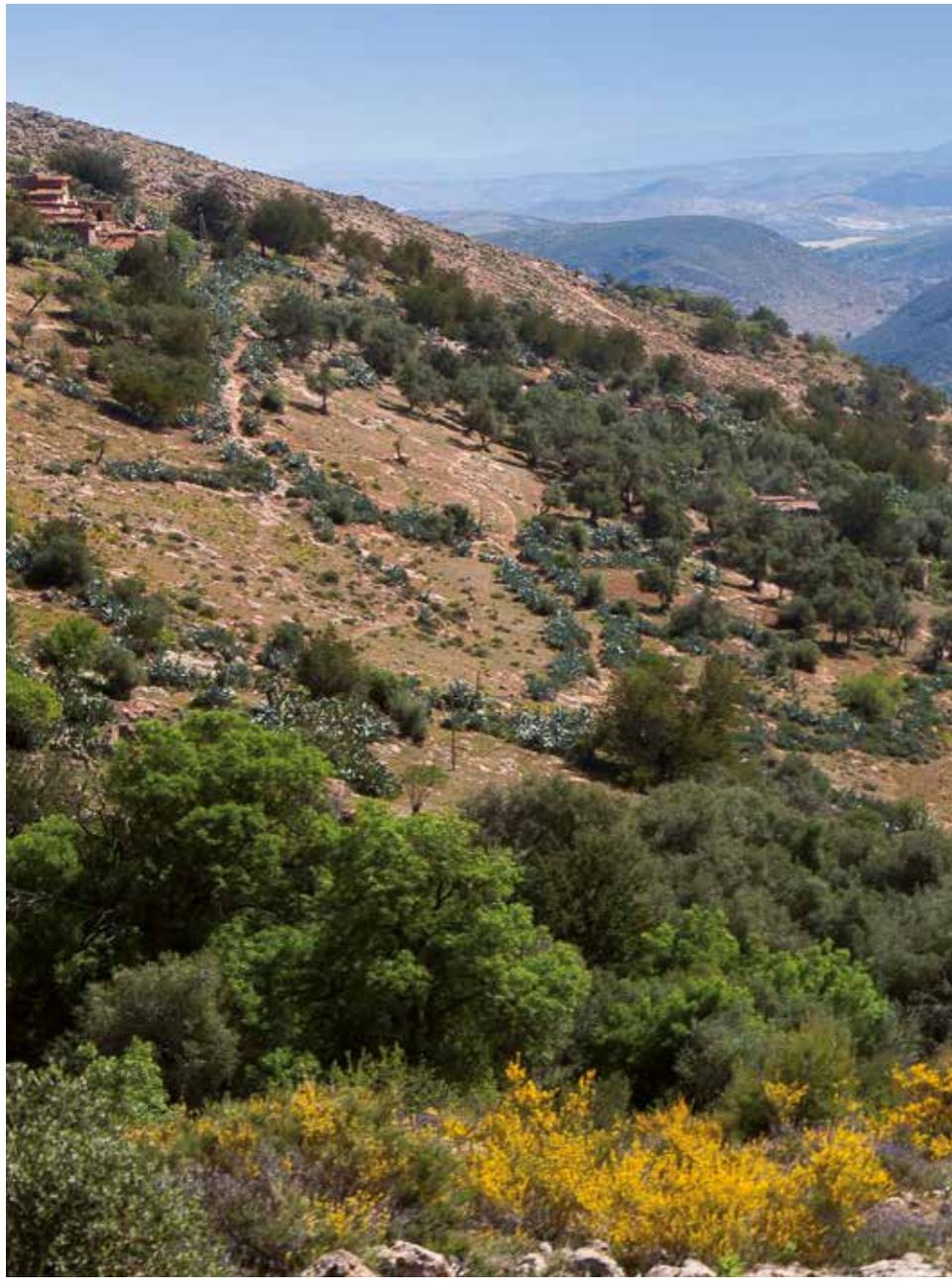

«الإنسان الذكي» منذ 300،000 عام

تعتبر منطقة بني يزناسن موقعا رئيسيا لتراث ما قبل التاريخ، وذ[illegible]يمة أثرية عالمية. لم ينقطع الوجود [illegible]شري في المناطق المحيطة ببركان منذ [illegible]لاف السنين. لقد نجحت الحضار[illegible] فيما بينها، من التوترات إلى المعارك. ونتج ع[illegible] ذلك مزيج عرقي محدد، ثمرة ذكاء مجتمعي [illegible]هل جعل من هذه الأراضي مساحة فريدة وغنية.

جزء من ذاكرة الإنسانية

ملايين السنين أعدت موطن البشرية الأولى

بـدأ العـصر الرباعـي منـذ 2.6 مليـون سـنة، بعـد تطـور طويـل يلائـم حيـاة البشريـة، تشـبه البيئـة فيهـا، إلى حـد كبـير، تلـك الـتي نشـهدها اليـوم.

لقـد تكونـت في المناطـق الكارسـتيكية الكهوف والأوديـة الخصبة، الغنيـة بالنباتـات، ومخـازن الميـاه العذبـة ومنابعهـا. تشـير الحفريـات الأثريـة، مثـل الـتي أنجـزت في أولاد منصـور (بـين بـركان والسـعيدية)، في منطقـة مولويـة السـفلى، إلى أن تواجـد البـشر، الـذي قـد يعـود إلى مليـون سـنة عـلى الأقـل. تشـبه الأدوات المكتشـفة، الـتي صنعـت محليـا مـن قبـل الوافديـن الأوائـل، تلـك الـتي عـثر عليهـا في شرق وجنـوب إفريقيـا في نفـس الفـترة. وبذلـك فقـد اسـتوطن الإنسـان العمـودي، (Homo Erectus) السـهول والهضـاب في بـركان ومـا جاورهـا.

لقد وجد بها مصادر غذائه (المياه العذبة، الفاكهة المقطوفة، الحبوب وجميع أنواع الصيد)، موآي طبيعية، ومناخ ملائم، ومواد خام ضرورية لصناعته، مثل حصى الصوان والكوارتز. تشهد على ذلك وفرة الأدوات التي تم العثور عليها، خاصة الأدوات ذات حدّين، التي كانت تستخدم لكشط لحم الحيوانات، وكسر العظام لاستخراج النخاع الثمين. كان الإنسان العمودي يسكن على ضفاف الأنهار وليس في الكهوف، التي ما كان يستخدمها إلا كمأوى ليحتمي من الحيوانات المفترسة المتعددة، التي غالبا ما كانت أقوى منه، (ولهذا كان الإنسان العمودي يعيش ويصطاد ضمن مجموعات). سوف يتعايش الإنسان الحكيم لفترة طويلة مع الإنسان العمودي، الذي انقرض قبل حوالي 300 000 عام. لقد استقر إذا الإنسان الحكيم، أو «الذكي»، فانتشر الجنس البشري في جميع أنحاء المنطقة، بفضل ذكائه، وخاصة بفضل قدراته الكبيرة على التكيف والابتكار.

في الأعلى : أداة من العصر العاتري من كهف الحمام (أكثر من 100 000 عام)

في المنتصف : شظية عظم استخدمت لتحضير المغر الأحمر

في الأسفل : أداة ذات حدين تعود إلى العهد الأشولي في أولاد منصور (مليون سنة على الأقل)

قلادة من شظايا قشر بيض النعام في مراحل مختلفة من عملية التطور

أصداف بحرية مثقوبة لتصاريوس

صـورة لـممـر ألـمـو في واكـلان،
سـهـل تريـفـة والـبـحـر الأبـيـض الـمـتـوسـط على الأفـق

في تـافوغالـت، ابـتكـر «الإنسان الذكي» الثقافة

أصبحـت جبـال بـني يزناسـن مغطـاة بالغابـات، بمنـاخ أكـثر رطوبـة وحـرارة، ثـم أصبـح أكـثر جفافًـا وبـرودة منـذ 000 90 عامًـا ؛ فحلـت أشـجار الأرز محـل الزيتـون الـبري والخـروب. اسـتطاع الإنسـان الـذكي التكيـف مـع هـذه التغيـيرات، خصوصًـا بفضـل إتقانـه للنـار. أصبـح قـادرا عـلى صيـد الحيوانات الكبـيرة (وحيـد القـرن، والمـوظ، وحيـوان النـو، والغـزال، والنعـام، والبوبـال، والخنزيـر والحصان...). اخـترع كذلـك قطـع الأدوات الـتي توُضـع عـلى رؤوس السـهام أو الرمـاح، ممـا يسـمح بالصيـد مـن بعيـد، ويجعلـه أكـثر سـلامة لـه.

هنـا نتحـدث عـن « الثقافـة الأثيريـة »، حيـث ابتكـر إنسـان بـني يزناسـن الرمزيـة والجماليـات، مـن خـلال صياغـة أولى الحـلي : قطـع مـن الأصـداف البحريـة المثقوبـة المجمعـة في عقـود وأسـاور. كان « صائغو المجوهـرات » يمزجـون أحيانًـا الأصـداف بالمغـر الأحمـر، أو يصهرونهـا بالنـار، للحصـول عـلى اللـون الأسـود اللامـع. تسـمح هـذه الألـوان بإنجـاز تركيبـات متنوعـة. لقـد عـثر عـلى أقـدم القطـع في كهـف الحمـام، في تافوغالـت. بعـد آلاف السـنين، عـثر عـلى قطـع مشـابهة في الـشرق الأوسـط، وجنـوب أفريقيـا، ممـا يشـير إلى قيـم وتـراث وهويـة مشـتركة... بـل ولربمـا إلى لغـة، تلقـن بهـا التقنيـات.

نـشأة الـتماسك الاجـتمـاعي والـهجـرات نـحـو أوروبـا

أدى الجفـاف الشـديد قبـل 000 25 سـنة، إلى نقـص في تدفـق الميـاه في الأنهـار، وفي تضـاءل الغابـات، فظهـرت مسـاحات واسـعة، حيـث لا ينبـت إلا الحلفـاء تقريبًـا. أصبـح الصيـد نـادرًا، ولـم تعـد القواقع البحريـة كافيـة لإطعـام السـكان، الذيـن يتزايـد عددهـم... فأصبحـت الهجـرة ضروريـة إذا. والجديـر بالذكـر، أن المسـامير المحـززة الـتي عـثر عليهـا في إسـبانيا وجنـوب فرنسـا تشـبه كثـيرا النمـوذج المُعـدّ في المغـرب، ممـا يشـير إلى تداخـل ثقـافي وتكنولوجـي، عـبر مضيـق جبـل طـارق، مهـد ثقافـة جديـدة لهـا تأثـير واسـع، تعـرف باسـم الثقافـة الإبيروماوريسـية.

قبـل 000 22 سـنة تغـير المنـاخ، إذ أصبـح أكـثر رطوبـةً، ممـا أدى إلى الزيـادة في النمـو السـكاني وإلى تطـور الغابـات البلوطيـة. فانتـشرت أنـواع جديـدة مـن الأشـجار في المرتفعـات -مثـل الصنوبـر- وارتبطـت بالبقـول البريـة، والعرعـر المـوروث عـن الفـترة الجافـة. تعـززت كذلـك الـثروات الحيوانيـة، بأنـواع جديـدة أو أخـرى عـادت إلى المنطقـة. اسـتقرت النباتـات الحاليـة ما بـين 500 8 و 000 10 سـنة، وكان الإبيروماوريسـيون يصطـادون الثعلـب الذهـبي، والـدب البـني، والغـزال، والأرنـب، والقنفـذ، والحصـان، والنعامـة وخاصـة الضـأن البربـري، إذ كانـت قرونهـم تزيـن القبـور.

في الأعلى :
إبرة من العظام (حوالي 000 15 سنة، مجموعة المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث)

في المنتصف :
قرن غزالة تم استخراجه من قبر

في الأسفل :
أدوات من العظام (متحف الآثار بالرباط)

ظهـرت مـع الدينامية الديموغرافية، فضاءات كبيرة مخصصة للجنائز / للمقابـر، مثـل تلـك الـتي في كهـف الحمـام، حيـث يشـير التحضـير التفاضـلي للجثـث، إلى وجـود تراتـب اجتماعـي. تحمـل بعـض الحفريـات البشريـة آثـار أمـراض معيقـة؛ للبقـاء عـلى قيـد الحيـاة، تلقـى الضعفـاء مساعدة مـن أعضـاء المجموعـة، الذيـن يلمـون ببعـض المعـارف الخاصـة. كمـا تـم ربـط الجماجـم بعضهـا ببعـض، أحيانـا بنجـاح، لأن لديهـا فتحـات كانـت عـلى وشـك الالتـآم.

امتزاج ديموغرافي متزايد بمساهمات متعددة ومتباينة

تخلَّـت الجماعـات في العـصر الحجـري، 7 000 سـنة قبـل الميـلاد، ولربمـا بسـبب الضغـط الديموغـرافي، عـن مصـدري غذائهـا الأساسـين مـن صيـد وقطـف النباتـات والثمـار، و شرعـت في الزراعـة وتربيـة المـواشي. ابتـدأ العـصر الحجـري الحديـث، بالعديـد مـن الاختراعـات والتفاعـلات مـع البيئـة، خاصـة في السـهول المحيطـة بـبركان. أظهـرت الجينيـات أن السـكان المحليـين ينحـدرون مبـاشرة مـن الإيبروموريسـيين. يتعلـق أول امـتزاج ناجـح بالزناتيـين، الذيـن جـاءوا مـن الـشرق، فكونـوا سـلالة بفضـل ثقافاتهـم المتقاربـة. لا نعـرف مـتى وصـل اليهـود الأوائـل إلى هـذا العالـم الأمازيغـي، ولا حـتى مـن أيـن أتـوا. انضـم بعـد ذلـك اليهـود الذيـن طُـردوا مـن الممالـك الأندلسـية في إطـار الريكونكيسـتا.

عـين ألـمـو، كما تـظـهـر من تـافـوغـالـت

كهف الحمام في تافوغالت، معلمة أثرية بقيمة عالمية

لا جـدال في القيمـة الاسـتراتيجية العاليـة للموقـع: إذ يُطـل عـلى مسـاحة شاسـعة، يمكـن مـن خلالهـا مشـاهدة الحيوانـات المفترسـة، وحركـة البـشر، والحرائـق، والتقلبـات الجويـة مـن مسـافة بعيـدة. يَسْـهُل الوصـول إليـه، رغـم ارتفاعـه الحـاد. ظهـر الكهـف في المؤلفـات في عـام 1908، ودرسـه أرمانـد رولمـان (مـن 1944 إلى 1947) والأب جـان روش (1950-1955، ثـم 1974-1969). لقـد اسـتأنفت الحفريـات في عـام 2003، برعايـة المعهـد الوطـني لعلـوم الآثـار والـتراث، ولـم تتوقـف منـذ ذلـك الحـين. لقـد تـم إزاحـة وتفقـد العديـد مـن الأمتـار المكعبـة وفرزهـا بعنايـة. اسـتخدم الكهـف تـارة كمشـغل، وتـارة كمطعـم للطهـي وتنـاول الطعـام، وتـارة كمقـبرة، أو كفضـاء ثقـافي وديـني وكـذا «للعـلاج»، إن صـح هـذا التعبـير، في وصـف بعـض العمليـات الـتي أنجـزت عـلى الجسـم البـشري.

ومن ثم، فهو كهف يزخر بالاكتشافات، منها :

- 200 جثة لبالغين، تحمل آثار الطقوس (مثل الطلاء بالأحمر، ووجود قرون الغزلان من حولهم....) ؛

Pièce pédonculée atérienne du site de Tiffert (au moins 100 000 ans)

Outils en os découverts dans la Grotte des Pigeons à Tafoughalt

Le crâne trépané : l'orifice en partie refermé montre la survie du patient

- مقبرة لعشرة أطفال، عُلِّمت جثثهم بحجر جيري أزرق ؛
- أقدم جمجمة مكتشفة في العالم ؛
- حلي من قواقع المحارات، ومن الحجارة أو بيض النعامة، وهي أقدم حلي عثر عليها ؛
- أدوات من الحجر والعظم والخشب.

توضح الفحوصات على الأسنان، أنه قد أجريت عملية استئصال الأسنان، كما اكتشف أقدم تسوس معروف في العالم حتى الآن !

يعتبر كهف الحمامة مؤهلا أساسيا، لبلورة مسار سياحي في نواحي بركان للمواقع الأثرية، يحتل بها الكهف مركز الصدارة. فالكهف في صلب السياحة الاستكشافية، التي تحترم التراث والبيئة.

في الأعلى : الحمام الذي أعطى اسمه للكهف المشهور

في الأسفل : نوع من أشجار التوت الأبيض، الذي يوجد في بني يزناسن منذ آلاف السنين

أطماع أجنبية منذ قرون

من الفينيقيين إلى الرومان...

استولى الفينيقيون على الموانئ المتوسطية في شمال إفريقيا، من خلال التجارة لا بفعل القوة، حيث كانوا يزودون ويأوون سفنهم. لقد نقلوا بعض الخبرات للقبائل الأمازيغية في الشرق، التي نقلتها بدورها إلى القبائل الأمازيغية في الغرب، مثل صناعة الزجاج، ونسج الأقمشة الثمينة، والكتابة السامتكية.

أسفر الامتزاج العرقي بين الفينيقيين في تونس الحالية مع السكان المحليين أي الليبيين، عن الحضارة القرطاجية. أخرج القرطاجيون الفينيقيين من سواحل شمال إفريقيا، ثم احتلوا المناطق الداخلية للموانئ.

في الأعلى : فتاة يهودية من أحفير
في الأسفل : قبور بالمقبرة اليهودية في بركان

سفينة قرطاجية (أعيد تشكيلها جزئيًا) مُعدة للملاحة الساحلية

وجـد القرطاجييـون في المغـرب مدنًـا مأهولـة، منظمـة وغنيـة في كثـير مـن الأحيـان. كان السـكان يطلقـون عليهـا « أنقـاض نمـرود /نمـراد »، ممـا يشـير إلى أنهـا تعـود إلى بدايـة العـصر الحـالي.

وهكـذا، وقبـل حـوالي 300 سـنة قبـل الميـلاد، احتـل القرطاجييـون جميـع الأراضي المحيطـة بـبركان. ثـم فقـدوا السـيطرة عـلى العديـد مـن المسـتوطنات، بعـد 150 عامًـا، وبعـد حربـين ضـد الرومـان، ولكنهـم مـع ذلـك، مكثـوا بهـا.

امـتزج القرطاجييـون تدريجيًـا بالسـكان المحليـين، في المناطـق المحاذيـة لـبركان الحاليـة، وأظهـرت الدراسـات الجينوميـة، وجـود الجينـات القرطاجيـة، بشـكل ملحـوظ في السـكان. وبالتـالي، خضعـت بـني يزناسـن للهيمنـة الرومانيـة، ثـم للونـدال، الذيـن أبرمـوا اتفاقيـات عسـكرية مـع القبائـل. ولكـن لـم تمـارس في الواقـع، لا الإمبراطوريـة الرومانيـة ولا مملكـة الونـدال، السـلطة عـلى قبائـل بـني يزناسـن.

أصل قبائل بني يزناسن

«يزناسن» كلمة أمازيغية مشتقة من «إيجناسن»، والتي تعني «الجالسين على الأرض»؛ وفقًا لمصادر أخرى، تعود هذه التسمية إلى «إزناتن»، «إزناسن»، أو «يزناتن». ولكن، وحسب ابن خلدون، فإن الزناتة وبني يزناسن هما قبيلتان مختلفتان نشأتا من مادغيس، الجماعة الأم للأمازيغ.

لن يسمح الامتزاج الكثيف بين السكان بالتمييز بين الزناتة، وصنهاجة، والكتامة وبني يزناسن. يُعتقد أنهم قد جاءوا من جبال الأوراس. وقد هاجروا إلى المغرب، بحثًا عن مصادر المياه والمراعي، ليستقروا في الجبال التي تحمل الآن اسمهم. يمكن التمييز بين أربع قبائل كبيرة، تتفرع من كل واحدة منها فصائل، وتضم ما يقرب من عشرين فصيلة فرعية، على أقصى تقدير...

بني أوريمش

تعني «المجموعة». هي أكبر قبيلة من قبائل بني يزناسن، تمتد من سد محمد الخامس إلى الحمري، ومن العيون سيدي ملوك في الجنوب إلى ملوية في الشمال. يفصل تافوغالت بنيها وبين بني عتيق. وكان عددهم حوالي 6500 نسمة، في نهاية القرن التاسع عشر، بفصائلها التالية :

أولاد بوعبد السيد ؛ أولاد علي شباب ؛ أولاد تاكمة ؛ أولاد عبو، القادمين من قبائل تسول ؛ بني نوكا ؛ بني ماهيو، نسبة إلى الملك المريني عبد الحق ماهيو، إذ تضم بني عبدي القادمين من تلمسان، لمصامدة، لعشاش، أولاد بويغرومن، أولاد مرزوق، أولاد خلوف وأولاد سعيد العرعر.

بني عتيق

اسمها مأخوذ من سلفها عتيق. تضم عائلات إدريسية وتنقسم إلى فصيلتين رئيسيتين.

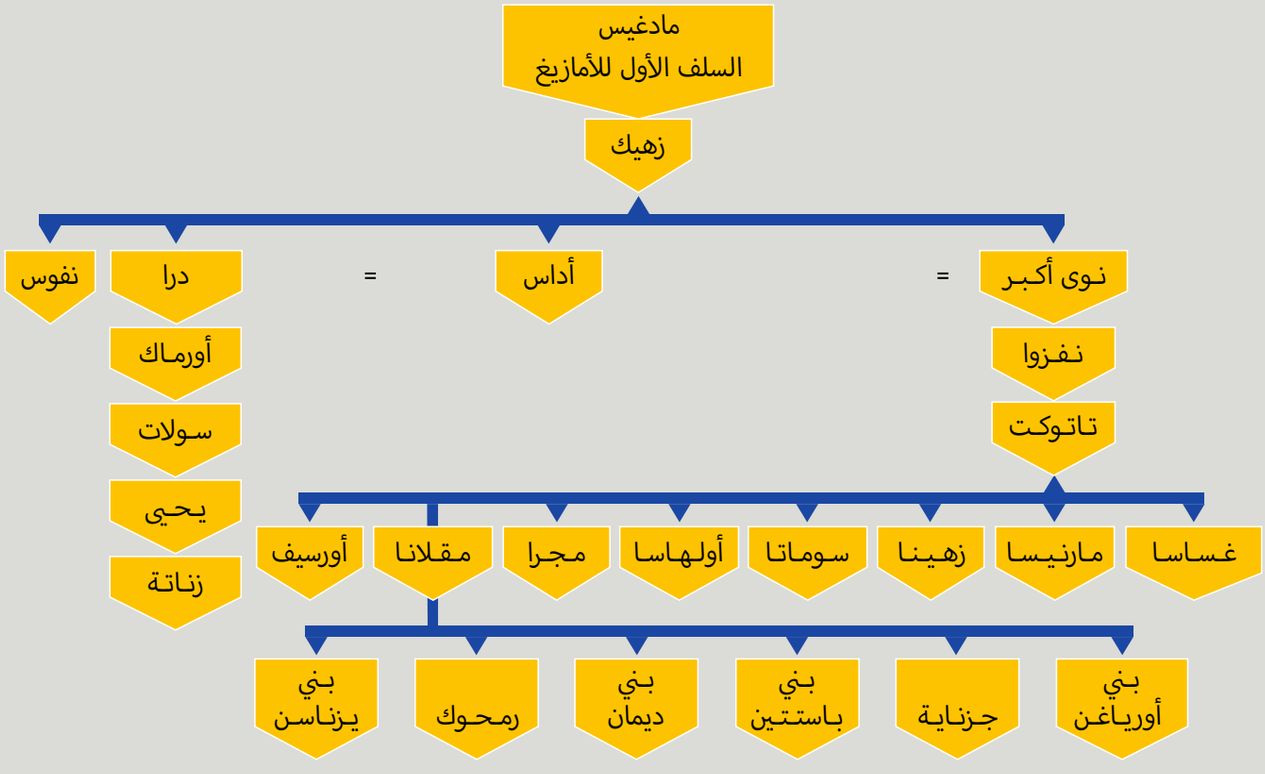

مقام الولي الصالح سيدي محمد أبركان (1911، الأرشيف)

بـني عتيـق الدخالـة، وتشـمل قبائـل تغـاسروت، تزاغيـن، أغلبهـم مـن كبدانـة، أولاد عـلي بـن ياسـين، بـني عامـر، بـني حمـاد ؛ بـني عتيـق البرانيـين، وتشـمل قبائـل بـني مـوسى الـروى، المسـماة عـلى اسـم الـوادي الـذي تعيـش بجـواره، بـني مـوسى العطـاش، المسـماة هكـذا لأن أرضهـا قاحلـة، بـني بويعالـة، الزناتـة المنحدريـن مـن مغـراوة تلمسـان، بـني ميمـون، وهـي قبيلـة عربيـة.

بني منكوش

اسـمها مأخـوذ مـن سـلفها منقوشـيين، وهـو صنهاجـي قـدم مـن سجلماسـة. جـاءت لغـزو الأراضي الـتي احتلهـا المرينيـون، سـنة 1250 م وتوقفـت في بـني يزناسـن، حيـث اسـتقرت، مـع فصائلهـا : أولاد عـلي أومـاس ؛ أهـل صفـرو، الـتي سُـميت بهـذا الاسـم لأنهـا جـاءت مـن قـصر صفـرو في القـرن الثامـن عـشر؛ لبصـارة ؛ بـني ميمـون، أصلهـم مـن فكيـك وقرارشـة ؛ بـني بوخلـوف.

بني خالد

سـلفهم الشـيخ خالـد، وهـو مـن الأدارسـة، وكان يسـكن في المنطقـة. تمتـد مـن الحـدود في الـشرق إلى عـين صفـا في الغـرب. فصائلهـا الرئيسـية هـي : أهـل تغجـيرت، أغلبهـم أمازيـغ ؛ بـني درار، وهـي قبيلـة عربيـة، اسـتقرت منـذ القـرن الثالـث عـشر ؛ أولاد الغـازي، أغلبهم أمازيغ.

قبائل عربية من تريفة

تـتضمن بشـكل خـاص الفصائـل التاليـة : العثامنـة، وهـم ينحـدرون مـن المعاقـل الذيـن غـادروا الأنكـاد في عـام 1830 واسـتقروا في تريفـة بـإذن مـن بـني خالـد ؛ أولاد الصغـير، قبيلـة اسـتقرت في عـام 1857 في مـداغ ونواحيهـا ؛ الهـوارة، بـين مـداغ والحمـري، يعيشـون عـلى تربيـة المـواشي ؛ أولاد منصـور، مـن قبائـل المعاقـل ؛ بـني وكيـل، اسـتقرت حـوالي عـام 1830، إلى غايـة العيـون وفي الأنكـاد.

القبائل الرئيسية لبني يزناسن والأراضي التي تقع بها

سوق بركان (1914، الأرشيف)

غزو الأراضي الأمازيغية

أقـدم قبيلـة أمازيغيـة محليـة هـي بـني وطـاس. وقـد خلفهـا بـني إللـول. أصلهـا مـن القبائـل العربيـة الهلاليـة الـتي أتـت في القـرن الخامـس، مـن الأثكّاد وغيرهـا، بمـا في ذلـك بـني كُيـل وبـني مـنزل، فاسـتقرت في المرتفعـات. وقـد هزمـت مـن قبـل الـزكّارة، الذيـن هُزمـوا بدورهـم مـن قبـل بـني يزناسـن، قبـل أن يطـردوا بـني كُيـل إلى المرتفعـات الشرقيـة.

وكان بنـو يزناسـن يحتكمـون في ذلـك الوقـت إلى جرجير بتلمسـان. وامتـدت سـيطرته مـن طرابلـس إلى طنجـة. لقـد هـزم في معركـة سـبيطلة في 27 هجريـة، عـلى يـد المسـلمين العـرب، بقيـادة عثمـان بـن عفـان، الذيـن انتـشروا في شـمال إفريقيـا. وعندمـا اقتربـوا مـن تلمسـان، واجهـوا القبائـل الأمازيغيـة وهُزمـوا. عفـا عثمـان بـن عفـان عـن قائدهـم، سـولات بـن عزمـار الزنـاتي، وسـمح لـه بقيـادة القبائـل، مقابـل اعتناقـه الإسـلام. وتـولى الحكـم بعـده حفـص، ثـم خـزار، ثـم محمـد بـن خـزار.

عـزم إدريـس الأكـبر سـنة 174 هجريـة، أن يغـزو تلمسـان. فبايعـه محمـد بـن خـزار. ثـم اسـتولى إدريـس الثـاني الـذي خلـف والـده، عـلى تلمسـان وهـزم قبائـل بـني يزناسـن. وقـد قـضي نهائيـاً عـلى الأمازيـغ الذيـن لـم يسـلموا سـنة 197 هـ. اسـتمرت الهيمنـة الإدريسـية إلى غايـة سـنة 305 هـ، عند وصول الفاطميـين العبيديـة، بقيـادة مـوسى بـن أبي عافيـة. وقـد قـام بتشـتيت الأدارسـة، خصوصًـا إلى بـني يزناسـن. واسـتمر حكـم أحفـاده حـتى انقلبـت عليهـم قبائـل مغـراوة الزناتيـة.

غـزت القبائـل العربيـة بـني هـلال المغرب، سـنة 443 هـ (1051 ميلاديـاً)، بجيـش يضـم أكـثر مـن 100 000 رجـل. واحتلـت معظـم الأراضي الأمازيغيـة.

هُـزِم الزناتيـون ونُفـوا، واسـتقرت العديـد مـن قبائـل بـني حمـاد في بـني يزناسـن. اسـتقرت فيهـا أيضـا قبائـل زناتيـة صنهاجـة، وقبائـل عربيـة بحثًـا عـن الميـاه والأراضي المناسـبة لتربيـة المـواشي.

عهد الأسر المغربية الكبرى

اسـتولى المرابطـون في عـام 1081، بعـد وصـول يوسـف بـن تاشـفين، عـلى وجـدة وبـني يزناسـن، إلى أن قـدم الموحديـن الذيـن احتلـوا المنطقـة بعـد عـدة محـاولات بـين عامـي 1139 و 1146. تصادمـت بعـد سـقوطهم، قبائـل بـني عبـد الـواد مـن تلمسـان مـع المرينيـين، الذيـن احتلـوا الـشرق، ثـم عقبهـم الوطاسـيون.
عندمـا احتلـت تلمسـان مـن قبـل الأتـراك، هـرب السـلطان أبـو حمـو الثالـث إلى بـني يزناسـن، حيـث قتـل مـن قبـل الإسـبان عـام 1518. يوجـد قـبره في قريـة بـني مـوسى روا؛ يطلـق عليـه السـكان اسـم «سـيدي عـرّوج».

ضريح سيدي عروج، المسمى أيضًا باريروسا، بالقرب من سيدي بوهرية

عندمـا غـزا البرتغاليـون سـواحل شـمال المغـرب، خضـع بـني يزناسـن، الذيـن شـعروا بالخطـر، للسـعديين في عـام 1549. فشـل العثمانيـون بعـد ذلـك ببضـع سـنوات، في غـزو المغـرب، باسـتثناء بعـض الأراضي بمـا في ذلـك بـني يزناسـن، إذ أدعـن لهـم بعـض زعمـاء القبائـل. ظـل بنو يزناسـن تحت سـلطة السـعديين خـلال فـترات الاسـتقرار في المغـرب، وتحـت الحكـم العثمـاني خـلال الاضطرابـات والتمـردات... إلى أن ظهـر السـلطان مـولاي إسـماعيل.

السلطان مولاي إسماعيل

السلالة العلوية ترسخ سيطرتها

قـام مـولاي الشريـف، في بدايـة الحكـم العلـوي، بمحاولـة السـيطرة عـلى فـاس ولكنـه فشـل، فتوجـه إلى المغـرب الـشرقي حيـث حصـل عـلى ولاء قبائـل أحـلاف والعمارنـة، وهـم عـرب المعاقـل. قاومـه قبائـل بـني يزناسـن، مفضلـين السـلطة التركيـة. واجههـم مـرات عديـدة في عـام 1650 ثـم اسـتولى عـلى وجـدة. عنـد وفاتـه في عـام 1658، قدمـت البيعـة لابنـه مـولاي محمـد. تمـرد شـقيقه مـولاي رشـيد واختبـأ في تافوغالـت، حيـث منحـت لـه أرض في بـني بوسـعيد، لـدى بـني وريمـش. لقـد حصـل عـلى ولاء قبائـل أحـلاف، والعـرب في أنـكّاد. عندمـا علـم السـلطان مـولاي محمـد بوجـود مـولاي رشـيد في بـني يزناسـن، جـاء لمقابلتـه في عـام 1664 مـع جيـش كبـير لمحاربتـه. كان الجيشـان جاهـزان للمعركـة في سـهول أنـكّاد، عندمـا قتلـت رصاصـة مـن جيـش مـولاي رشـيد مـولاي محمـد. دفـن مـولاي رشـيد شـقيقه بنفسـه في قـصر بـني مشـعل، الـذي مـا زالـت بقايـاه موجـودة، ويُطلـق عليهـا قصبـة سـيدي بوزيـد. ثـم قـدم بـني يزناسـن البيعـة لمـولاي رشـيد، الـذي غـادر دون تعيـين حاكـم مـن بـين رؤسـاء قبائـل بـني يزناسـن يمثلـه. فانحـازوا للعثمانيـين.

السلطان مولاي عبد الرحمن

عنـد وفـاة مـولاي رشـيد سـنة 1672، تـولى الحكـم السـلطان مـولاي إسـماعيل، فشـن هجومًـا عـلى شرق المغـرب، إذ بلـغ شـلف، لمواجهـة الـترك. لكـن بعـض القبائـل خانتـه، فتخـلى عـن المعركـة. ومـع ذلـك فقـد لمـس العثمانيـين قوتـه، فسـعوا إلى الهدنـة وتفاوضـوا معـه لـكي يعـودوا إلى حـدود العـصر السـعدي.

السلطان مولاي رشيد

أصبحـت بـني يزناسـن تحـت السـيطرة العلويـة. لقـد بـنى مـولاي إسـماعيل ثـلاث قصبـات في الـركّادة، وشراعـة، وبوغريبـة لـكي يسـتتب لـه الأمـر. أمـر القائـد المحـلي، أبـو بهـاء العيـاشي بنـو زويـار زراري، بإرسـال 500 فـارس إلى كل قـصر، ومنـع قبائـل بـني يزناسـن مـن دخول سـهل تريفـة، وأوقف أنشـطتهم الزراعيـة. هـذا لـم يمنـع تمردهـم عـام 1680، فاسـتولى السـلطان مـولاي إسـماعيل عـلى بـني يزناسـن وصـادر خيولهـم وأسـلحتهم.

بعـد وفـاة مـولاي إسـماعيل سـنة 1727، حـاول الـترك اسـتعادة بـني يزناسـن. اسـتعاد السـلطان مـولاي عبـد الرحمـن السـيطرة عليهـا سـنة 1822. فعـين عـلى رأسـهم أبـا العـلاء إدريـس جـراري سـنة 1827، الـذي اسـتطاع توحيـد القبائـل وإرسـاء الهـدوء. أدى نـزاع قبـلي في أنـكاد حـوالي سـنة 1830، إلى هجـرة ثـلاث قبائـل عربيـة مـن الرحـل - أولاد صغـير، والعتامنـة، والهـوارة - إلى تريفـة حيـث اسـتقروا، بينمـا ظلـت الجبـال مأهولـة بالسـكان الأمازيـغ. تحـول التعايـش بسرعـة إلى الاندمـاج، مـن خـلال تبـادل السـلع، والتحالفـات، والـتزاوج. يتحـدث النـاس إلى اليـوم في بـركان ونواحيهـا، بالعربيـة والأمازيغيـة عـلى حـد سـواء.

الأمير عبد القادر

التدخلات الفرنسية من الشرق

أعـاد التدخـل الفرنـسي العنـف في الجزائـر. كان الأمـير عبـد القـادر يسـتعد للهجـوم عـلى المحتـل مـا بـين 1843 و 1844مـن بـني يزناسـن. دعمـه في ذلـك رؤسـاء القبائـل المحليـين، مثـل ميمـون بـن بشـير بـن مسـعود ومختـار بوتشـيش. عـزز الفرنسـيون هجماتهـم حـول وجـدة وفي بـني يزناسـن، حـتى احتلـوا هـذه المناطـق بالكامـل.

في 14 أغسـطس 1844 في معركـة إسـلي، قـاد سـيدي محمـد، البالـغ مـن العمـر 25 عامًـا وهـو ابـن السـلطان عبـد الرحمـن، 000 50 جنـدي، معظمهـم مـن قبائـل بني يزناسـن ومهايـة زكارا. قاد المارشـال توماس-روبـرت بوجـو الجيـش الفرنـسي، الـذي انتـصر عليهـم. فوقعـت اتفاقيـة مغنيـة في 15 سـبتمبر 1844. اسـتعاد المغـرب الحـدود الـتي اعـترف بهـا في السـابق العثمانيـون لـلأسر المغربيـة الحاكمـة، لكنهـم لـم يحترمـوا الاتفاقيـة إذ ضمـوا الأراضي المغربيـة والقبائـل. ولتحقيـق ذلـك بـدون قتـال، أعفـت الإدارة الفرنسـية مـن الضرائـب القبائـل الـتي انضمـت، بينمـا كانـت تدفـع القبائـل الموالـية للحكـم العلـوي الضرائـب إلى المملكـة... لكـن هـذه المحاولـة فشـلت!

المارشال توماس-روبرت بوجود

منـذ اتفاقيـة مغنيـة، اصطدمـت قبائـل بـني يزناسـن والقبائـل الـتي تخضـع للدولـة الفرنسـية، خصوصًـا مـن أجـل الأراضي ومصـادر الميـاه. أنشـأ الجـنرال إدموند-شـارل دو مارتيمـبري في 1859، لمواجهـة الأولى، ثكنـة عسـكرية بالقـرب مـن نهـر كيـس، عـلى حافـة سـهل ، بهـا 566 ضابطًـا، 777 14 جنديًـا، و 807 4 حصانًـا. عـين السـلطان السـيد ميمـون بـن بشـير أمسـعود سـنة 1848رئيسًـا لقبائـل بـني يزناسـن؛ كان محاربًـا بارعًـا ودبلوماسـيًا معترفًـا بـه، فاسـتعاد السـلام.

الجنرال إدموند-شارل دو مارتيمبري

عندمـا لمسـت قبائـل بـني يزناسـن ضعـف الجيـش الفرنـسي، شـنت هجومًـا عليـه بمسـاعدة القبائـل المجـاورة لطـرده وراء الحـدود.

سهل كما يظهر من بني يزناسن

كان رد الفرنسيين أن تقدموا في تريفة إلى غاية ضريح سيدي محمد أبركان. فواجهوا مقاومة شديدة إلى غاية 29 أكتوبر 1859، حيث سيطروا على تافوغالت. فعرض الحاج ميمون على الجنرال دو مارتانبري التفاوض ؛ وتم اللقاء في 30 أكتوبر 1859 في تافوغالت. فتعهد الجنرال بالانسحاب، ولكنه طالب بفدية قدرها 100 فرنك لكل مقاتل (وبلغ عددهم بـ 12 000) واحتفظ بثلاثة عشر رهينة، من قادة القبائل (واحد من بني وريمش، اثنين من بني منقوش، أربعة من بني عتيق، وستة من بني خالد). تجندت القبائل لدفع الفدية، وباعت بعض النساء مجوهراتهن... ظل دو مارتانبري في بني سناسن إلى 4 من نوفمبر من نفس السنة، حيث وضع نصبًا تذكاريًا للجنود الذين قتلوا في المعركة، وما زالت آثاره موجودة إلى اليوم. انسحب الجيش الفرنسي في 11 نوفمبر 1859.

الفتنة بين القبائل

تزامن هذا الانسحاب مع تنصيب السلطان محمد بن عبد الرحمن. اندلعت أعمال العنف بين القبائل مجددًا، ووصلت إلى قصبة وجدة، مما دفع العامل إلى طلب الدعم من رئيس قبائل بني يزناسن، ميمون بن بشير، الذي تم اغتياله في 4 سبتمبر 1863. خلفه في القيادة شقيقه الحاج محمد بن بشير. جمع جيشًا يضم أكثر من 10 000 رجل ضد قبائل المهايا، وأجبرهم على الهجرة. هذا ما عزز سلطته. هدأت النزاعات القبلية، فعينه السلطان حاكمًا على وجدة. ولكن القرار أثار صراعات جديدة، خصوصًا بين قبائل أهل أنكّاد، الزكّارة، المهايا وبني يزناسن. فجاء في 1879، السلطان إلى وجدة لتهدئة التوترات. فاعتقل الحاكم ثم نفاه إلى مراكش.

أعلاه، جنود حول النصب التذكاري الذي أقامه الجنرال دو مارتانبري تكريمًا لجنوده الذين قتلوا في المعركة.
أسفله، في أحفير، لوحة من الأسمنت حصيفة تشير إلى مكان النصب التذكاري الذي فقد

كان لدى بني أوريمش حوالي 1 000 محارب، في نهاية القرن التاسع عشر، نصفهم فرسان والنصف الآخر مشاة. أما جيرانهم الرحل، بني ماحيو، جهزوا ألف فارس، وبني عتيق، حوالي 1 200 مشاة.

لقد كان بنو منقوش حصونا حقيقية لبني يزناسن، ب 000 5 من المشاة، وكذا بنو خالد ب 000 3 فارس. أمر السلطان مولاي حسن بعد بناء حصن قرب واد كيس في عام 1882، الذي يتعارض مع معاهدة مغنية، ببناء قصبة السعيدية سنة 1883، عند مصب واد كيس، لرسم الحدود. ظهرت النزاعات مرة أخرى بين قبائل بني يزناسن بعد وفاته،

في عام 1903، عين السلطان الحاج محمد الصغير قائدًا لقبيلة بني أوريمش، مما أثار استياء القيادات الأخرى. فقاد روقي بوحمارة تمردًا وانقسمت قبائل بني يزناسن بين أنصاره والموالين للأسرة العلوية، فاصطدم الجيشين.

بعد انتصاره، عين روقي بوحمارة عدة رؤساء للقبائل وتمكن من السيطرة على وجدة، وتوسع نفوذه في المغرب الشرقي والريف. فاستعان السلطان مولاي عبد العزيز بالفرنسيين للسيطرة على قصبة وجدة في صيف عام 1903، مما أجبره على الانسحاب إلى قصبة السعيدية، حيث قضي عليه في عام 1904. فعاد الهدوء.

إحدى أبواب قصبة السعيدية

سور قصبة السعيدية

تواصل اجتماعي كبير قبل الحداثة بكثير

في نهاية القرن التاسع عشر، كانت قبيلة بني يزناسن تضم حوالي 500 2 أسرة، غالباً ما تعيش قرب منبع ماء، موزعة بين القبائل الأربعة الكبيرة. تتشكل القرى من أكفار متفرقة : ثمانية إلى عشرة في المتوسط. كانت بعض الأكفار الفرعية تُستخدم كمراعي مؤقتة.

تسكن القبائل العربية في تريفة في خيام مصنوعة من الفليج (خليط من فراء الأغنام والماعز والجمال) والحلفاء المظفرة، وتوضع جنبًا إلى جنب، بشكل دائري، بين سياجين من الصبار ؛ يُحيط السياج الأوسط بالماشية. تنظم القبائل عدة أسواق : سوق أغبال، يومي الاثنين والجمعة، وهو سوق مهم، عند بني خالد ؛ سوق القدارة، يوم الأحد، الذي أُنشئ عام 1800 عند بني منقوش في عين الركّادة ؛ سوق لتنين، يوم الاثنين، عند بني منقوش ؛ سوق الأربعاء لبني أوريمش ؛ سوق في عين صفا، يوم الجمعة، عند بني عتيق، أُقيم من قبل الأوروبيين عند وصولهم، الذي حل محل سوق عين كنيرة في صفرو ؛ سيدي عبد المؤمن، عند بني عتيق، المعروف بسوق تلاته، يومي الثلاثاء والجمعة ؛ سوق شراعة، في تريفة، يوم الأحد، وهو واحد من أقدم وأهم الأسواق، أُغلق خلال الاضطرابات وأُعيد فتحه بعد الاحتلال. يصطف التجار، وجهًا لوجه، ويقدمون المنتجات المحلية (الثيران، الأغنام، الماعز، الحمير، البغال، الخيول، الدواجن، الفواكه، الخضروات، الخروب، الشعير، الصوف، العسل...) والبضائع الإسبانية أو الفرنسية (الشموع، البترول، السكر، الشاي، البنادق، الخردق، المساحيق، الأقمشة...).

في الأعلى : واحدة من مطاحن المياه في عين الصفا (صفرو) ؛

في أدناه : بئر تقليدي في تريفة (1915، الأرشيف)

يقوم فلاحو بني يزناسن بزرع الشعير والقمح. يستأجرون أو يمتلكون مساحات واسعة في الأنكّاد أو تريفة، ويقودون قطعانهم (الأغنام الماعز، الخيول) في الربيع إلى هذه السهول الواسعة، ذات المراعي الغنية. كما أنهم يمتلكون مطاحن مائية نشطة، تقع واحدة في قصبة السعيدية، واثنتين في صفرو، عين صفا حاليا.

ترسـل قبيلـة بـني يزناسـن البرتقـال إلى مليليـة، وتسـتورد منهـا منتجـات متنوعـة (الصابـون، العطـور، أدوات الخياطـة، القطـن، السـكر، القهـوة، الشـاي...). يشـحن البرتقـال واللـوز إلى ميناء نمـور بالجزائـر، بواسـطة قوافـل البغـال، بالإضافـة إلى منتجـات أخـرى (الصيـد، الأرانـب، الأرانـب البرية، السـمان...).

الاحتلال المستمر من قبل الجيش الفرنسي

اتخـذت فرنسـا مـن اغتيـال الدكتـور موشـون في مراكـش (في 19 مـارس 1907) ذريعـة لاحتـلال وجـدة، بعـد عـشرة أيـام. فوحـد المختـار بـن الحـاج محـي الديـن بوتشـيش قبائـل بـني يزناسـن وشـكل جيشًـا، بـدون مدفعيـات. فتصـدى لـه، الجـنرال ليوطي، المفـوض العـام للحـدود الجزائريـة المغربيـة، بجيـش كبـير وبوسـائل حديثـة. فتوسـع الاحتـلال الفرنـسي إلى بـني يزناسـن نهايـة 1907 وسـيطر عـلى عمالـة وجـدة في 25 مـارس 1908.

وقعـت معاهـدة فـاس في 30 مـارس 1912، وكملتهـا المعاهـدة الفرنسـية الإسـبانية في مدريـد في 27 نوفمـبر 1912، حيـث تـم تقسـيم شـمال المغـرب إلى حمايتـين : الفرنسـية عـلى الضفـة اليمـنى لملويـة، والإسـبانية عـلى الضفـة اليـسرى، مـن مـشرع الكليلـة إلى مصبـه. سـينتج عـن ذلـك تطـور سـكاني ملحـوظ، سريـع ودائـم في تريفـة، حيـث طـور المسـتعمرون الفرنسـيون الزراعـة. سيسـتقر أوروبيـون آخـرون، أغلبهـم إسـبان، ويهـود جـاؤوا مـن وهـران أو مـن أوروبـا. سيسـتغل المسـتعمرون ضعـف القبائـل وجهـل المـلاك بقيمـة ممتلكاتهـم : فحـددت أسـعار أقـل بكثـير مـن تلـك الـتي كانـت تمـارس في غـرب الجزائـر.

منذ عام 1908، قامت القوات الفرنسية بالاستقرار في بركان في معقل واسع من الخيام؛ سيرافقهم المستعمرون الأوائل وسيلتقطون صورا مع الجنود (1908، أرشيف)

ضغطـت سـلطات الاحتـلال عـلى الملاكـين المغاربـة لبيـع أراضيهـم، ولكـن بعضهـم لـم يحَصِّـل أبـدًا مـا تبقّـى مـن المبالـغ المسـتحقة، بعـد توقيـع عقـود البيـع. وبمـا أن بيـع العقـارات بـين المسـلمين والمسـيحيين كان ممنوعـا، فقـد قـام وسـطاء جزائريـون بـشراء الأراضي، وباعوهـا إلى الفرنسـيين. ارتفـع بذلـك حجـم الأراضي الـتي كانـت في حـوزة المسـتعمرين، مـن 000 7 هكتـار في 1909 إلى 000 15 في 1910، ثـم 000 30 في 1917. زاد عـدد الفرنسـيين بعـد الأزمـة العالميـة سـنة 1929، واسـتقروا في تريفـة.

لقـد اعتمـدوا نظمـا زراعيـة جديـدة، كتلـك الـتي في وهـران، وحققـوا مردوديـة عاليـة. كانـت قريـة أبـركان، تضـم في الأصـل بضعـة منـازل متواضعـة مـن الطـين، موزعـة عـلى كفريـن، كرابـة فـاكّا وكرابـة أبويقشـار، بالقـرب مـن واد شراعـة، ومـن ضريـح الـولي الصالـح سـيدي محمـد أبـركان، ومـن السـوق الأسـبوعي للأغذيـة، بـاب الخميـس.

لمـا تحولـت إلى مدينـة، سـميت فيمـا بعـد بـركان. فهـي تقـع في مفـترق الطـرق المؤديـة إلى ملويـة، إلى واد كيـس، إلى جبـال بـني يزناسـن وإلى سـهل تريفـة. كان الموقـع، منـذ البدايـة، نقطـة عبـور ضروريـة للقبائـل، ممـا يفـسر وظيفتـه التاريخيـة كسـوق. في بدايـة القـرن العشريـن، كان يـأوي 90 نسـمة، ثـم تطـور عـدد السـكان مـع وصـول الفرنسـيين، الذيـن أنشـأوا مسـاكنهم، بمسـاعدة العسـكريين، عـلى بعـد كيلومـتر مـن القريـة الأصليـة. لقـد بنـوا جـسرا عـلى واد شراعـة، ثكنـة، طـرق، شـوارع ومسـارات، ومدرسـة في 1909، ثـم فنـدق للبريـد ومسـتوصف في 1910. تطـورت القريـة قليـلاً إلى غايـة سـنة 1930، ثـم نمـت مـع اسـتقرار العديـد مـن الفرنسـيين.

قبل عام 1910، كانت السيارات نادرة جدًا ؛ هنا سيارة البريد (الأرشيف)

في مارتيمبري-دو-كيس (أحفير)، عمل الجنود على بناء الطرق، هنا تُحضر الحجارة لتثبيت الطرق والساتر (الأرشيف)

بعد عام 1910، بدأ الاحتلال في بناء المنازل والمؤسسات لاحتواء الأنشطة ؛ هنا محل تجاري (الأرشيف)

وادي زكّزل،
إطار تاريخي
لمعارك تاريخية

نحو الحداثة والإستقلال

القرن العشرين واستقرار السكان الجدد

لقـد تكاثـرت في وقـت مبكـر، الـشركات الزراعيـة في بـركان. فمنـذ سـنة 1929، أنجـز قبـو للنبيـذ، وعـشر محطـات لتعبئـة الفاكهـة والخـضروات. تعـود حيويـة المدينـة إلى الـري بسـهل تريفـة. كانـت بـركان في عـام 1936 هـي المدينـة الخامسـة في الـشرق مـن حيـث عـدد السـكان، إذ كانـت تضـم 600 3 نسـمة (منهـم 650 1 أوروبي و 200 مـن اليهـود).
فالتطـور الزراعـي والأنشـطة المرتبطـة بـه، اسـتنادًا إلى التقنيـات الحديثـة، يخلقـان العديـد مـن الوظائـف، ويجـذب العمـال مـن مناطـق أخـرى مـن المملكـة.

منذ الأربعينات من القرن الماضي، حل البرتقال والكليمتين مكان الكروم، في تريفة المروية ؛ وغالبًا ما استقدمت الشتلات من وهران (الأرشيف)

يشجع هذا الازدهار الصناعي والزراعي سكان الجبال على الهجرة، إما إلى السهول لتحسين ظروف عيشهم، التي أصبحت صعبة جدًا بعد فقدان الأراضي، أو إلى وجدة، بركان وأحفير، وإلى أماكن أخرى في المغرب أو إلى الخارج. استوطن في بركان الوافدون الجدد، في الحي المغربي، الذي يمتد شمالًا، مما أجبر السلطات على بناء الإدارات، ونقل السوق بالقرب من الحي الأوروبي، الذي نما أيضًا، أولاً باتجاه الشرق، على طول طريق وجدة، ثم نحو الجنوب الشرقي.

يكشف تعداد سنة 1951 عن تواجد 399 8 نسمة في بركان، بضع سنوات قبل الاستقلال : 826 6 مغربي - منهم 546 6 مسلم و 280 يهودي - و 573 1 أجنبي.

ستغادر بعض الجماعات بركان والأراضي المجاورة، في منعطف القرن العشرين : اليهود المغاربة بين 1948 ونهاية الستينات، والأوروبيين خلال العقد الموالي للاستقلال والجزائريين ابتداءً من عام 1962.

عند الاستقلال، كان ببركان 075 1 أجنبي، ثم 555 بعد استرداد الأراضي الزراعية، بشكل أساسي من قبل المزارعين الصغار المغاربة، وخاصة العمال الموسميين الذين استقروا هناك.

تستفيد الديموغرافيا من العديد من الوظائف الزراعية الناتجة عن تطور الري : 500 18 هكتار بحلول عام 1957، بمجرد الانتهاء من بناء سد مشرع حمادي.

في عام 1960، بلغ عدد سكان بركان 496 20 نسمة ؛ فأصبحت القرية مدينة !

ستتسارع الحداثة في الستينيات وسيتواصل النمو الديموغرافي، وخصوصًا في بركان.

منذ الأزل عند تقاطع العديد من الاتجاهات، أصبحت بركان محطة للاستراحة حيث يتوقف المسافرون (الأرشيف)

شارع مولوية، واحد من أولى الطرق الكبيرة التي تم رسمها في خطة المدينة الجديدة بركان (1915، الأرشيف)

نظرًا لوظيفتها التاريخية كسوق لها أهمية إقليمية، تحافظ بركان على دورها كملتقى للتبادلات التجارية (الأرشيف)

صورة لـبركان
مأخوذة بطائرة بدون طيار

لحركة الوطنية منذ الثلاثينيات من القرن الماضي

منـذ بدايـة الاسـتعمار، أقامـت الإدارة الفرنسـية مـدارس حديثـة، ومنعـت إنشـاء المـدارس القرآنيـة بـل وأغلقـت بعضهـا، بهـدف نـشر الثقافـة الفرنسـية. ولكـن السـكان كانـوا يفضلـون المـدارس القرآنيـة، فاتجـه بعـض الطـلاب إلى وجـدة، أو إلى المؤسسـات التعليميـة في الجزائـر، خصوصًـا بتلمسـان.

لقـد اتجـه الشـباب منـذ سـنة 1933، مـن بـني يزناسـن إلى جامعـة القرويـين في فـاس. فالتقـوا هنـاك، بطـلاب مـن مناطـق أخـرى مـن المغـرب، فتدربـوا عـلى النضـال مـن أجـل الاسـتقلال، وتشـبعوا بـروح المسـؤولية تجـاه وطنهـم، وترسـخت هويتهـم. عنـد عودتهـم نـشروا هـذه الأفـكار، ودعمـوا القضيـة الوطنيـة، وحفـزوا إخوانهـم الأصغـر سـنا، للانضمـام إلى مـدارس فـاس.

كانـت العمليـات محـدودة قبـل سـنة 1936، خشـية أن تتعـرض الحركـة الوطنيـة للخطـر، إن تكاثـرت أعمـال التمـرد في كل مـكان بالمغـرب، قبـل أن تنضـج، بسـبب سـمعة قبائـل بـني يزناسـن الحربيـة. بـدأ التمـرد مـع فتـح مدرسـة قرآنيـة في بـركان، بعـد زيـارة وفـد بقيـادة عـلال الفـاسي. وكانـت المدرسـة بسـيطة، تحـت إشراف عبـد المالـك بـن مختـار بوتشـيش. خلفـه بعـد ذلـك السـيد عمـرو بـن حسـين وكّـوتي. لقـد كان يُـدرَّس فيهـا اللغـة العربيـة، قواعـد الإسـلام والتاريـخ والقيـم الوطنيـة، والأغـاني الوطنيـة. كمـا تقـوم بتحسـيس السكانبأنشـطة الحركـة والقضيـة الوطنيـة. في عـام 1938، أغلقـت المدرسـة وتـم اعتقـال مديرهـا مـع عـدة مقاومـين.

استشـعر المسـتعمر بـأن القبائـل تتنظـم، وتتهيـأ للمقاومـة. فأرسـل أفضـل عنـاصره إلى هنـاك، منهـم المقـدم باشـلو الـذي قـام بالعديـد مـن الاعتقـالات. ومـع ذلـك، تـم الاحتفـال بعيـد العـرش لأول مـرة في بـركان في 18 نوفمـبر 1945، الـذي تـم تحضـيره سراًّ، لعـدة أشـهر. أثـار الحـدث غضـب السـلطات الفرنسـية حيـال التعبئـة المتزايـدة للقبائـل. فـازدادت وثـيرة القمـع. في عـام 1946، افتتـح عمـرو بـن حسـين مدرسـة جديـدة في بـركان تُدعـى النهضـة. في عـام 1948، أمـر القائـد برونيـل بإعـادة جميـع سـكان وجـدة المنحدريـن مـن بـني يزناسـن إلى دواويرهـم، وتـم اعتقـال بعـض المثقفـين. فأنشـأت الحركـة الوطنيـة فروعًـا في أحفـير وبـني درار وتافوغالـت وعـين صفـا ومـداغ، الـتي لعبـت دورًا أساسـيًا. احتفـل سـكان بـني يزناسـن، مـرة أخـرى، بعيـد العـرش في عـام 1949.

في الأيام الأولى من أكتوبر 1955، هاجم مقاتلون من جبال بني يزناسن الثكنات العسكرية في بركان وتافوغالت (الأرشيف)

لقـد قامـوا بمقاطعـة زيـارة المقيـم العـام إلى بـركان في السـنة الموالية، وأغلقـوا جميـع المحـلات التجاريـة. في 17 أغسـطس 1953، خـرج أكـثر مـن 40 000 متظاهـر في بـركان احتجاجًـا عـلى نفـي جلالـة الملـك محمـد الخامـس ؛ وكان بعضهـم مسـلحًا. فأرسـل المحتـل الجنـود وعـدة دبابـات إلى بـركان. فاعتقـل 4 700 شـخص عقـب التظاهـرة. تصاعـدت العمليـات المسـلحة في بـني يزناسـن. فضاعـف الجيـش الفرنـسي مـن عـدد الجنـود في 22 أغسـطس 1953، واسـتولوا عـلى الأمـوال والماشـية، المحاصيـل... لإطعامهـم. فتزايـدت الاعتقـالات ؛ لقـد كان سـجن تافوغالـت مكتظـا لدرجـة أن الأنفـاق السـفلية (مطمـورة) اسـتُخدمت كسـجون. ولكـن الهجمـات ازدادت، وانتـشر الشـعور بعـدم الأمـان. اسـتهدفت الهجمـات السـلطات والمدنيـين الأجانـب، بالإضافـة إلى العمليـات المحـددة الأهـداف : حـرق المـزارع، قطـع أشـجار الفاكهـة، قطـع خطـوط الكهربـاء والهاتـف، سرقـة الماشـية...
واجـه الجيـش الفرنـسي في الأيـام الثلاثـة الأولى مـن أكتوبـر 1955، مقاتلـين مـن بـني يزناسـن في بـركان وتافوغالـت. وسـوف تتصاعـد الأحـداث إلى غايـة الاسـتقلال.

زيارات المغفور له جلالة الملك محمد الخامس

في خريـف عـام 1934، جـاء المغفـور لـه جلالـة الملـك محمـد الخامـس إلى بـركان عـبر تافوغالـت، ثـم زكْـزل، للقـاء القبائـل الـتي كانـت لديهـا علاقـة وطيـدة مـع الدولـة العلويـة، منـذ عهـد السـلطان مـولاي عبـد الرحمـن.

جلالة الملك محمد الخامس يتجول في تريفة للقاء الفلاحين في سبتمبر 1956، خلال زيارته الثانية هناك (أرشيف)

عـبر السـكان مـن خـلال الاسـتقبال الحـار، عـلى ارتباطهـم بالعـرش وشـعورهم بالانتمـاء إلى المملكـة، وهـي دوافـع قويـة للرغبـة في الاسـتقلال. بعـد اسـتماعه لبعـض السـكان، أمـر جلالتـه بإعـادة بعـض الأراضي إلى القبائـل، وأوقـف أشـكالا مختلفـة مـن القـروض المصرفيـة، الـتي أفقـرت العديـد مـن المنتجـين الصغـار.

قـام الملـك محمـد الخامـس بزيـارة ثانيـة بعـد الاسـتقلال، في سـبتمبر 1956. فـوزع 146 قطعـة أرض عـلى المنتجـين الصغـار، بالقـرب مـن أكليـم. كان الاسـتقبال حـارا مـرة أخـرى، نظـرا للمكانـة الخاصـة، الـتي كان ينعـم بهـا الملـك في قلـوب القبائـل المحليـة.

بركان واستقلال دول إفريقية

لعبـت بـركان ونواحيهـا دورًا حاسـمًا في النضـال، مـن أجـل اسـتقلال عـدة دول إفريقيـة. منـذ عـام 1840، دعمـت قبائـل بـني يزناسـن والزاويـة البودشيشـية الأمـير عبـد القـادر، في نضالـه ضـد الاحتـلال الفرنـسي لبـلاده، إذ قدمـت لـه الأسـلحة والرجـال، وكـذا المـأوى. يشـهد هـذا الدعـم عـلى مـا عـرف عـن قبائـل بـني يزناسـن، مـن روح المقاومـة، إذ أنّ الحريـة هـي مثلهـا الأعـلى، منـذ قـرون. لقـد أطلـق الجيـش الفرنـسي، خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة، عـلى أحـد دباباتـه، اسـم «بـني يزناسـن»، تيمنـا بخاصياتهـا الحربيـة.

من اليسار إلى اليمين، في إحدى مزارع عائلة بلحاج : القائد أحمد، محمد بوضياف، رابح بيطاط، نيلسون مانديلا، أحمد بن بلة، القائد ناصر، حميلكار كابرال، الهواري بومدين، عبد العزيز بوعبد الله والطيبي العربي (أرشيف، صورة من قدور سمار، رئيس قسم التصوير في FLN-ALN، مارس 1962)

ستقبل المغرب منذ نهاية الخمسينات، قادة سياسيين وعسكريين أفارقة، وتم تكوين وتدريب الجنود، وتزويدهم بالأسلحة والذخائر. وقد نظمت العديد من الحركات الوطنية نضالاتها من بركان، من بينهم:

- جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير الوطني الجزائرية ؛
- جبهة تحرير موزامبيق (فريليمو)؛
- المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب أفريقيا ؛
- الحزب الأفريقي من أجل استقلال غينيا والرأس الأخضر...

كانت قرية أواولوت هامة جدا بالنسبة للمقاتلين الجزائريين، إذ كانت تعبر عن القيم المشتركة والروابط بين شعوب البلدين. لقد استخدمت جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، قاعدة عسكرية في أواولوت، التي تقع على أراضي السيد بلحاج. ووفر الملك محمد الخامس أيضًا لهم ثكنات زغنغن وتافوغالت.

استقبال قادة الحركات الوطنية الأفريقية

قاد الهواري بومدين معسكر أواولوت. وكان يزور مقهى القصبة في شارع البكاي لهبيل، عند عودته ليلاً من الجزائر. وكان يزور أيضًا مقهى الحسانية، في شارع محمد الخامس، للقاء لشهب عبد الغني، مبعوثه إلى الجزائر، لتنظيم العمليات مع قادة الحركة الوطنية : أحمد بن بلة وجميلة بوحيرد ومحمد خيضر. كان للعديد من القادة روابط عائلية محلية، مثل الهواري بومدين، حيث كانت والدته من كبدانة، وكان والد أحمد بن بلة من قرية قريبة من تافوغالت، وكذا أحد أجداد عبد العزيز بوتفليقة. أقام محمد بوضياف وحسين آيت أحمد وآخرون في بركان والمناطق المجاورة، بالإضافة إلى قادة أفارقة آخرين سيتولون لاحقًا قيادة بلادهم مثل :

- أنطونيو أغوستينيو نيتو كيلامبا، أول رئيس لجمهورية أنغولا الشعبية ؛
- أميلكار كابرال، مؤسس الحزب الأفريقي من أجل استقلال غينيا والرأس الأخضر ؛
- سامورا مويسيس ماشيل، أول رئيس لجمهورية موزامبيق الشعبية ؛
- نيلسون مانديلا، الذي سيحرز لاحقًا على جائزة نوبل للسلام، بل وأول رئيس لجمهورية جنوب أفريقيا، بعد التخلص من النظام العنصري. لقد تدربوا جميعا مع جنودهم، على استخدام الأسلحة في ثكنة أواولوت أو تافوغالت. وقدمت عائلة بلحاج، مزرعة في مداغ لإيوائهم، للراحة وللعلاج، كان يسيرها فرانز فانون، وهو طبيب، ورمز للنضال ضد الاستعمار. دعمت القبائل المحلية والزوايا والمساجد الوطنيين : فمنحتهم المأوى والوجبات الغذائية،والمؤونة والمعدات والمآمن. كما استضافت قرية أيشون النشطاء الجزائريين، على بُعد عشرة كيلومترات من بركان. وكانت تعمل كوسيط، بين القادة المقيمين بالقرب من أحفير والمقاتلين في أواولوت وزغنغن. وسيبقى نحو ستون جنديًا بقيادة الزوبير في عين المكان، إلى غاية استقلال الجزائر، حيث أطعمهم وآواهم السكان المحليون.

كان عبـد العزيـز بوتفليقـة يُقيـم، بعـد التدريـب، عنـد الحـاج زنـبي. وكان مـنزل الحـاج بـن عمـور يسـتخدم كنقطـة وصـل، للمقاومـين الذيـن يتوجهـون إلى الجزائـر، عـبر طـرق بـين لجـراف، بوكانـون أو لمريـس. ولقـد أقـام بـه كذلـك، عـدد مـن المقاومـين الوطنيـين الأفارقـة، مـن أصـول مختلفـة.

نيلسون مانديلا في بني يزناسن

أطلـق نيلسـون مانديـلا، مؤسـس المؤتمـر الوطـني الأفريقـي، فرعـه المسـلح سـنة 1960 : «أومخونتـو وي سـيزوي» (رمـح الأمـة). فـزار العديـد مـن الـدول، بجـواز سـفر وهمـي إثيـوبي، باسـم ديفيـد موتسـوماي، بمـا في ذلـك المغـرب. فطلـب مـن المرحـوم عبـد الكريـم الخطيـب، الوزيـر السـابق للشـؤون الاجتماعيـة والتشـغيل، أن يتـدرب جنـوده وأن يزودهـم بالأسـلحة، وبدعـم مـالي قـدره 5 000 جنيـه إسـترليني. سـلمه الوزيـر المبلـغ في اليـوم التـالي ووعـده بتوفـير الأسـلحة.

بنـاءً عـلى تعليمـات مـن الملـك محمـد الخامـس، أُرسـلت طائـرة لاسـتقطاب الجنـود مـن دار السـلام. زار مانديـلا في وجـدة، المقـر العـام لجيـش التحريـر الوطـني، والتقـى الشريـف بلقاسـم، وشـوقي مصطفـاي، ونـور الديـن جـودي الـذي كان مترجمـه ومرشـده، لزيـارة الثكنـات في تافوغالـت، زغنغـن وأواولـوت، بالإضافـة إلى محمـد لعمـاري، الـذي كان مدربـه العسـكري، وأصبـح لاحقًـا رئيـس أركان الجيـش الجزائـري. كان نيلسـون مانديـلا - مثـل العديـد مـن القـادة الأفارقـة - يلتقـي أحيانًـا بالمقاتلـين في أيشـون، ويتـدرب معهـم. ثـم يمـضي الليـل في مزرعـة الحـاج بـن عمـور، الـذي يرسـل رجـالا، يمتطـون البهائـم، لمرافقتـه. وسـوف يشـكر «ماديبـا» المغـرب عـلى دعمـه الحاسـم، خـلال هـذه الفـترة الحرجـة، في خطـاب تنصيبـه كرئيـس لجنـوب أفريقيـا في عـام 1994.

نيلسون مانديلا تلقى تدريبات عسكرية من المقاتلين الجزائريين في المغرب ؛ هنا برفقة من سيصبح فيما بعد الجنرال محمد لعماري، رئيس أركان جيش التحرير الوطني الجزائري (1962، الأرشيف)

أحمد بن بلة مع ماريو دي أندرادا، زعيم المعارضة في أنغولا (1962، الأرشيف)

تحكي المباني التراثية تاريخ المنطقة

يستجيب التراث الأثري لحاجيات كل حقبة، في بركان ونواحيها. تشهد هذه المباني على ثراء التاريخ المحلي :
- مواقع تاريخية بخصائص إقليمية، مثل القصبات ؛
- بنايات تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين، ترتبط بإنشاء مدن مثل بركان، أحفير، والسعيدية، والتي لها أغراض متعددة.

تراث القصبات

قصبة بوغريبة

تقع بالقرب من أكليم، عبر الطريق الوطني رقم 2. بُنِيت سنة 1679، من قبل السلطان مولاي إسماعيل، لتأمين ومراقبة القبائل المحلية، وهي بناية بسيطة، لم يتبقّ منها إلاّ بعض الجدران المهددة بالانهيار.

قصبة عين الركّادة

تقع ما بين بركان وأحفير، وهي تحمل اسم العين القريبة منها. بُنِيت سنة 1679 لتأمين والسيطرة على قبيلة بني صنهاجة، وهي على شكل مربع، تتراوح جوانبه بين 50 و 60 مترًا، لها مدخل واحد في الجهة الشمالية. لقد دمرت بمعظمها الآن، لكنها ما تزال تحتفظ بطابعها التاريخي.

قصبة السعيدية

تعرف أيضًا باسم «القصبة السعيدة»، «قصبة أدجرود»، أو «السعيدية أد جرود» تماشيًا مع ميناء أد جرود الذي يعود تاريخه إلى أحد عشر قرنًا، بالقرب منها. بُنِيت على مساحة تزيد عن 1.5 هكتار من قبل السلطان مولاي الحسن الأول، في عام 1883، وكانت تطبع الحدود. لقد لعبت دورًا عسكريًا أساسيًا، بفضل موقعها الاستراتيجي عند مصب واد كيس، في السيطرة على شمال شرق المغرب، ومراقبة الممرات. تتميز ببنيتها البسيطة، ويتكون سياجها من شرفات مدببة، من الطين والحجر والجير، ولديها بابان على شكل أقواس منكسرة، الأول في الشمال والثاني في الشرق. لقد صنفت تراثا وطنيا منذ عام 1952

قصبة أولاد البشير أومسعود

تقـع في بلديـة ريسـلان، بالقـرب مـن تافوغالـت، ويمكـن بلوغهـا عـبر الطريـق الإقليمـي. لقـد بناهـا القائـد البشـير أومسـعود في القـرن الثامـن عـشر. خلفـه في الحكـم ابنـاه ميمـون ومحمـد، إلى أن أسر الحـاج محمـد مـن قبـل السـلطان مـولاي الحسـن الأول في عـام 1876، وهـو العـام الـذي دمـرت فيـه القصبـة. لا يـزال بعـض أجـزاء الجـدار والمبـاني قائمًـا إلى اليـوم.

قصبة شراعة

عـلى بعـد 15 كيلومـترًا مـن بـركان، وتتمـيز ببنائهـا البسـيط، بُنيـت في عـام 1679 مـن قبـل السـلطان مـولاي إسـماعيل، لحمايـة والسـيطرة عـلى قبائـل بـني يزناسـن. وقعـت بهـا مواجهـات عديـدة. كان يقـام بهـا سـوق مزدحـم، يُعقـد مرتـين في الأسـبوع، نُقـل إلى بـركان مـن قبـل السـلطات الاسـتعمارية.

قصبة سيدي بوزيد

بالقـرب مـن أكليـم، قـرب قريـة بـني أوريمـش، يـؤدي إليهـا ممـر طولـه 7 كيلومـترات، مـن الطريـق الوطـني رقـم 2. تعـد هـذه القصبـة مـن أقـدم القصبـات في المنطقـة، وتعـود إلى القـرن السـابع عـشر عـلى الأقـل؛ ويجهـل الأصـل في تسـميتها. لـم تـزل إلا القليـل مـن المبـاني والجـدران قائمـة الآن.

التراث العسكري الموروث من الاستعمار

مقر الدرك

تـم بنـاء الأول في شـارع محمـد الخامـس (وكان يُعـرف سـابقًا بشـارع ملويـة)، في العقـد الأول مـن القـرن العشريـن، أول نـواة حديثة في بـركان ؛ تـم بنـاء الثـاني في نفـس المـكان، وكان يضـم مبنيـين متجاوريـن، مغطيـين بالبـلاط الأحمـر ومتصلـين بحديقـة خضراء.

على اليسار، أول مقر للدرك تم بناؤه في بركان (1920، الأرشيف) ؛ على اليمين، مقر الدرك الثاني الذي تم بناؤه بعد 20 عامًا (الأرشيف)

تم بناء مقر جديد للدرك في بركان سنة 1950 (الأرشيف)

ثكنات تافوغالت وأحفير

تـم بنـاء الأولى سـنة 1908 ، عـلى مقربـة مـن وسـط تافوغالـت، عـلى مرتفـع يتيـح للجيـش الفرنـسي، فـور اسـتقراره في المنطقـة، رؤيـة شـاملة للمناطـق المحيطـة، لمراقبـة حركـة قبائـل بـني يزناسـن. كان يقيـم أكـثر مـن 1 000 جنـدي بهـا، لقـد اسـتُخدمت أحيانـا كسـجن. معظـم البنـاء مدمـر اليـوم.

كانـت الثانيـة في الأصـل، موقعًـا بسـيطًا تـم بنـاؤه في نهايـة سـنة 1859، لمراقبـة قبائـل بـني يزناسـن، وتـم توسـيعها سـنة 1907، مـن قبـل الجـنرال ليـوتي. تميـزت بأبـراج حجريـة وفتحـات قليلـة، ولـم يتبـق منهـا سـوى القليـل.

الجسر العسكري

تم بناؤه على نهر ملوية في جماعة بوغريبة، وكان يسهل حركة الجنود بين الأراضي الخاضعة للحمايتين.

معسكرات شيوحية وتازارت

تـم بنـاء كليهمـا في أوائـل القـرن العشريـن، لترسـيخ وجـود الجيـش الفرنـسي. يحتـوي الأول عـلى سـجن. واسـتضاف الثـاني سـوقًا أسـبوعيًا يـوم السـبت، بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة. كان عبـارة عـلى كتـل متوازيـة، متراصـة حـول فنـاء مركـزي، ولديـه عـدة مداخـل. تراجـع الإقبـال عـلى هـذا السـوق تدريجيـا إلى أن تـم التخـلي عنـه تمامـا.

الثكنة في
تافوغالت،
وهي مهجورة اليوم

التراث الزراعي الصناعي

كانـت المبـاني المرتبطـة بالزراعـة تسـتغل بشـكل رئيـسي للكـروم والحوامـض، الـتي شـهدت نمـواً سريعـاً في نواحـي بـركان خـلال الثلاثينيـات. ففـي عـام 1936، عـلى سـبيل المثـال، أنتجـت تعاونيـة بـركان للخمـور وحـوالي عشريـن قبـو خـاص للخمـور - منهـا خمـس مهمـين - مـا مجموعـه 43 000 هكتولـتر مـن النبيـذ. كانـت تـزود المنطقـة بعـض المـدن المغربيـة، وتُصـدر أساسـاً إلى سـويسرا وبلجيـكا (حـوالي ربـع الإنتـاج في عـام 1936). كانـت أبـرز أنـواع العنـب هـي Grenache، Carignan-Cinsault، Alicante وClairette. . أمـا مـزارع الحوامـض، فقـد ارتفـع عددهـا مـن 40 000 شـجرة في عـام 1933 إلى أكـثر مـن 182 000 شـجرة في عـام 1937.

تعاونية بركان المهنية

تـم بنـاء هـذا المبـنى في أوائـل الثلاثينيـات، لإيـواء تعاونيـات زراعيـة مخصصـة للحبـوب والبـذور. لقـد كان المنتجـون المحليـون (للفلفـل، التبـغ، الحوامـض ...) ينظمـون فيهـا عمليـات التصديـر إلى الجزائـر أو أوروبـا.

تعاونية بركان للخمور

تـم بناؤهـا في عـام 1929 عـلى طريـق السـعيدية، مـن قبـل جمعيـة المنتجـين المحليـين، وتُعـرف أيضًـا باسـم «مصنـع الجعـة بـني يزناسـن». وكانـت مرفقـة بمقطـرة مجـاورة، تميـزت باسـتخدام أحـدث التقنيـات المعروفـة آنـذاك: لقـد أنتجـت في عـام 1931، 2 500 هكتولـتر مـن الكحـول. كانـت هياكلهـا المعدنيـة المسـبقة الصنـع، تتميـز بنمـط هنـدسي متكـرر يسـمح بالتهويـة، ومبانيهـا مغطـاة بالقرميـد الأحمـر. بلغـت قـدرة الإنتـاج السـنوية بهـا إلى 40 000 هكتولـتر، خصوصـاً مـن النبيـذ الأحمـر العـادي.

مصنع التعبئة والتغليف في بركان

هـو واحـد مـن أولى مصانـع التعبئـة والتغليـف للكليمتـين، تـم بنـاؤه في أواخـر الثلاثينيـات. وكان يُسـتخدم أيضًـا في تنظيـم تصديـر الحوامـض (البرتقـال، الكليمتـين، الماندريـن والليمون)

مصنع الفلفل

تـم بنـاءه خـلال الثلاثينيـات بأسـلوب بسـيط جـدًا، ومـا زال قيـد التشـغيل إلى اليـوم. يُجفـف بـه الفلفـل الحلـو مـن نـوع النيـورا، ثـم يُطحـن ليصبـح بهـارًا حلـوًا. لقـد تـم تصديـر كل الإنتـاج في السـنوات الأولى- 1 786 قنطـار في عـام 1930 ثـم ارتفـع إلى 6 943 قنطـار في عـام 1937 - إلى الجزائـر.

قبو النبيذ في بن صالح وقبو النبيذ في عين الركّادة

مـن بـين خمـس أقبـاء النبيـذ الكبـيرة في المنطقـة، كان كل منهمـا ينتـج ويخـزن النبيـذ الأحمـر. تـم بنـاء الأول في الثلاثينيـات ويتميـز بشـكل مـتراص وحصيـف. أمـا الثـاني في عـين الـركّادة، الـتي تـم بنـاؤه في نفـس الفـترة، كان محاطـا بمـزارع عديـدة للعنـب.

تعاونية قبو النبيذ في عين الرڭادة

مصنع الفلفل، لا يزال قيد التشغيل في بركان

دار الفلاحة

هـو واحـد مـن أقـدم المبـاني في بـركان، تـم بنـاؤه عـلى شـكل نصـف برميـل خـلال العشرينـات، وكان مقـرًا للغرفـة الفرنسـية للاستشـارة للزراعيـة.

كان هذا المبنى يضم مقرًا للغرفة الفرنسية خلال عشرينيات القرن الماضي

تراث المباني والأعمال الفنية المدنية

كنيسة القديسة أجنيس في بركان

تـم بناؤهـا في عـام 1912 مـن قبـل كاهـن، الأب ريجينالـد مايار، عـلى قطعـة أرض بمسـاحة 500 مـتر مربـع، تـبرع بهـا السـيد ماريـس، وهـي جـزء مـن مزرعتـه. كان المبـنى الأصـلي، الـذي تـم بنـاؤه وسـط الحقـول، غايـة في البسـاطة، بـدون زخرفـة وبمـواد رديئـة، فـكان آيـلا للانهيـار. قـررت السـلطات هدمـه، وتـم ذلـك فعـلا عـام 1916.

أعيـد بنـاء الكنيسـة وتوسـيعها بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الأولى سـنة 1918. قـدم السـيد كـراوس، مالـك المزرعـة المجـاورة، قطعـتي أرض متاخمـة لهـا. فتحـت الكنيسـة الجديدة أبوابهـا في يونيـو 1920. ولكـن الأشـغال قـد أنجـزت بتـسرع، إذ كانـت تفتقـد للانسـجام والتـوازن في البنـاء، وتعـاني مـن سـوء التوزيـع. فبـدأ الأب بـاول غراسـيلي بنفسـه، بمجـرد وصولـه في عـام 1928، بمسـاعدة وبفضـل تبرعـات رعيـة الكنيسـة، أعمـال التجديـد والتعديـل والترميـم والتجهـيز.

فحسـن تجانـس البنـا، واسـتكمل التزيـين بمعظـم اللوحـات والنقـوش والتماثيـل، بالإضافـة إلى زراعـة الحدائـق. اسـتمرت الأعمـال أكـثر مـن 21 عامًـا، ولـم تكتمـل عنـد مغادرتـه سـنة 1949.

وقـد روى هـذه المغامـرة في كتابـه « Du Kiss… au Draa » الـذي ينتهـي بهـذه الجملـة: «سـيبقى قلـبي في بـركان».

أهملـت الكنيسـة تدريجيًـا بعـد الاسـتقلال، مـع مغـادرة المجتمـع المسـيحي. تـأوي الكنيسـة اليـوم، منظمـة غـير حكوميـة تعـنى بالبيئـة، وهـي جمعيـة الإنسـان والبيئـة.

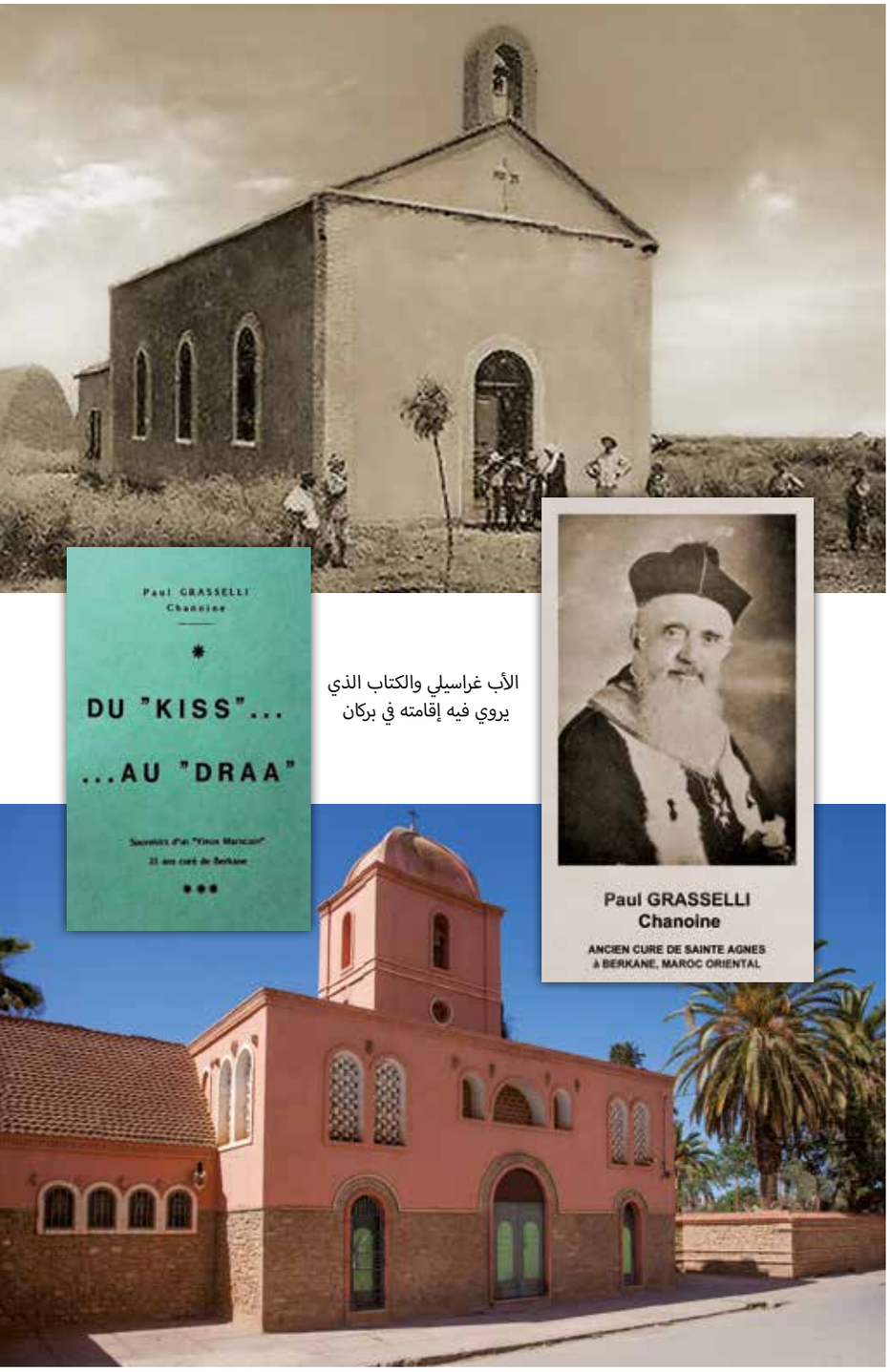

الأب غراسيلي والكتاب الذي يروي فيه إقامته في بركان

أول مكتب بريد في بركان بني عند وصول أول المستعمرين في بداية القرن العشرين (الأرشيف)

مبنى بريد بركان

يقـع عـلى شـارع محمـد الخامـس، تـم إنشـاء المبـنى الأول في بدايـة القـرن، والثـاني في العشرينـات مـن القـرن نفسـه، في نفـس الموقـع، وبأسـلوب حديـث جـداً بالنسـبة لذلـك الوقـت، وهـو حصيـف، ولكنـه يختلـف عـن المبـاني المحيطـة بـه.

المبنى الذي تم بناؤه في العشرينات، هذا المكتب البريدي الحديث جداً بالنسبة لذلك الوقت حصيف ولكنه رمزي

كنس بركان

تـم بناؤهـا في النصـف الثـاني مـن عقـد العشرينـات، وتشـهد عـلى أهميـة الجاليـة اليهوديـة في بـركان. أهمـل بعـد رحيـل اليهـود، ثـم تحـوّل إلى متجـر.

كنيسة السعيدية

تـم الانتهـاء مـن بنائهـا في عـام 1949، وهـي معروفـة أيضـا باسـم «كنيسـة باسـكاليت»، تكريمًـا لجـول باسـكاليت، وهـو مـزارع غـني اسـتقر في بـركان، وسـاهم بشـكل كبـير في تمويـل بنائهـا. كان أيضًـا وسـيطًا للاخـتراق الفرنـسي في المغـرب الـشرقي، بتحفـيز مـن الجـنرال ليـوتي، الـذي سـاهم أيضـا في تمويـل الكنيسـة.

كنيسة السعيدية اليوم

كانـت الكنيسـة، تتيـح للأوروبيـين المقيمـين في السـعيدية، إقامة العبـادات، عـوض قبـو فنـدق لي سـابليت (المعـروف اليـوم بفنـدق هنـور)، إذ كان يقـام بـه قـداس الأحـد. وقـد قـام رجـال كنيسـة القديـس لـوي دانجـو بوجـدة، بجمـع الأمـوال لبنائهـا. بنيـت الكنيسـة بأسـلوب بسـيط وكانـت غـير مزخرفـة، وكانـت تـزار بكـثرة، إلى أن تـم إغلاقهـا بعـد الاسـتقلال.

المدرسة الفرنسية في أحفير

تعتـبر أول مدرسـة حديثـة في المنطقـة، بنيـت في عـام 1908 فـور إنشـاء القريـة، مـع وصـول أول المسـتعمرين، وتحتـوي عـلى ثـلاث فصـول. سـميت مدرسـة سـيدي محمـد بـن عبـد الرحمـن بعـد الاسـتقلال، ثـم تحولـت إلى إعداديـة، لا تـزال قائمـة إلى الآن.

المعابد اليهودية بأحفير

كان المعبـد الرئيـسي واسـعا وضخمـا، بتصميـم معمـاري راقٍ، و لـه بـاب مبهـرة. وكان الثـاني أصغـر منـه بكثـير، يقـع بشـارع بـركان: حيـث تُمـارس العبـادات، وتلقـن أصـول الديانـة اليهوديـة للأطفـال.

أول مدرسة في مارتيمبراي-دو-كيس (أحفير) التي بنيت وفتحت أبوابها في عام 1908 (الأرشيف)

جسر عين أغبال

يعـبر هذا الجـسر واد أغبال في الجماعة التي تحمل نفس الاسـم. تـم بنـاؤه بالحجـارة، في عهـد السـلطان أبي الحسـن المريـني في عـام 1340، وهـو أقـدم منشـأة عموميـة في الاقليم، تـم ترميمه مـن قبـل خـبراء المتفجرات للجيـش الفرنسي خلال فـترة الحماية.

كنيسة أحفير

تـم بناؤها في بداية القرن العشرين لمرافقة المسـيحيين القادمين إلى المدينـة الجديـدة، بالقـرب مـن الجمـارك والمدرسـة. يـأوي المبـنى حاليـاً المكتبـة المحلية.

الكنيسة القديمة في مارتيمبراي-دو-كيس، (أحفير)، المكتبة البلدية حاليا

بالقرب من أكليم، جسر قديم بناه العسكريون، لازال يستعمل إلى الآن

ثانوية أبو الخير

بـنى المسـتعمرين عـام 1909، مدرسـة ابتدائيـة في بـركان تحـت إشراف معلمـة، السـيدة مارتيـني، لتعليـم أطفالهـم: 22 تلميـذ أجنـبي. عُهـدت بعـد ذلـك في عـام 1919 إلى السـلطات المغربيـة، وسـميت «مدرسـة بـركان المختلطـة»، تضـم حـوالي أربعـين تلميـذ، مـن بينهـم أطفـال مغاربـة. كان المبـنى بسـيطا، يضـم أربـع أقسـام، سـاحة وسـكنا وظيفيـا. بلـغ عـدد التلاميـذ 89 تلميـذ عـام 1952، أغلبهـم فرنسـيون، وأعيـد تسـميتها : «المدرسـة الأوروبيـة العموميـة المختلطـة للتعليـم الابتـدائي». بعـد الاسـتقلال، تغـيرت مهمتهـا فأصبحـت «المدرسـة التقنيـة للزراعـة أبـو الخـير»، نسـبة إلى أبي الخـير الإشـبيلي، المهنـدس الزراعـي. تحولـت في عـام 1968، بسـبب موقعهـا الممتـاز في وسـط المدينـة، إلى إعداديـة وثانويـة للتعليـم العـام. أضيـف بعـد ذلـك بهـا عـشرة فصـول، قاعتـان للتطبيقـات، وقاعـة للمحـاضرات ومسـكن. تـم إنشـاء جنـاح علمـي، وفصـول جديـدة، فيمـا بعـد. تعتـبر هـذه المدرسـة واحـدة مـن أول المـدارس الحديثـة في المغـرب.

ساحة ثانوية أبو الخير

الـــذكـــاء
يـحـفـز الإقـتـصـاد

رهـــان الإبـتـكـــار

تشهد بركان والمجالات الترابية المحيطة بها، تحولاً سريعًا بفضل ديناميات عدة : ترابية، ديموغرافية، اجتماعية، ثقافية واجتماعية-اقتصادية...

أدت هذه الديناميات إلى تجديد الرؤية المحلية للتنمية، مراهنة على الابتكار الاقتصادي والاجتماعي والمؤسساتي والثقافي...

تجمع خطة التنمية الإقليمية بين النشاط الاقتصادي والأبعاد الاجتماعية والثقافية : التعليم ، الصحة، النقل، الربط الطرقي لفك العزلة عن المناطق القروية، والتنمية البشرية من خلال المبادرة الوطنية للتنمية البشرية والجمعوية...

الملحقة الإدارية الرقمية بإقليم بركان، وهو إنجاز فريد من نوعه في المملكة، رهن إشارة جميع المواطنين

دعائم التنمية المستدامة

منـذ الأزل، وخصوصًـا منـذ قـرن مـن الحداثـة، ارتبـط اقتصـاد بـركان ونواحيهـا بالفلاحـة، بفضـل مجالاتهـا المميزة، ومناخاتهـا المحليـة، وأهـم الـثروات المائيـة بالمملكـة. وبالإضافـة إلى هـذه المزايـا الطبيعيـة، طـورت مؤهـلات قطاعيـة : الزراعـة، الصناعـات الغذائيـة، السـياحة، البيئـة، التنميـة الرقميـة، المنتجـات المجاليـة، الاقتصـاد الاجتماعـي والتضامـني، المعـدات، التطويـر الحـضري، العقـارات...

تتوفـر المنطقـة كذلـك، عـلى قـوى داخليـة لدعـم التحـولات المحليـة، مثـل تصديـر المنتجـات الطازجـة، والقـرب مـن الأسـواق الواعـدة، خصوصًـا الأوروبيـة، وجاليـة كبـيرة بالخـارج، لهـا تأثـير واسـع عـلى التعـاون اللامركـزي، وقـوة عاملـة متوفـرة محليـا أو تتوافـد مـن المناطـق المجـاورة، ونسـيج جمعـوي نشـيط...

يتضاعـف تأثـير هـذه المؤهـلات الإيجابيـة بفضـل بنيـة تحتيـة مـن الطـراز العالمـي (المحطـة السـياحية المتوسـطية للسـعيدية، ميناء بـني انصـار، ميناء الناظـور غـرب المتوسـط، مجمـع صناعـي، تجهـيزات بحـيرة المارشـيكا، طـرق، مطـارات، مجـالات مسـقية...

تتوفـر في بـركان والمناطـق الـتي تقـع في دائـرة نفوذهـا، روافـع نمـو حديثـة ومبدعـة : بنيـة تحتيـة صناعيـة مـن الجيـل الجديد (بمـا في ذلـك قطـب البحـث والتنميـة ومراقبـة الجـودة، عوامـل التنافسـية، التكنولوجيـا الرقميـة الـتي أدخلـت مبكـرا...).

بالإضافـة إلى ذلـك، اعتمـدت مفاهيـم جديـدة، مثـل الزراعـة الدقيقـة والزراعـة الذكيـة والزراعـة العضويـة الـتي أصبحـت واقعـا محليـا. فهنـاك وعـي حـاد بالتحديـات، والهشاشـة الناجمـة عـن النمـو الديموغـرافي، والضغـط عـلى المـوارد، مـن جـراء عواقـب التنميـة القطاعيـة عـلى النظـام البيـئي الطبيعـي، والتغيـير المناخـي.

تـريـفـة تـتـحـول بـفـضـل الإقـتـصـاد الاستعماري

مـع اسـتقرار المنتجـين الأجانـب في بدايـة القـرن العشريـن، شـهد الاقتصـاد التقليـدي لتريفـة تحـولًا عميقًـا، سـواء في الأسـاليب والنظـم الجديـدة، أو مـن خـلال المفاهيـم الغـير المعهـودة آنـذاك. فظهـر اقتصـاد جديـد، يتضمـن بُعـدًا احتكاريـا لـلأراضي الزراعيـة، وهـي ظاهـرة مسـتوردة.

« فُـرض الاسـتعمار الفرنـسي عـلى سـهل تريفـة سـنة *1907*. وقـد أُقحمـت في هـذا السـهل، في وقـت مبكـر، الأسـاليب المسـتخدمة لتثمـين الأراضي في الجزائـر، عـبر المسـتعمرين الفرنسـيين، وعُمـم نظـام الأجـور الزراعيـة، ممـا أدى إلى تحلـل وإعـادة صياغـة الهيـاكل الاجتماعيـة. في عـام *1909*، مـن بـين الـ *30 000* هكتـار القابلـة للزراعـة في هـذا السـهل، انتقـل حـوالي *7 000* هكتـار إلى أيـدي المسـتعمرين. بلغـت الأراضي الـتي بيـد المسـتعمرين سـنة *1911*، *15 000* هكتـار ثـم *20 000* سـنة *1913*، أي مـا يعـادل مجمـوع الأراضي الخصبـة في السـهل. كان سـعر الأرض للهكتـار إلى غايـة عـام *1909* حـوالي *40* فرنـكًا. ارتفـع هـذا السـعر بعـد سـنة فقـط، إلى مـا بـين *100* و *150* فرنـكًا بسـبب الاحتـكارات العقاريـة، الـتي نجمـت عـن ظهـور الـشركات الخاصـة والمسـتعمرين.»

(المصدر : تاريخ المغرب، هنري تيراس، *1952*)

تتمثـل في أثرهـا عـلى حجـم وجـودة المـوارد المائيـة. ممـا يظهـر أهميـة المناهـج الجديـدة للتنميـة المسـتدامة، الـتي يتبناهـا الإقليـم، المسـتوحاة مـن توصيـات النمـوذج الجديـد للتنميـة، والرغبـة القويـة في التحديـث والابتـكار.

الزراعة والصناعة الغذائية في إقليم بركان

الزراعة : 700 39 هكتـار مـن المسـاحة الزراعيـة المرويـة ؛ 000 27 هكتـار مـن المسـارات ؛ 500 39 هكتـار مـن الغابـات ؛ 500 16 هكتـار مخصصـة للحوامـض

التربية : 000 18 رأس مـن الأبقـار، 147000 رأس مـن الأغنـام، 200 32 رأس مـن الماعـز، 000 8 رأس مـن الخيـول ؛ 30 مليـون لـتر مـن الحليـب المنتج سـنويًا.

الصناعة الغذائية : وفـرة المـواد الزراعيـة الخـام واليـد العاملـة المؤهلـة ؛ وحـدات صناعيـة (محطـات التعبئـة والتغليـف بشـكل خـاص) ؛ القطـب الفلاحـي الصناعـي بـبركان (في مرحلـة أوليـة، تـم تجهـيز 33 وحـدة، تقـع عـلى مسـاحة تبلـغ 52 هكتـار)، ببنيـة تحتيـة وخدمـات عاليـة الجـودة، بمـا في ذلـك قطـب البحـث والتنميـة ومراقبـة الجـودة.

الإنتاج الزراعي الرئيسي لإقليم بركان 2021 - 2022 : زراعـة الأشـجار : 300 445 طـن مـن الحوامـض، 870 44 مـن العنـب، 120 58 مـن الزيتـون، 120 16 مـن الرمـان، 400 5 مـن المـزاح، 600 4 مـن المشـمش و 200 1 مـن التـين ؛ الزراعـات الصناعيـة : 500 124 طـن مـن الشـمندر و 400 67 مـن النيـورة ؛ الخـضروات، 000 15 طـن مـن البطاطـس، 200 6 مـن النعنـاع، 150 4 مـن البطيـخ، 130 3 مـن الجـزر واللفـت، 540 2 مـن الفـول، وتقريبًـا نفـس الكميـة مـن البـازلاء وأكـثر مـن 300 2 طـن مـن منتجـات الزراعـة المغطـاة ؛ محاصيـل الحبـوب والأعـلاف : 000 391 طـن مـن البرسـيم أو الفصفـص و 200 5 مـن الحبـوب، حـوالي نصفهـا مـن القمـح الناعـم وتقريبًـا نفـس الكميـة مـن الشـعير.

(المصادر : المركز الجهوي للاستثمار لجهة الشرق والمديرية الجهوية للفلاحة)

ظهور المنظومات البيئية الجديدة

ظـل القطـاع الفلاحـي قائمًـا عـلى زراعـة الحوامـض والخـضروات وزراعـة الأشـجار وزراعـة الحبـوب، ومـا زال المحـرك الأسـاسي لاقتصـاد بـركان والمناطـق الاقتصاديـة المرتبطـة بهـا. ويعـرف اليـوم، تنوعـا بفضـل المنظومـات البيئيـة الجديـدة، إذ ظهـرت قطاعـات جديـدة، مثـل الصناعـات الغذائيـة والمنتجـات المجاليـة والبيئـة والاقتصـاد الاجتماعـي والتضامـن والسـياحة والبنـاء والعقـارات... الـتي أدت إلى تثمـين مجموعـة أوسـع مـن المـوارد المحليـة، وإدخـال المنظومـات البيئيـة الجديـدة. فانفتـاح المغـرب عـلى «الاقتصـاد العالمـي»، في بدايـة الألفيـة الجديـدة، دفـع المسـؤولين المحليـين إلى إعـادة التفكـير في عوامـل النمـو.

لقـد عرفـت بـركان ونواحيهـا كيـف تحصـل عـلى مكانـة مرموقـة للاسـتفادة مـن الاسـتراتيجيات القطاعيـة الوطنيـة، الـتي تـم إطلاقهـا آنـذاك : المخطـط الأزرق، مخطـط المغـرب الأخضر، النهضـة الصناعيـة، رواج، أليوتيس، المخطـط الوطني للوجسـتيك... والـتي تهـم جميـع القطاعـات : الفلاحـة، السـياحة، الصناعـات الغذائيـة، النقـل واللوجسـتيك، البنيـة التحتيـة، الصحـة، التعليـم والتكويـن والتنميـة البشريـة... فـكان مـن الـضروري تحديـد المزايـا، وتثمـين المؤهـلات التنافسـية. فتـم بلـورة وترجمـة هـذه المجهـودات في برنامـج التنميـة الصناعيـة للجهـة الشرقيـة، الـذي أطلقتـه وكالـة جهـة الشـمال في نهايـة التسـعينات، ثـم نفذتـه بنجـاح، وكالـة تنميـة جهـة الـشرق، منـذ تأسيسـها في عـام 2006. فنشـأ عنـه القطـب الفلاحـي الصناعـي بـبركان.

محمد صديقي، وزير الزراعة، والصيد البحري، والتنمية القروية، والمياه والغابات، يفتـتح المعرض الإقليمي الثامن للمنتجات المجالية في السعيدية، الذي عقد من 14 إلى 23 يوليو 2023، برفقة عامل إقليم بركان، محمد علي حبوها

القطب الفلاحي الصناعي
ببركان بجماعة مداغ

القطب الفلاحي الصناعي ببركان، رأس حـربـة الإبـداع

تـم اختيـار إقليـم بـركان لاحتضـان القطـب الفلاحـي الصناعـي بـبركان، مـن الجيـل الجديـد، وهـو الأول مـن نوعـه في المغـرب. عـلى الرغـم مـن أن القـرار كان منطقيًـا، إلا أنـه لـم يتخـذ إلا بعـد القيـام بدراسـات منهجيـة، للتأكـد مـن نجاعتـه، ولتقييـم آثـاره، ولاستشـفاف تطـوره المتوقـع.

تم افتتاح القطب الفلاحي الصناعي ببركان من قبل جلالة الملك في عام 2013.

قطب البحث والتنمية ومراقبة الجودة، القلب النابض للقطب الفلاحي الصناعي ببركان

مقابلة مع محمد درعاوي مدير قطب البحث والتنمية ومراقبة الجودة ضمن القطب الفلاحي الصناعي ببركان

- ما هو دور قطب البحث والتنمية ومراقبة الجودة في الابتكار والقيمة المضافة الزراعية ؟

«إنـه مخصـص للبحـث والتطويـر، للتكويـن ولرقابـة المنتجـات الموجهـة نحـو التصديـر. فهـو يقـوم بمرافقـة المسـتثمرين في قطـاع الانتـاج والتحويـل والتصديـر للمنتجـات الفلاحيـة، لتحسـين إنتاجيـة القطاعـات ذات الإمكانيـات الكبـيرة، ولتثمـين منتجاتهـم. تبلـغ مسـاحته الداخليـة *13 200* مـتر مربـع، مخصصـة للتجـارب، وبهـا مختـبرات جديـدة، تضمـن الجـودة الصحيـة، ومطابقـة المنتجـات وتقـدم المشـورة والمرافقـة المهنيـة. يضـم قطـب البحـث والتنميـة ومراقبـة الجـودة، مختـبرات تابعـة للهيئـة المسـتقلة للرقابـة وتنسـيق التصديـر، وللمكتـب الوطـني للسـلامة الصحيـة للمنتجـات الغذائيـة، وللمعهـد الوطـني للبحـث الزراعـي. كمـا أنـه يضـم فضـاء للتكويـن ولتنظيـم التظاهـرات، يسـع *500* مشـارك، وبـه أوراش عمـل، ومكاتـب، و *30* غرفـة للإيـواء، ومطعـم.»

- هل يساهم قطب البحث والتنمية ومراقبة الجودة في نشر التكنولوجيا الجديدة ؟

« نسـتضيف بانتظـام عـدة تظاهـرات، حـول اسـتخدام الطائـرات بـدون طيـار في زراعـة الحوامـض عـلى سـبيل المثـال، والتجميـع الزراعـي والزراعـة الدقيقـة ومسـاهمات التكنولوجيـا الحديثـة والرقمنـة مـن أجـل الزراعـة المسـتدامة، بالإضافـة إلى اسـتراتيجية «الجيـل الأخـضر» وتزيلهـا المحـلي. فلقـد أطلـق في هـذا السـياق، المكتـب الوطـني للاستشـارة الفلاحيـة في عـام *2021* مركـزا إقليميـا للمقاولـة، في قطـب البحـث والتنميـة ومراقبـة الجـودة (الاحتضـان، التدريـب، التوجيـه، الاستشـارة ومرافقـة المشـاريع)، وهـي هيئـة حديثـة جذابـة جـدًا للشـباب المقاولـين وللنسـاء القرويـات، ويقـدم المسـاعدة للحصـول عـلى وسـائل التمويـل ولولـوج الأسـواق المحليـة.»

- ما هي الاستراتيجية التي اتخذتموها لتحفيز الكفاءات من أجل التنمية المحلية ؟

«وُلـد أول تكتـل جهـوي في عـام *2022* في قطـب البحـث والتنميـة ومراقبـة الجـودة: يدعـى مركـز الابتـكار الفلاحـي الصناعـي بـبركان، وهـو مـزود بـرواق مجهـز ببهـو تكنولوجـي وفضـاء مُجهـز. إنـه إطـار لاحتضـان وتدريـب وتوجيـه وتقديـم الاستشـارة ومرافقـة المشـاريع المبتكـرة، والـشركات الجديـدة في الصناعـات الغذائيـة والفلاحـة، مخصـص للتنميـة المسـتدامة وحمايـة المـوارد الطبيعيـة. يرافـق أيضـا نشـأة الـشركات المبتكـرة والمنظومـات البيئيـة الغذائيـة الديناميـة ويسـاهم في تحسـين الإنتاجيـة والقيمـة المضافـة للقطاعـات الغذائيـة وخلـق الوظائـف والروابـط بـين البحـث والتطويـر.»

هياكل عديدة
مقامة في القطب
الفلاحي الصناعي
ببركان

الـقـرب مـن أوروبـا والـمـغـرب الـعـربـي	إمـكـانـيـات فـلاحـيـة كـبـيـرة، خـصـوصًـا لـلـحـوامـض. وقـطـاعـات رئـيـسـيـة أخـرى : الـحـبـوب، الـخـضـروات، الـعـلـف والـمـحـاصـيـل الـسـكـريـة	يـد عـامـلـة وفـيـرة ومـؤهـلـة، وأكـثـر من 300 000 نسمة في إقـلـيـم بـركـان	في قـلـب الـمـسـاحـة الـزراعـيـة تـريـفـة-بـني يـزنـاسـن-أنـكـاد، بـحـجـم إنـتـاج قـدره 2 مـلـيـار درهـم في الـصـنـاعـات الـغـذائـيـة

الـزمـن	الـمـسـافـة	الـمـيـنـاء	الـزمـن	الـمـسـافـة	الـمـطـار	الـزمـن	الـمـسـافـة	محطة السكة الحديدية	الـزمـن	الـمـسـافـة	
60 دقيقة ساعة و15دق	90 كم 110 كم	الناظور الناظور ويست ميد	45 دقيقة 60 دقيقة	60 كم 80 كم	وجدة-أنكاد الناظور-العروي	60 دق	60 كم	وجـدة	45 دقيقة ساعة و15دق 45 دقيقة	60 كم 80 كم 60 كم	وجدة الناظور الطريق السريع A2

المصدر : *MedZ*-مجموعة *CD*

عبئـت 100 هكتـار تقريبًـا، في منتصـف الطريـق بـين بـركان والسـعيدية، لأنشـطة التحويـل، اللوجسـتيك والخدمـات، التجميـع والتسـويق، بالإضافـة إلى البحـث والتطويـر. تسـتغل حاليًـا، حـوالي نصـف المسـاحة، حيـث تتواجـد ثلاثـة وثلاثـون شركـة، بالإضافـة إلى مختلـف البـنى التحتيـة والخدمـات. تعتـبر هـذه المنطقـة منظومًـة بيئيًـة متكاملـة مـن المسـاحات الصناعيـة والهيـاكل ذات الأهـداف المتعـددة. نذكـر مـن بـين مزاياهـا، موقعهـا في قلـب المنطقـة المسـقية في ملويـة، وقربهـا مـن الطريـق السـاحلي المتوسـطي، ومـوانئ الناظـور ومليليـة، والقـرب مـن مطـاري الناظور-العـروي ووجدة-أنـكاد.

ينـدرج القطـب الفلاحـي الصناعـي ضمـن الاسـتراتيجيات الوطنيـة للتطـور الصناعـي ومخطـط المغـرب الأخـضر. فلقـد لعـب دورًا حاسـمًا في تحديـث قطـاع الفلاحـة بالإقليـم، ويقـدم اليـوم إطـارًا مناسـبًا لدمـج اسـتراتيجيات الابتـكار في الزراعـة والصناعـات الغذائيـة. الزراعـة الدقيقـة، الزراعـة الذكيـة، الزراعـة العضويـة، الزراعـة الرقميـة... كل هـذه الأشـكال المختلفـة للإنتـاج الزراعـي تسـتخدم التكنولوجيـات الجديـدة، مثـل الـذكاء الاصطناعـي والروبوتـات والأجهـزة الموصولـة بالأنترنيـت والحوسـبة المتطـورة، و5G، وقواعـد البنيـات المتسلسـلة البلوكتشـين، والحسـاب الفائـق... تتوفـر كلهـا عـلى الإمكانيـات والقـدرات اللازمـة لجعـل الزراعـة أكـثر فعاليـة واسـتدامة وتنافسـية. يتـم تدريجيًـا إدمـاج الاسـتراتيجيات الأكـثر ابتـكارًا، لرفـع التحديـات البيئيـة والتنافسـية، نظـرًا لمكانـة بـركان الهامـة في تصديـر المنتجـات الطازجـة والمعالجـة إلى الخـارج (ثـاني أكـبر منطقـة تصديـر للمنتجـات الطازجـة في المغـرب).

تـم سـنة 2022، تنفيـذ اسـتراتيجية الجيـل الأخـضر « 2020-2030 » في الإقليـم، بتعزيـز الإطـار المؤسسـاتي للابتـكار الزراعـي؛ وقـد وقعـت اتفاقيتـان في هـذا الشـأن. تجمـع الأولى بـين الإدارة الجهويـة للفلاحـة، والمكتـب الوطـني للاستشـارة الفلاحيـة، و(جمعيـة المسـتثمرين في القطـب الفلاحـي الصناعـي بـبركان) لتعزيـز الابتـكار مـن خـلال التـآزر بـين المشـغلين والمؤسسـات الـتي تقـدم خدمـات البحـث والتطويـر (المعهـد الوطـني للبحـث الزراعـي، جامعـة محمـد الأول بوجـدة، مـدارس تكويـن التقنيـين.)

المجزرة الجديدة ببركان

يُزمع إقامتها على مساحة تبلغ 2.8 هكتار، ستغطى 950 2 م² منها، وستُلبي المجزرة الجديدة التي هي في طور الإنجاز حاليًا ببركان، حاجة السكان من اللحوم التي تخضع للمعايير الصحية، والتي توفر الجودة المطلوبة، ويصادق عليها المكتب الوطني للسلامة الصحية للمنتجات الغذائية، وفقًا للمعايير المعمول بها. تتوفر المجزرة على قدرة ذبح تبلغ 250 خروفًا و 35 بقرة في الساعة، وقدرة للتخزين تصل إلى 500 1 خروف و 250 بقرة، وتشمل أيضًا حظائر، ومساحات للذبح والتقطيع والتغليف وغرف التبريد والتجميد وشاحنتين لنقل اللحوم المبردة، واثنتين لنقل الماشية.

الثانية، المُبرمة بين وزارة الفلاحة والاتحاد المغربي للفلاحة والتنمية القروية وإقليم بركان، تهدف إلى إنشاء «بورصة العمل الفلاحي». يهدف «الجيل الأخضر» إلى رفع الناتج الزراعي السنوي على مستوى الإقليم من 2 مليار درهم في أوائل العقد 2020 إلى 4،5 مليار درهم بحلول 2030. وبذلك، ستصبح المساحة المخصصة للزراعة العضوية 400 هكتار. من الناحية الاجتماعية، ستخلق مليوني ساعة عمل، وسيتضاعف حجم الطبقة المتوسطة الفلاحية حيث ستبلغ حوالي 000 8 عائلة. كما سيتم توسيع التأمين الفلاحي وتعميم الحماية الاجتماعية ؛ وكذا من المتوقع أن تنشأ 240 تعاونية لفائدة حوالي 700 1 مستفيد. سيتم كذلك تكوين حوالي 800 2 طالب في مؤسسات التكوين الفلاحي في بركان.

المنظومة السياحية حول السعيدية

دشـنها جلالـة الملـك، حفظـه اللـه، في يونيـو 2009، وكانـت تضـم فندقـين، وفضـاء سـياحيًا يوفـر العديـد مـن الخدمـات : فندقيـة، سـكنية، تجاريـة، رياضيـة، سـاحلية وبحريـة، بفضـل ميناء ترفيهي ضخـم... إن ميديترانيـا السـعيدية هـي أول محطـة شـاطئية في المخطـط الأزرق، الـذي أطلـق في أوائـل الألفيـة الجديـدة ضمـن اسـتراتيجية رؤيـة 2010.

تحظى السـعيدية بإقبـال سياحي كبـير، خاصـة خـلال الموسـم الصيفي، حيـث تسـتقطب أكـثر مـن 300 000 سـائح، في حـين لا يقطـن بهـا خـلال أشـهر السـنة الأخـرى إلا حـوالي 8 000 نسـمة. تهـدف ميديترانيـا السـعيدية إلى منافسـة المحطـات الكبـيرة الـتي تطـورت بالفعـل في البحـر الأبيـض المتوسـط : فهـي تسـعى إلى تعزيـز جاذبيتهـا عـلى مـدار السـنة. فجـودة شـواطئها الـتي تمتـد عـلى طـول 13 كيلومـترًا مـن الرمـال الناعمـة، ومياه اسـتحمام وبنيـة تحتيـة تحترمـان المعايـير الدوليـة، (خاصـة المارينـا الـتي تحتـوي عـلى 800 حلقـة للإرسـاء، والـتي سـترتفع مسـتقبلا إلى 1 354 - والمدينـة المائيـة الـتي تغطـي 7 هكتـارات)، كمـا أن اعتدال الطقـس وسـهولة الولـوج، تعـد بـلا شـك مزايـا في غايـة الأهميـة.

عـلاوة عـلى ذلـك، تسـمح بيئـة الإقليـم بالعديـد مـن أنـواع السـياحة المتخصصـة، بمزايـا لا يمكـن إنكارهـا. فميديترانيـا السـعيدية، محـرك هـام للسـياحة بالإقليـم، وبالتـالي لاقتصـاد جهـة الـشرق.

إن المحطـة الشـاطئية المزمـع إنشـاؤها عـلى مسـاحة 713 هكتـار، تهـدف إلى رفـع قـدرة الإيـواء لتصـل إلى 600 29 سريـر سـياحي، بفضـل تسـع فنـادق مـن أربـع وخمـس نجـوم (160 هكتـار، 900 16 سريـر)، وثمانيـة إقامـات سـياحية، 12 قريـة سـياحية وثمانيـة إقامـات فندقيـة توفـر شـققًا (700 12 سريـر) : فهـي لا تتعـدى اليـوم 400 6 سريـر سـياحي.

شركة متخصصة لتثمين المحطة

تأسست شركة تنمية السعيدية في دجنبر 2011، وتبنت المشروع الذي بدأه المنعش السياحي الإسباني فاديسا لتنميـة السـياحة في المحطـة، بشراكـة بـين «مضايـف»، الفـرع المتخصـص لصنـدوق الإيـداع والتدبـير (ثلـثي رأس المـال)، وإثمـار كابيتـال، وهـو صنـدوق اسـتثمار مغـربي. تقـوم الشركـة أيضًـا بـإدارة الكُولـف والمارينـا والمركـز التجـاري. تهـدف كذلـك إلى إنهـاء أشـغال المجمـع الـذي سـيقدم خدمـات سـياحية عاليـة الجـودة، ويوفـر بـنى تحتيـة شـاطئية بمعايـير دوليـة، لـكي تصبـح منطقـة متكاملـة للراحـة والترفيـه.

تعـتزم الشركـة تثمـين القطـع الأرضيـة الباقيـة والمخصصـة لإنشـاء الفنـادق، والإقامـات السـكنية والسـياحية والبنيـة التحتيـة اللازمـة، وكـذا إلى كل مـا يحسـن الإطـار العـام ويسـاهم في التنشـيط السـياحي وفـق أعـلى المعايـير.

(المصدر : *www.sdsaidia.ma*، موقع شركة تنمية السعيدية)

مـن المقـرر أيضًـا إقامـة ثلاثـة مراكـز ترفيهيـة، ومحـلات تجاريـة (8 هكتـارات)، ومـرسى للقـوارب، وثلاثـة ملاعـب لريـاضـة الكُولف، مكونـة مـن 18 حفـرة (196 هكتـارًا)، وحديقـة (50 هكتـارًا)، وقـصر للمؤتمـرات و 3 000 وحـدة سـكنية (على مسـاحة 85 هكتـارًا). مع مرور الوقت والإنجازات، ستصبح المحطة أكثر فعالية وجاذبية.
في النهاية، من المتوقع أن تخلق 8 000 وظيفة مباشرة و 40 000 وظيفة غير مباشرة.

مغارة الجمل، جوهرة في قلب بني يزناسن

يمكن عبور التكتل الجبلي الضخم لبني يزناسن من خلال فجوة عميقة من الحجر الجيري، تسمى أودية زكْزل. لكن تصاعد الأمطار المتراكمة في الجبال، يخلق كهوفًا وممرات خاصة بهذا النوع من التضاريس الكربونية. وهكذا، فمن كهف الجمل يخرج أحيانًا سيول عنيفة، عند سفح الجبل الذي يشبه الجمل، مما أكسبه اسمه. لقد جهزت مغارة الجمل بشكل يضمن للزوار الأمان التام، بفضل دعم وكالة تمنية جهة الشرق. تزخر المغارة بثروة نباتية وحيوانية خاصة به. فالمسار المؤدي له مدهش، به ثلاثة طوابق يتخللهم مستويان متوسطان. بداخله توجد تراكمات متعددة، ستالاكتيتات وستالاكمايتات تشبه آلة الأرغن الكبير الموسيقية. لقد جهز الفضاء الموصل للمغارة ومحيطها، لاستقبال الزوار بشكل مريح.

مغارة الجمل، من الجواهر الطبيعية لبني يزناسن.

(المصدر: جبال بني يزناسن، ذاكرة للإنسانية، وكالة تنمية جهة الشرق، *2016*)

المنظومة السياحية في الأرياف

تتمتع بركان ونواحيها، بمؤهلات سياحية هائلة وفريدة من نوعها. لقد أطلقت العديد من المشاريع تهم السياحة الجبلية والسياحة الأثرية والسياحة الدينية (بفضل وجود الزوايا، في مداغ وأحفير وفزوان...) وسياحة العلاج بالمياه الحرارية (محطات العلاج بالمياه الحرارية في فزوان والشويحية...). كما تزخر جماعات قروية أخرى بمسارات للمشي خلابة، ومواقع فريدة، مثل تافوغالت، زكْزل، لعتامنة... ولقد أعد وأنزل برنامج تعاقدي، بهدف تحقيق تنمية مندمجة، لتثمين المواقع، خاصة من خلال تجهيزها وتزويدها بالمعدات المناسبة لاستقبال الزوار.

تتعلق العديد من مشاريع التنمية البيئية المستدامة بالإيواء. فهي تجسيد لمفاهيم متنوعة، مثل «كْلامبينغ» أو التخييم الذي تم تطويره في عين ألمو وتافوغالت، والتخييم لمراقبة الطيور في ملوية، وإقامات الاكولوجية في بوخريس، تركْيرت، تيزي أولال وتافوغالت التي تستضيف أيضًا مأوى قروي.

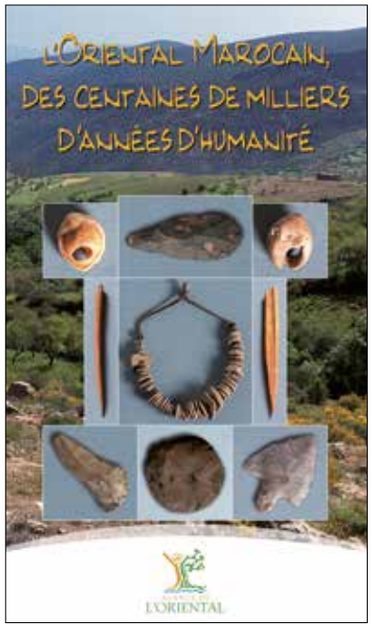

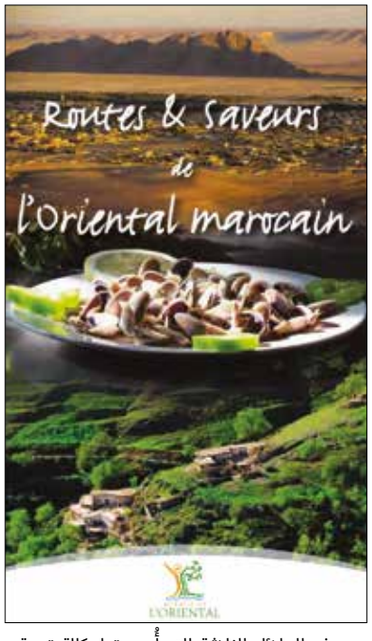

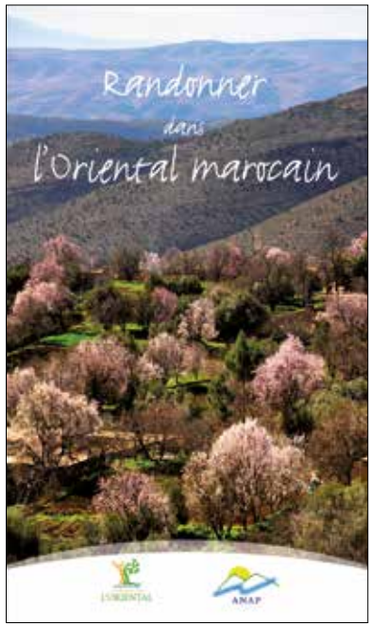

هذه الدلائل الثلاثة التي أُصدرتها وكالة تنمية جهة الشرق تساهم في تطوير السياحة الاستكشافية ؛ الأراضي المجاورة لبركان حاضرة بقوة

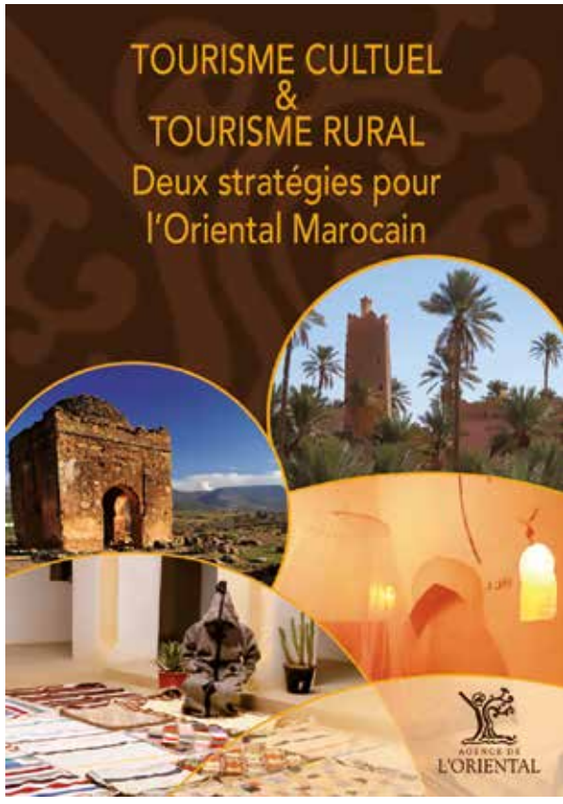

هذا المؤلف الذي أصدرته وكالة تنمية جهة الشرق سنة 2015 يعرض نتائج الدراسات العلمية التي تتطرق لنوعين من السياحة المتخصصة، التي تمثل إمكانيات عالية

عـلى غـرار مـشروع مغـارة الجمـل، يهـدف تسـعة عـشر مشروعًـا إلى تعزيـز العـرض السـياحي للمناطـق المجـاورة لـبركان، بمـا في ذلـك تثمـين المنتجـات المجاليـة، وإنشـاء أحـد عـشر مسـارًا للمـشي، وأخـرى لركـوب الخيـل وللدراجـات (الأولى في فـزوان وتافوغالـت)، تطويـر الصيـد، إقامـة مزرعـة بيداغوجيـة، توفـير أكشـاك للمعلومـات (تافوغالـت والسـعيدية) ...
أصبحـت المجـالات الفريـدة مـن نوعهـا والمجـاورة لـبركان والسـعيدية، محـط الاسـتثمارات والمشـاريع المسـتدامة، تهـيئ خصيصًـا، لـكي تتمـاشى مـع المواقع ومـع الزبنـاء المسـتهدفين.

المنظومة الاجتماعية والتضامنية، رافعة للنمو

يلعـب الاقتصـاد الاجتماعـي والتضامـني، دورًا أساسـيًا في التنميـة الاقتصاديـة والاجتماعيـة الوطنيـة، من خـلال المسـاهمة في مكافحة الفقـر، وتعزيـز الاندمـاج الاقتصـادي وخلـق الأنشـطة المـدرة للدخـل وفـرص العمـل. إن الاقتصـاد الاجتماعـي والتضامـني تقليـد عريـق في الثقافيـة المغربيـة. ازدادت أهميتـه عـلى الصعيـد المؤسسـاتي، خاصـة في القطاعـات الإنتاجيـة مـن خـلال التعاونيـات الـتي تلعـب دورا رئيسـيا بهـا. فقـد وضـع إطـار مؤسسـاتي وقانـوني، يحـث عـلى مبـادئ التعـاون والتوزيـع التضامـني للـثروات المنتجـة، وعـدم اسـتهداف الربـح.

إفاسن، العلامة التجارية لنساء تبدعن من أجل النساء

أسـفر لقـاء سـنة 2006 بـين امرأتـين شـابتين، الأولى تـرأس جمعسـة «أدف» وهـي مغربيـة مقيمـة بالخـارج، والأخـرى تنسـج الحلفـاء قـرب الشـويحية، لديهـا قـدرة إبداعيـة مكنتهـا مـن إدخـال الأليـاف الحديثـة، خاصـة الأكيـاس البلاسـتيكية، الـتي كانـت مـا تـزال تُسـتخدم في المغـرب آنـذاك. حيـث كان مـن الـضروري للحفـاظ عـلى البيئـة، أن تجمـع الأكيـاس المرميـة كخطـوة أولى في عمليـة إعـادة التدويـر. تـم تطويـر تقنيـات نسـج جديـدة، اسـتنادًا إلى المهـارات التقليديـة، مـن تعاونيـات الخياطـين لتزيـين المنتجـات، والمصممـين لإبـداع منتوجـات حديثـة. فنسـقت العديـد مـن النسـاء أعمالهـن، لإنجـاز مجموعـة كاملـة مـن قطـع للتزيـين، واكسسـوارات الموضـة. صممـت وسـجلت لهـذا الغـرض علامـة تجاريـة، وتـم الترويـج لهـا تدعـى : إفاسـن. تشـجع الجمعيـة عـلى اسـتقلالية النسـاء، مـن خـلال أنشـطة مـدرة للدخـل، في إطـار الاقتصـاد الاجتماعـي والتضامـني ؛ كمـا تعمـل عـلى حمايـة البيئـة وتعليـم النسـاء في المناطـق القرويـة.

يعتـبر تعـدد التعاونيـات، مـن مـؤشرات تطـور الاقتصـاد الاجتماعـي والتضامـني. فإقليـم بـركان يحتـل مكانـة مرموقـة في هـذا المجـال عـلى صعيـد جهـة الـشرق : بـه 710 تعاونيـة، مـن مجمـوع 511 6 المسـجلة إلى غايـة 2021، تضـم 731 5 عضـوا. تهتـم التعاونيـات بشـكل رئيـسي بالقطـاع الفلاحـي، الـذي يتميـز بثرائـه وتفـرده بالمنتجـات المجاليـة (الحوامـض، التـين الشـوكي، الأركـان، الخـروب، التـين، المشـمش، اللـوز...) بالإضافـة إلى التعاونيـات الـتي تقـدم الخدمـات الزراعيـة. لقـد حـل مخطـط « الجيـل الأخـضر » محـل مخطـط المغـرب الأخـضر، وهـو يقـدم للاقتصـاد الاجتماعـي والتضامـني، مجـالا واسـعا للمشـاريع المبتكـرة. فقـد اختـير في هـذا السـياق سـنة 2022، أثـنى عـشر مشروعًـا للزراعـة التضامنيـة، وسـبعة مشـاريع لتطويـر الخدمـات الزراعيـة الرقميـة، في إقليـم بـركان. تـم توقيـع اتفاقيـة لهـذا الغـرض، خاصـة بـين المكتـب الوطـني للاستشـارة الفلاحيـة، ومكتـب تنميـة التعـاون، والمديريـة الإقليميـة للزراعـة، لتعزيـز القطـاع التعـاوني، وتشـجيع إنشـاء التعاونيـات في المناطـق القرويـة.

الدار العائلية القروية بني يزناسن، إنجاز نموذجي في مجال السياحة البيئية بتافوغالت

تزخر بني يزناسن بمناظر خلابة، ومسارات ممتعة للمتنزهين. تتنوع بها كذلك عروض الايواء : نُزل، مآوي قروية أو عند الأهالي، الذين عادة ما يستقبلون الأجانب بحفاوة، ويقدمون لهم المنتوجات المجالية ومنتوجات الصناعة التقليدية المحلية، ويساعدونهم على اكتشاف جمال المواقع. تعج المنطقة بالعديد من المشاريع، التي تهدف إلى الحفاظ على هذا التراث، وعلى التنوع البيئي. أحدهم بجماعة تافوغالت، وهو وليد شراكة بين جمعية الدار العائلية القروية بني يزناسن والوكالة الوطنية للمياه والغابات، في إطار برنامج يعنى ب «تثمين السياحة البيئية لمنطقة بني يزناسن»، ضمن استراتيجية «غابات المغرب». يقع على مساحة 2.5 هكتار، وله أهمية بيولوجية وبيئية كبيرة، إذ يحتوي على ثلاثة عشر شاليه صغير، وقباب، ومقهى، ومطعم، وكشك لبيع المنتجات المجالية. ويضم كذلك ملعبا للأطفال، وقاعة للرياضة وملعبا للكبار، ومكانا لركوب الدراجات الجبلية، وموقفا للسيارات.

لهذا المشروع بعد اجتماعي قوي، إذ يسعى إلى التوعية بالقضايا البيئية، ويشجع الأنشطة الترفيهية والرياضية. وقد ساهم في تنويع ورفع دخل السكان؛ حيث تم خلق عشرين وظيفة مباشرة، وثلاثين وظيفة غير مباشرة. تأسست دار العائلة القروية سنة 2010 ، واستفادت منذ بدايتها، من دعم وكالة تنمية جهة الشرق. فهي تقود هذه الدينامية المحلية للتنمية الاجتماعية، وتسعى إلى دمج الشباب القرويين، من خلال التوظيف أو التشغيل الذاتي، وخاصة أولئك الذين أقصوا من التكوين المهني (غالبًا بسبب البُعد)، أو الذين فشلوا في الدراسة، على غرار ما قد تقوم به مدرسة الفرصة الثانية. يُؤكد رئيسها، السيد محمد القادري، على أن «تكوين شباب العالم القروي وخلق الوظائف، سيحتفظ بالقوى الحية محليا». تقدم الجمعية دورات لإعادة تأهيلهم على المستوى الدراسي، وأخرى للتكوين في زراعة الأشجار والخضروات، وتربية المواشي، و الميكانيك الفلاحية وحتى في السياحة (الاستقبال، الخدمة، تحضير الأطعمة...). تمنحهم الجمعية، بعد تسعة أشهر من التكوين، شهادة توثق تحصيلهم للمعرفة الأكاديمية الجديدة، لكي يتمكنوا من لجوء سوق الشغل.

«سـنح هـذا المفتـاح السـحري للعديـد مـن الشـباب، الذيـن كانـوا يفتقـرون لرؤيـة مهنيـة واضحـة، لاسـتعادة الثقـة في النفـس والتحكـم في مسـتقبلهم»، يقـول محمـد القـادري. لقـد أطلـق العديـد مـن الخريجـين، مشـاريع صغـيرة، تتسـم بقيمـة مضافـة عاليـة، في مجـال المنتجـات المجاليـة. تتعهـد الجمعيـة بالإجـراءات المهنيـة، لتثمـين وتسـويق هـذه المنتجـات. ويتـم الترويـج عـبر التكنولوجيـا الحديثـة، ووسـائل التواصـل الاجتماعي، للمنتجـات المجاليـة، وتقـوم التعاونيـات بتوصيلهـا إلى جميـع أنحـاء المغـرب ! تسـتقبل مدرسـة تمهيديـة أطفـال الدواويـر المجـاورة. تغطـي النيابـة الإقليميـة للتعليم والإقليـم تكاليـف النقـل والتغذيـة.

تُثمـن الـدار العائليـة القرويـة في تافوغالـت المـواد الحديثـة الـتي تحـترم البيئـة، بدعـم مـن جمعيـة نـور، الـتي أسسـها لاعـب الرُّكْـبي الـدولي السـابق، عبـد اللطيـف بـن عـزي، و»أصدقـاء بـني يزناسـن»، الـتي أنشـأها مغـربي مقيـم في ألمانيـا.

علاوة على ذلك، يتميز إقليم بركان بحيوية كبيرة، في تنفيذ المشاريع المدرجة ضمن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، الإدماج عن طريق التنمية

المبادرة الوطنية للتنمية البشرية
Initiative Nationale pour le Développement Humain

ساهمت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بشكل كبير، في انخفاض نسبة الفقر، وهشاشة الفئات المعوزة، في إقليم بركان. وعلى الرغم من التناقص الكبير في عدد هذه الفئات، تواصل المبادرة جهودها واستثماراتها، لضمان استفادة جميع السكان من ثمار التنمية.

تتوزع مشاريع المبادرة على أربعة برامج، اثنان منها قديمة، («معالجة النقص في البنية التحتية والخدمات الاجتماعية الأساسية» و«مرافقة الأشخاص في وضعية هشة») واثنان أحدث عهدا («تحسين دخل الشباب ودمجهم اقتصادياً» و «تحفيز رأس المال البشري للأجيال الصاعدة».)

لقد بلغ عدد المشاريع، قيد التنفيذ بإقليم بركان 289 ما بين عامي 2019 و 2022، بغلاف إجمالي يقرب 200 مليون درهم؛ أكثر من ثلاثة أرباع هذه المشاريع تندرج في البرنامجين الأولين، ويمثلان قرابة نصف الاستثمار الإجمالي.

لكنه تراجع بشكل واضح في 2023، لأن المكتسبات تسمح بالتركيز على برنامجين حديثين، بمشاريع مكثفة، تهم بالأساس الطفولة والشباب : تضم 136 مشروعًا من أصل 171 مبرمجٍ لهذه الفترة.

تسعى المبادرة الوطنية للتنمية البشرية لرفع مستوى النمو الفعلي في إقليم بركان، الذي يشمل الجميع ؛ طموحٌ مَلِك !

تبين بعض الإنجازات التي دعمتها وكالة تنمية جهة الشرق، عن تنوع كبير للبرامج، التي طورت ضمن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في بركان، والمناطق التي تحت تأثيرها ؛ فقد تدخلت السلطات العمومية، لحل جميع المشاكل الاجتماعية الرئيسية، التي تم تحديدها وتحليلها، لكي يستفيد الجميع من مسيرة التنمية التي تشهدهابركان.

مركز المبادرة

ينبثق المركز من جمعية البدر للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، المرأة والطفل، وهي منظمة غير حكومية تأسست في عام 1997. تقوم بالتعليم والتكوين (خاصة من خلال التعليم غير الرسمي)، والتأهيل (خصوصًا للأنشطة الحرفية) وتعمل على دمج الشباب الذين تتولى رعايتهم، كما تقدم لهم الرعاية الطبية الشاملة. يشكل التخلف العقلي أكثر من ثلث الحالات التي يتم معالجتها، والتوحد والتثليث، كل منهما حوالي الربع. يبلغ عدد الشباب المعنيين حاليًا 150 ؛ لم يكن عددهم يفوق 60 سنة 2013. بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ووكالة تنمية جهة الشرق، والإنعاش الوطني والجماعات الترابية، فالمركز يدل عن شمولية مسيرة النمو، ولا سيما تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة.

مركز الفضل للتنمية البشرية

فتـح المركـز أبوابـه سـنة 2020، بمبـادرة مـن جمعيـة المواسـاة والتنميـة الاجتماعيـة، للمسـاهمة في التنميـة الاجتماعيـة والتعليميـة والثقافيـة لـبركان. يسـتهدف خصوصـاً الأيتـام والأرامـل المعوزيـن، ويتوفـر عـلى قاعـات لبعـض الأنشـطة (الحلاقـة، طهـي الطعـام، التكويـن، مكتبـة...)، ويقـترح بعـض الفحوصـات الطبيـة والمسـاعدات الاجتماعيـة. يتكـرس المركـز بشـكل خـاص لمحـو الأميـة، وللتعليـم غـير الرسـمي ولمدرسـة الفرصـة الثانيـة. يدعـم مركـز الفضـل كل مـن وكالـة تنميـة جهـة الـشرق، الإنعـاش الوطـني، ووزارة التربيـة الوطنيـة وكـذا الجماعـات الترابيـة.

منزل الطفل للتعليم التمهيدي

تقـع هـذا المؤسسـة في عـين الـرَّكَّادة، وتدعمهـا كل مـن وكالـة تنميـة جهـة الـشرق، شركـة العمران-وجـدة وعمالـة إقليـم بـركان. يسـتقبل أكـثر مـن 120 طفـلاً في سـن صغـيرة، ويقـدم لهـم التعليـم الأولي والرعايـة الصحيـة، كمـا يوفـر الأنشـطة الترفيهيـة. تديـر المؤسسـة جمعيـة الآبـاء وأوليـاء الأمـر. يسـنح الدعـم والـشراكات، بتعليـم الأطفـال، مقابـل مبلـغ رمـزي ويضمـن المجانيـة للمعوزيـن.

مركز أمي للنساء في وضعية صعبة

افتتحه جلالة الملك عام 2010 في بركان، وهو يستقبل النساء والفتيات، ويقدم لهن بعض الخدمات كالتعليم (خصوصًا محو الأمية والتربية غير النظامية)، ويدعم المشاريع المدرة للدخل. يوفر كذلك الاستماع، التوجيه والمساعدة، بما فيها الطبية؛ ويعنى بأكثر من 150 امرأة. يحظى المركز أيضًا بدعم مؤسسة محمد الخامس للتضامن، ووكالة تنمية جهة الشرق، والمجلس الإقليمي. يتم إدارته من قبل جمعية أمي للتعليم والتأهيل الاجتماعي، التي تمكنت من بناء العديد من الشراكات في المغرب وبالخارج، لتعزيز المواطنة والتنمية المستدامة، والإدماج الاقتصادي والثقافي والسياسي. وقد ساندت العديد من التعاونيات، ومشاريع التكوين المهني، بنواحي بركان، خصوصاً في مداغ، كلها مرتبطة بأنشطة واعدة للاقتصاد المحلي. تقدم جمعية أمي أيضًا المساعدة المادية والدعم للأيتام. لذا، فهي تجسد إنجازات وأهداف المبادرة الوطنية التنمية البشرية في المنطقة، خصوصًا في بركان ونواحيها.

مركز دعم وتاهيل الاطفال في وضعية صعبة بر
l'Appui et de Qualification des Enfants en Situation Difficile
Berkane

منصة الشباب بركان

يعمـل المركـز عـلى دعـم ومرافقـة التعاونيـات الصاعـدة، والمبـادرة الخاصـة والتشـغيل الـذاتي، لتحقيـق الإدمـاج الاقتصـادي للشـباب، مـن خـلال « منصـة الشـباب بـركان » الـتي أطلقـت في يونيـو 2021. يسـتقبل هـذا المركـز حامـلي المشـاريع والمقاولـين، الذيـن تقـل أعمـار شركاتهـم عـن سـنة، وكـذا التعاونيـات الناشـئة. يشـجع المركـز عـلى التشـغيل الـذاتي، إذ يقـدم العديـد مـن الخدمـات، بمـا فيهـا الاسـتماع، التكويـن، التوجيـه، المرافقـة والمتابعـة بعـد الإنشـاء. يسـتقبل المركـز حـوالي 500 1 شـاب كل سـنة. يشـغل المركـز ثمانيـة أشـخاص. بدعـم روح المبـادرة، وصقـل مهـارات التسـيير، فهـو يحثهـم عـلى احـترام قواعـد القطـاع الـذي ينتمـي إليـه مشروعهـم، ويهـدف إذا إلى مرافقـة المرشـح، لتحقيـق النجـاح منـذ بدايـة المـشروع، ومسـاندته مـن أجـل ضمـان اسـتمراريته. يتضمـن المركـز أيضـا مكتبـا للدعـم المـالي والمحاسـباتي، ويقـدم أيضـا حلـولا إداريـة فعالـة، ونصائـح في التسـويق.

نظـم المركـز عـدة أنشـطة، أولاهـا قافلـة تحـت عنـوان «المبـادرة، الابتـكار والتنميـة» في جميـع أنحـاء الإقليـم : شـارك فيهـا 420 شـابًا في عـدة ورشـات. كان الهـدف منهـا، تحفيزهـم عـلى اكتسـاب روح المقاولـة مـن خلال إنشـاء شركاتهـم الخاصة، في مقـرات سـكنهم، مـن أجـل تنزيـل أفـكار خلاقـة. كمـا نظـم ثـلاث « هاكاثونـات » و« بوتكامـب » (معسـكر للتدريـب).

يهـدف المركـز إلى دعـم الابتـكار الإقليمـي في كل الجماعـات الترابيـة وإعـادة إطـلاق القوافـل، وتفعيـل التدريبـات عـن بُعد، وتنظيـم حصـص للمرافقـة مـع شركاء محليـين ؛ سـيوفر قريبًـا فضـاءا للتبـادل مـع خـبراء مـن مختلـف التخصصـات.

مفاتيح التنمية

الشبكة الطرقية تحفز الاقتصاد

تعد البنية التحتية الطرقية، من المشاريع المهيكلة الكبرى، التي أنجزت في سياق المبادرة الملكية لتنمية الجهة الشرقية. فقد استفادت بركان، والمناطق المجاورة لها، من إنجازات جديدة هامة، مثل الطريق السيار الذي يربط فاس بوجدة. بلغت الاستثمارات الضخمة لإقليم بركان، في السنوات الأخيرة، لتجديد وتوسيع الطرق الحضرية وما بين المدن، في عام 2019، مليار ونصف المليار درهم، لفك العزلة عن بركان، ولتحسين تواصليتها. كما تمت تثنية الطريق الإقليمي الذي يربط بركان بالطريق السريع وجدة-فاس، على مسافة 37 كيلومترًا، عبر المنطقة الجبلية تافوغالت.

جنوب بني يزناسن، عبر سهل أنكّاد، تحادي الطريق السريع فاس- وجدة نواحي بركان

إن هـذا التجديـد الطـرقي لـه قيمـة اسـتراتيجية كبـيرة، لأنـه يتيـح للإقليـم الاسـتقلالية، والأمـن الطـرقي ويخفـض تكاليـف الاتصـال بشـبكة طـرق المملكـة. لقـد تـم تركـيز الجهـود أيضًـا عـلى الشـبكات بـين المـدن، والمحـاور الحضريـة، منـذ عـام 2019. عـلى سـبيل المثـال، تـم تنفيـذ 113 كيلومـترًا مـن الطريـق السـيار، تربـط بـركان بالسـعيدية، أحفـير، العيـون بجـسر الحسـن الثـاني، وشـملت طـرق التحويـل، وتوسـيع الطـرق بـين المـدن، والطـرق الحضريـة الجديـدة... والمنشـآت الهندسـية عـلى خمسـة عـشر محـورًا طرقيًـا.

لقـد تحسـنت المبـادلات داخـل الإقليـم، وارتفعـت تنافسـية الاقتصـاد المحـلي، وبالتـالي ظـروف عيـش السـكان. تدخـل هـذه المجهـودات في إطـار الطمـوح العـام، لدمـج الإقليـم في مشـاريع الاقتصـاد الإقليمـي الهيكليـة : القطـب التكنولوجـي وجـدة، قطـب الصناعـات الغذائيـة بـركان، والحظـيرة الصناعيـة سـلوان، مجمـع مينـاء الناظـور غـرب المتوسـط، مارشـيكا... هـذا هـو الهـدف مـن الطـرق الجديـدة، مثـل الطريـق االمـداري لـبركان، والطريـق المزدوجـة للوصـول إلى مطـارات وجدة-أنـكاد والعـروي في الناظـور. تسـاهم هـذه الطـرق في خفـض التكاليـف وأمـد نقـل الأشـخاص والبضائـع. يضـاف إلى ذلـك بنـاء التقاطعـات، وجسريـن فـوق واد شراعـة وواد ورطـاس. فالطريـق الحلقـي في بـركان عـلى شـكل شـارع كبـير، قـد حسّـن المشـهد الحـضري، وأحـاط النسـيج الحـضري المبـني. تسـاهم المنشـآت الهندسـية والمنشـآت الملحقـة كذلـك، في سـلامة المدينـة وتحميهـا مـن الفيضانـات.

الطريق التحويلي ببركان يصل المدينة بالطريق الوطنية 2 من الجنوب

التكوين المهني يزود القطاعات الإنتاجية

يساهم التكوين المهني في الإدماج الاجتماعي والاقتصادي والمهني. تعمل المؤسسات التابعة للمكتب الوطني للتكوين المهني وإنعاش الشغل، وتلك التي تخضع لوزارة الزراعة في إقليم بركان، على أن تطابق عروضها الحاجيات المحلية خاصة، واحتياجات المنطقة عامة. تهدف المؤسسات الفلاحية في الإقليم إلى تكوين 10 000 خريج، بحلول عام 2030. من المقرر أن ينشأ مركز لاحتضان المقاولات، مكرس للتشغيل الذاتي، وإنشاء المقاولات في مجال الفلاحة. استقبلت مؤسسات مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل في الإقليم سنة 2019، حوالي 3 900 متدرب، وهو ما يمثل سُبُع المجموع الجهوي. تضم بركان مؤسستين تابعتين للمكتب : مركز التأهيل المهني والمعهد المتخصص للتكنولوجيا التطبيقية. ومن بين المعاهد الخاضعة لوزارة الزراعة نذكر، معهد التقنيين المتخصصين في الفلاحة بالزرائب، الذي يحتوي على مختبر علمي، والمعهد التقني الفلاحي ببركان. تستجيب مسارات التكوين المقترحة بشكل خاص، لأولويات «الجيل الأخضر»: تربية المواشي، الإنتاج النباتي، إدارة المياه القروية، الري، الرقمنة وإدارة الشركات. تضيف العديد من المؤسسات الخاصة إلى عروض التكوين، مجموعة من المهن (القطاع الطبي التكميلي، الإدارة، المحاسبة، المعلوماتيات...). وتقدمن مساهمة مهمة، للشباب الراغبين في استكمال تكوينهم.

شبكة الطرق الوطنية والطرق السريعة في إقليم بركان ذات جودة عالية جدا ؛ هنا، الطريق الساحلي المتوسطي، الذي يهمر بركان، السعيدية والمناطق المجاورة

البيئة
في قلب التحديات

يتميز إقليم بركان بتراث استثنائي في مجال التنوع البيولوجي (المناطق الرطبة ذات الأهمية الدولية، النظم البيئية البحرية، المواقع الجبلية والغابوية، الفضاءات الفلاحية، المياه الجوفية ...)، وهي بالغة الأهمية من الناحية البيئية. ولكن هذا النظام البيئي سريع التأثير، بما قد يقوم به الإنسان من أعمال مضرة بها. وبالتالي، تعتبر القضية البيئية، التي يدعمها أيضًا المجتمع المدني المحلي، أحد أهم التحديات في جميع مجالات التنمية المحلية، حيث أن التنوع البيولوجي الغني للمنطقة، مهدد بسبب التطور المتسارع لعدة قطاعات (الفلاحة، الصناعة الزراعية، البنية التحتية، البناء والعقار، السياحة ...).

أصبحت القضية البيئية مصدر قلق رئيسي، نظرًا لضعف النظم البيئية الطبيعية، والموارد البيئية المرتبطة بها : الأراضي، الحيوانات والنباتات، المياه السطحية والجوفية، الموارد الساحلية والبحرية... فالتنمية المستدامة إذا، هي موضوع الساعة والمستقبل. إنها رؤية مبتكرة للتغيير المحلي، تطمح إلى دمج الابتكارات - التكنولوجية، الرقمية، الاجتماعية، والمؤسساتية - تتطلب إطارًا عامًا ومتكاملًا للتحول الهيكلي للاقتصاد.

سيكون التطوير البيئي رافعة للنمو، ولخلق فرص العمل المؤهل. وقد انطلقت بالفعل مبادرات محلية، في الزراعة البيئية، الزراعة الغابوية، الزراعة المستدامة... فهي تشمل :

الحفاظ على الموارد الجينية، التربة، التنوع البيولوجي، وإعادة تأهيل التربة والمياه ؛ التهيئة المستدامة للمراعي الطبيعية، التي تعد من بين الاهتمامات الرئيسية للعديد من مربي المواشي ؛ مكافحة التصحر ؛ الزراعة العضوية، بدون المدخلات الكيميائية.

تتمثل هذه المبادرات بشكل خاص في منح الترميز للمنتجات المجالية، مثل المزاج والكليمتين. هناك منتجات أخرى عالية الجودة، قيد الترميز أو قد تكون مؤهلة لذلك، مثل العسل أو اللوز.

المنظومة الغير مادية ومغاربة الخارج

انتعـش الاقتصـاد، بفضـل الـدور الأسـاسي الـذي يلعبـه مغاربـة الخـارج، في الديناميـات المحليـة. يشـاركون بشـكل فعـال، في التضامـن الاجتماعـي والتنميـة. وتشـمل مسـاهماتهم عـدة أبعـاد.

البعد المالي

تمثـل ودائـع المغاربـة المقيمـين بالخـارج في جهـة الـشرق، حـوالي ثلـث حجـم إجمـالي التحويـلات إلى المغـرب. فأهميـة الشـبكة المصرفيـة المحليـة، وحجـم واردات مغاربـة الخـارج، يظهـران أن إقليـم بـركان يجتـذب اسـتثماراتهم بشـكل كبـير.

الأبعاد الاجتماعية والثقافية

تُعـبّر عـن الرغبـة الحثيثـة في الحفـاظ عـلى روابـط الهويـة. فتوافـد السـياح، وكثافـة الأنشـطة الاجتماعيـة والثقافيـة خـلال الموسـم الصيفـي، مـؤشرات عـلى حفـاوة الاسـتقبال، الـذي يخصـص لمغاربـة الخـارج، أربعـة أخماسـهم يقيمـون في أوروبـا.

الأبعاد المدنية والسياسية

تشـكل تحديـا كبـيرًا للمشـاريع الاجتماعيـة والثقافيـة الـتي ينجزهـا مغاربـة الخـارج، في بلدهـم الأصـلي، وهـي حاسـمة في تطويـر الروابـط بـين الدولـة الأصـل ودولـة الاسـتقبال. فالعديـد مـن المشـاريع تنجـز في إطـار برامـج التعـاون اللامركـزي، مـن قبـل الهيئـات الأجنبيـة الـتي تسـتقبل مغاربـة الخـارج، الذيـن ينحـدرون مـن بـركان ونواحيهـا. أضـف إلى ذلـك، نقـل المهـارات والخـبرات المكتسـبة خـارج البـلاد، والـتي قـد تفيـد المجتمـع الأصـلي.

البعد االترابي

يظهـر بشـكل واضـح مـن خـلال مشـاريع التضامـن الأسري والاسـتثمار في السـكن، الصحـة والتعليـم في الجماعـات الأصليـة. مـن ناحيـة أخـرى، فالديناميـة العقاريـة في السـعيدية، بـركان، أحفـير والمناطـق المجـاورة، تعـود بشـكل كبـير إلى اسـتثمارات مغاربـة الخـارج.

الدبلوماسية الترابية

يتميـز التعـاون الـدولي في إقليـم بـركان، باللامركزيـة والتوأمـة، ممـا يـبرز الرغبـة المحليـة في الافتتـاح الفعـلي عـلى العالـم. غالبـا مـا تتـم هـذه المبـادرات بواسـطة أعضـاء الجاليـة المغربيـة في الخـارج، الذيـن ينحـدرون مـن المناطـق المعنيـة، بشراكـة مـع السـلطات المحليـة المضيفـة. وبالتـالي، فقـد تمـت توأمـة بـركان مـع بونـدي وسواسـون (فرنسـا)، زيسـت (هولنـدا)، وسـان-جيل (بلجيـكا)، كمـا أن أحفـير متوأمـة مـع هيروفيل-سـان-كلير (فرنسـا). ونتـج عـن ذلـك تعـاون ثقـافي، اجتماعـي واقتصـادي أثمـر روابـط بشريـة، وخـبرات ومعـارف.

اقتصادية
المنتجات المجالية

يُعـرّف المجـال بمعايـير موضوعيـة، فيزيائيـة وبيولوجيـة، بـل وبذاكرتـه والعواطـف المرتبطـة بـه، بعيـدا عـن الموضوعيـة، فضـلًا عـن أبعادهـا التاريخيـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة. تُنتـج المناطـق المجـاورة لـبركان، العديـد مـن المنتجـات المرتبطـة بعضها ببعـض بشـكل كبـير. فمصادرهـا متنوعـة - نباتيـة، حيوانيـة أو نتيجـة للتحـولات -، وهـي تتمتـع بخصائـص حسـية معـترف بهـا، وتنعـم أحيانًـا بشـهرة واسـعة.

بالإضافـة إلى أهميتهـا الثقافيـة الكبـيرة، فـإن اسـتغلالها في المجـال الغـذائي والسـياحي، سـيرفع مـن جاذبيـة المنطقـة. فمنـذ 2009-2008، أطلقـت وكالـة تنميـة جهـة الـشرق، بشراكـة مـع منظمـة الأمـم المتحـدة للتنميـة الصناعيـة، دراسـة حـول المنتجـات المجاليـة، لتحسـين دخـل الفلاحـين مـن خـلال عقلنـة الإنتـاج وتسـويقه، وتثمينـه (الترميـز، المصادقـة) واسـتغلال المنتجـات المشـتقة مـن (الزيتـون، التمـور، الكمـأة، العسـل والنباتـات العطريـة).

المنتجات المجالية في نواحي بركان

يدعـم المخطـط الفلاحـي الجهـوي نمـو هـذه المنتجـات المحـددة، لتحويلهـا إلى مصـدر دخـل للفلاحـين الصغـار، ولـكي تصبـح، قـدر المسـتطاع، رافعـة للتنميـة الفلاحيـة المسـتدامة.

فثمـرة المـزاح، ثمـرة بيضاويـة الشـكل، لونهـا يـتراوح بـين الأصفـر و البرتقـالي حسـب الأصنـاف، طعمهـا لاذع نوعـا مـا، تُنسـب إليهـا قيمـة طبيـة عاليـة. تُنتج بـوادي زكْزل، المعـروف بــ « وادي المـزاح »، أكـثر مـن ثلـثي الإنتـاج الوطـني (450 هكتـارا في جماعـة زكْزل، تاكربوسـت، تازاغـين وواولـوت).

منذ عام 2013، أصبحت هذه الثمرة تحظى بعلامة البيان الجغرافي.

كليمتـين بـركان هـو المنتـوج المميـز للـشرق، ولـه سـمعة عالميـة. لقـد تكيفـت تمامـا بعـد إدخالهـا في تريفـة.

مـزاح زكْـزل

الكـليمتين من بـركان

الـتيـن الـشتويـة

التين الرهودان

(وجـدت البيئـة الملائمـة لهـا بجماعـات بوغريبـة، شـيوحية، زكْـزل، أغبـال، لعاتمنـة، فـزوان ومـداغ). تتميـز بطعـم حلـو جـدًا، قـشرة رقيقـة وبـدون بـذور. الثمـرة ملحمـة، بعصـارة كثـيرة وهـي غنيـة بالفيتامينـات، الكالسـيوم، المغنيسـيوم والحديـد. تمتـد فـترة نضجهـا مـن أكتوبـر إلى ينايـر. يسـوقها إلى الخـارج أربـع مجموعـات مـن المصدريـن. منـح جلالـة الملـك محمـد السـادس للمجموعـة المسـتفيدة، في 28 أبريـل 2010، علامـة الدلالـة الجغرافيـة لنسـخة بـركان خـلال النسـخة الخامسـة مـن المعـرض الـدولي للفلاحـة في مكنـاس.

التين الشتوية، أو كرموس شتوية، يُستهلك عادة مغمورًا في دقيق الشعير.

التـين الغـدان، لونـه بنفسـجي، مسـتحب بسـبب نعومتـه وطعمـه، وهـو مغـذي جـدًا ؛ يُسـتهلك غالبًـا طازجًـا.

الكوسـة، أو كابويا بسـيبسي، لونها أخضر وهي مسـتطيلة الشـكل، تستحسـن لطعمها الحلـو ولقوامهـا الرخو.

الفاصولياء المقـشرة، أو لوبيـا ڤريـني، وهـي فاصوليـاء بيضـاء تـزرع أساسًـا في تريفـة، تسـتهلك طازجة.

الشـمام، أو بطيـخ كاب دولـو، أصفـر، فائـق الحـلاوة، ينمـو في الأراضي الرمليـة، خصوصًـا عنـد مصـب ملويـة.

الرمـان، رمـان سـفري، عصـارة ثمرتـه كثـيرة، لونـه أصفـر مائـل للبرتقـالي، طعمـه حلـو، لا يوجـد إلا في حافـات المـزارع.

الزفزوف، أو زفيزف، الذي يستهلك كثيرًا في عيد الناير، بلونه الأحمر وحجمه الكبير.

الهليـون، أو سـكوم، هـذا النبـات العطـري الـبري مـن بـني يزناسـن، لـه خصائـص طبيـة، غالبًـا مـا يتـم تقطيعـه وطهيـه مرفقـا بالبيـض.

الفاصولياء المقشرة، أو لوبيا ڤريني

الرمان، رمان سفري

الـزفـزوف، أو زُفـيـزَف

الهليون، أو سكوم

موسكاري الشعر، أو الكلكوت

نبات الأمي، أو نوخة

اللفـت، أو لفـت مـرة، طعـم مـر مسـتحب، يسـتخدم في الطاجـين، وفي الحسـاء، ولتزيـين الكسـكس.

الموسـكاري الشـعري، أو الكلكـوت، خـضروات ذات طعـم مـر شـيئا مـا، غالبًـا مـا يُطهـى بالبخـار ويُقـدم مدهونـا بالزبـدة.

نبـات الأمـي، أو نوخـة، هـذا النبـات العطـري والطـبي مـن بـني يزناسـن يُسـتعمل لتحضـير الحلـزون.

عسـل البرتقـال، متوفـر بكـثرة بفضـل البرتقـال المنتـشر في الإقليـم، وهـو مسـتحب بسـبب قوامـه وعطـره ونكهتـه الرفيعـة وفوائـده الطبيـة.

زيت الأرگـان يسـتخدم في الطهي وفي مسـتحضرات التجميل وشـبه الصيدلية، بفضل الغابـات الطبيعيـة لشـجر الأرگان.

الشـعير المكسـر، أو المرمـز، مـن سـنابل الشـعير الغـير الناضـج يتـم تجفيفهـا (هـو أسـاس التشيشـة).

الرائـب، أو الكليلـة، جـبن صلـب، يُسـتهلك طازجًـا أو مجففًـا، ويُسـتخدم في الأطعمـة التقليديـة مثـل الكسـكس والحسـاء.

بركوكش، وصفة يتم تحضيرها من السميد الخشن أو مزيج من الدقيق والسميد.

التعاونيات المحلية والمنتجات المجالية

يعـد إقليـم بـركان حـوالي مائـة تعاونيـة نشـطة، تنتـج وتحـول وتسـوق المنتجـات المجاليـة. وهـي تضـم حـوالي 200 2 عضـو، وتلعـب دورًا أساسـيًا في تحسـين الظـروف الاجتماعيـة للسـكان.

الحوامـض : 12 تعاونيـة، مـن بينهـا « النـصر»، وهـي أقـدم تعاونيـة، إذ تأسسـت في 1967 في بوغريبـة، تضـم 48 عضـواً، و« الوحـدة»، وهـي أكـبر تعاونيـة، تأسسـت في 1976 وتضـم 82 عضـوًا.

المـزاح : تعاونيتـان: «كنـوز» الـتي تأسسـت في 2004 (72 عضـوًا، مـن بينهـم 9 نسـاء)، بدعـم مـن المبـادرة الوطنيـة للتنميـة البشريـة، لإنشـاء محطـة تلفيـف وتعبئـة، وزگـزل» الـتي تأسسـت في 1998 (76 عضـوًا، مـن بينهـم 11 امـرأة) تقـوم بمعالجتهـا.

العسـل : 44 تعاونيـة في جماعـات مـداغ، أحفـير، أغبـال، بوغريبـة، لعثامنـة، فـزوان،

عسل البرتقال

زيت الأرگان

الشعير المكسر، أو المرمز

بركوكش

تافوغالـت وريسـلان، منهـا «سـيدي عـلي وسـعيد»، وهـي الأقـدم، معظمهـا تأسسـت بعـد عـام 2012.

اللـوز : 7 تعاونيـات تخـص بشـكل أسـاسي جماعـات سـيدي بوهريـة وريسـلان، منها تعاونيـة سـيدي بوهريـة، وهـي أكبرهـم (400 عضـو، مـن بينهـم 50 امـرأة)، شـجر اللـوز سـيدي بوهريـة (359 عضـوًا) وشـباب سـيدي بوهريـة (347 عضـوًا). تسـتفيد هـذه التعاونيـات مـن دعـم التعـاون البلجيـكي، لإنشـاء محطـة للكـسر والتعبئـة في جماعـة سـيدي بوهريـة.

الأرڭـان : مجـال تعاونيـات الشـويحية خـروب وأرڭـان (غالبيـة الأعضـاء نسـاء) وتعاونيـة النجـاح محجوبـة، الـتي تأسسـت في 2003 مـن طـرف مجموعـة مـن النسـاء.

تتمـيز بعـض التعاونيـات بخصائـص معينـة، مثـل التعاونيـات المخصصـة للمنتوجـات المحولـة (منهـا الكسـكس ومشـتقاته)، أو التعاونيـات النسـائية المحضـة (خاصـة للزيـوت العطريـة)، أو حـتى ڭيرماويـن، التعاونيـة الوحيـدة المخصصـة للتـين (52 عضـوًا في جماعـة أغبـال) ؛ وهنـاك تعاونيـة متخصصـة في تربيـة الحلـزون في الشـويحية.

التثمين، الترويج والتسويق

مـن الجديـر بالذكـر، أن حجـم المنتجـات المجالية ينمو باسـتمرار. ولقـد تـم تثمينهـا مـن خـلال العلامـات المميـزة للمنشـأ، والجوائـز التكريميـة الـتي حصلـت عليهـا في المعـارض الغذائية.

تسـتهلك الكليمتـين والمـزاج في المغـرب معظمهـا في بـركان ونواحيهـا، إذ أن الهـدف مـن إنتـاج معظـم المنتجـات المجالية هـو التسـويق المحـلي، حيـث يعرفهـا ويطلبهـا سـكان المنطقـة. تعتمـد التعاونيـات أولاً عـلى المعـارض الـتي تشـكل أربعـة أخمـاس مبيعاتهـا.

العودة الكبيرة للكرمة والنبيذ

تمـيز عـام 2009 بالعـودة للكرمـة لإنتـاج النبيـذ، حيـث أعيـد تأهيلهـا، اسـتنادًا إلى مهـارات عائليـة، لـم تندثـر مـع الزمـن. تجـاوزت في السـنوات الأخـيرة، المسـاحة المخصصـة لهـذه الزراعـة 100 هكتـار، ويـتراوح الإنتـاج السـنوي، حسـب كميـة الأمطـار، بـين 500 و 650 طنًـا، لإنتـاج حـوالي 000 600 قنينـة نبيـذ سـنويًا. يعـرف الصنـف التاريخـي للمناطـق المحيطـة بـبركان باسـم موسـكا ألكسـندري. وقـد أدخلـت أصنـاف جديـدة أو أعيـد زراعـة بعضهـا وهـي السـيرا، كابيرنيـه سـوفينيون، كارينـان، غرينـاش وخليـط تيمبرانيلـو سانسـو، وهـي أصنـاف تناسـب تمامًـا التربـة والمنـاخ المعتـدل لسـهل تريفـة، والـتي تسـاهم في تـوازن وثـراء نكهـة النبيـذ المنتـج. يعـرف النبيـذ الأحمـر، الـوردي، الرمـادي والأبيـض بجودتـه العاليـة جـدًا، عـلى غـرار مـا كان عليـه في النصـف الأول مـن القـرن العشريـن. كمـا حصلـت هـذه الأصنـاف عـلى العلامـة المميـزة "تسـمية منشـأ بـركان"، لأن عمليـة الإنتـاج تتـم كلهـا في المناطـق المحيطـة بالمدينـة. أصبحـت العلامـة إذا، عنـوان الجـودة بالنسـبة للمسـتهلكين.

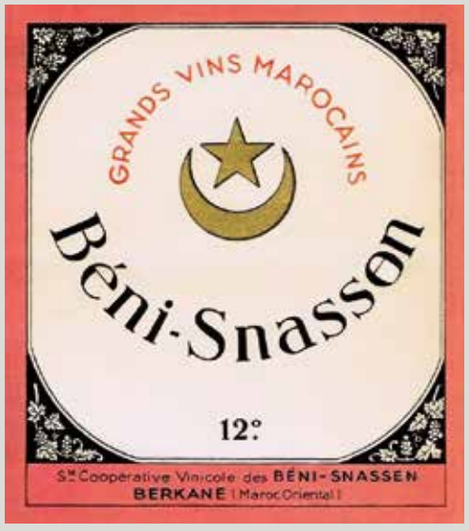

في الأربعينيات من القرن الماضي، كان هذا النبيذ يصدر إلى أوروبا ويشار إلى مصدره على الملصق ؛ استأنف إنتاج الكرم المحلي، بعد توقف دام نحو نصف قرن

ما زالت تعاونية قبو بركان القديمة، التي أنشأت في بداية القرن العشرين، نشطة إلى يومنا هذا

يعتبر معرض الاقتصاد الاجتماعي والتضامني الجهوي من أهمها، إلى جانب المعارض الجهوية المتخصصة، وقرية التضامن في مداغ المقامة من طرف مؤسسة الملتقى على هامش اللقاء العالمي السنوي للزاوية البودشيشية... والمعارض الوطنية. تباع المنتجات الأخرى في الأسواق الأسبوعية أو في المحلات التجارية.

تعيق عملية التسويق عدة عوامل، نذكر منها وزن القطاع غير المهيكل، وتأثير الصناعة الغذائية، وشروط التسويق في قطاع التوزيع الكبير، التي تفضل العلامات التجارية المعروفة، والتكاليف الباهظة للتعبئة والتغليف...كما أن تكاليف الدعاية غالبا ما تفوق إمكانيات التعاونيات. تتم هذه الأخيرة أساسًا من خلال المكتب الوطني للاستشارة الفلاحية ووكالة التنمية الفلاحية. تقوم هذه الأخيرة أيضًا، بمشاريع مهيكلة لصالح تجمعات المنتجين والتعاونيات ؛ تهدف إلى الجودة (من الإنتاج إلى التلفيف)، واللوجستك والتسويق. هكذا فقد نظمت مسابقة للمنتجات المجالية المغربية سنة 2014، تشجع فيها المنتجين الصغار على رفع جودة عروضهم، وبالتالي زيادة إيراداتهم وتلبية متطلبات الأسواق، في المغرب وخارجه. تضمن العلامات التجارية وعمليات الترميز، جودة ومصدر المنتجات. فعلى سبيل المثال، أصبح الرمز الجماعي « مجال المغرب » للموزعين وللمستهلكين، محليا وعلى الصعيد الدولي، دليل على الجودة والمصداقية.

في إطار هذه الإجراءات، تعطي استراتيجية « الجيل الأخضر » الأولوية للعنصر البشري، وتدعم مشاريع الفلاحة التضامنية، والمقاولات الفلاحية. كما أنها تدعو إلى تطوير جيل جديد من المنظمات الفلاحية، ببعدين اقتصادي واجتماعي. فهي تهدف في جهة الشرق، إلى تحويل 500 وحدة إلى تعاونيات من الجيل الجديد، ودعم 850 1 تعاونية فلاحية، وإنشاء 300 1 تعاونية جديدة (الحوامض، التين الشوكي، أشجار الأركان، الخروب، التين، المزاح...)، بالإضافة إلى 80 تعاونية للخدمات الفلاحية. من جهة أخرى، يشجع المركز الجهوي للمقاولين الفلاحيين الشباب، على استخدام البنى التحتية والأدوات التكنولوجية، ويدعمهم بالدعاية والتكوين والاستشارة والمرافقة (إعداد المشاريع، التمويل، التثمين والتسويق).

يمكن لمنتجي نواحي بركان الاعتماد أيضًا، على وحدة لتثمين وتعبئة وترويج وتسويق منتجات المجال في جهة الشرق، الموجودة في القطب التكنلوجي بوجدة.

أشجار الأركان في
جماعة الشويحية

إعـادة إبـداع
الحـيـاة الاجـتـمـاعـيـة

ديـنـامـيـة مـجـتـمـعـيـة قـويـة

يظهر ذكاء المجتمع،
في مدن ونواحي بركان أيضًا،
من خلال قدرته الكبيرة على التكيف،
التي أظهرها السكان اليوم،
لمواجهة التحولات الحتمية،
التي تسببها الحداثة،
وتطور السياقات المحلية

دينامية
مجتمعية واجتماعية

لـم يرتفـع عـدد السـكان بالإقليـم في القـرن الواحـد والعشريـن بشـكل كبير، إذ بلغ عددهم 000 289 سـنة، 2014 وحوالي 000 305 في نهايـة عـام 2022، بسـبب انخفـاض معـدلات الـولادة خاصـة. تضـم بـركان حـوالي ثلـثي السـكان الحضريـين، بفضـل وظائفهـم في القطاعـين الزراعـي والصناعـي، و 38% مـن سـكان الإقليـم، 17% في سـيدي سـليمان شراعـة. بوغريبـة تمثـل 19% مـن القرويـين في الإقليـم، تليهـا زكْـزل، أغبـال ومـداغ كل منهـا تمثـل حـوالي 15%. تحتـل بـركان المركـز الثالـث في الكثافـة السـكانية في الجهـة الشرقيـة (أكـثر مـن 145 نسـمة لـكل كيلومـتر مربـع) ؛ وهـي ثالـث أكـبر مدينـة مـن حيـث عـدد السـكان في جهـة الـشرق. يعيـش ثلـثي سـكان الإقليـم، في الحـواضر. ينمـو سـكان الحـواضر أسرع بمرتـين مـن سـكان القـرى. يتناقـص عـدد سـكان القـرى لصالـح المـدن، الـتي تجـذب أيضًـا سـكانًا جـددًا قدمـوا مـن أماكـن أخـرى. مـن

المتوقع أن يضم الإقليم 320 000 نسمة بحلول عام 2030، بزيادة سنوية متوسطة تقدر بحوالي 1 900 نسمة (3 900 مواطن حضري جديد و 2 000 شخص ينزحون من القرى). سيعيش أكثر من ثلاثة أرباع السكان في الحواضر إن استمر الحال على هذا النحو.

الساكنة شابة : نصف السكان يقل أعمارهم عن 30 سنة، والربع تقريبًا من الأطفال. كما أن عدد المراهقين والأشخاص في سن العمل ثابت. مثل السكان الذين يتعدى عمرهم 60 عامًا ثُمن الساكنة، سنة 2020 ؛ وهي نسبة في تزايد. يقترب معدل النشاط الاقتصادي من معدل الجهة، ويكاد يكون قريبًا من المستوى الوطني، في المدن والقرى على حد سواء. يشكل الأجراء الغالبية الساحقة من العاملين، في حين يشكل المستقلون أقل من الثلث. أكبر مشغل هو قطاع الصناعة الغذائية، بأكثر من الخُمُسين.

تعد معدلات الفقر والهشاشة ضعيفة جدًا، في كل جماعات الإقليم.

أحفير، مثال المدينة التي استعادت جاذبيتها بعد سنوات طويلة من الركود

ملتقى الروحانيات

الإسلام والزوايا

يوجد ببركان ونواحيها عدد كبير من الأولياء والزوايا. لقد تعايش المسلمون واليهود والمسيحيين بسلام، منذ القدم. تتمتع بعض الزوايا بشهرة وطنية، بل ودولية. لقد صنعوا التاريخ.

الطريقة القادرية البودشيشية المعروفة بالزاوية البودشيشية

هي واحدة من أهم الزوايا في المغرب. أتباعها هم الورثة الروحيون لمولاي عبد القادر الجيلاني (1083-1166) الذي عاش في بغداد. تعود في المغرب إلى القرن الثامن عشر، مع نزوح الشيخ علي بن محمد بوتخيلي الذي هرب من الغزو التركي. استقبلته قبائل تغاجيرت، وسمحت له بممارسة التصوف، وفقًا للطريقة القادرية. خلفه ابنه محمد، ثم وريثه المختار، الذي بنى مسجدًا وقبة في تغاجيرت : وهو أول مقر للزاوية القادرية في المغرب.

لقبت البودشيشية بسبب طبق الدشيشة، الذي كان يقدم للضيوف في فترات المجاعة. لقد قدم الشيخ المختار بن الحاج محي الدين، دعمًا كبيرًا للأمير عبد القادر في نضاله ضد الاستعمار. في عام 1907، لعبت الزاوية البودشيشية دورًا كبيرًا في مواجهة احتلال الشرق المغربي، بفضل شهرة الشيخ المختار، الذي لطالما التمس السلطان مولاي الحسن مشورته، كما التمسها السكان لحل النزاعات بين الأشخاص أو القبائل.

لقد قاد جيوش قبائل بني يزناسن، وساهم في توحيدها. تم القبض عليه بعد هزيمته، ودُمِّر مقر الزاوية كعقاب ؛ وأمضى ستة أشهر في سجن مغنية. إنفصل عن الزاوية القادرية الأصلية، بعد الإفراج عنه في 1908، واختار مداغ، لإنشاء أول زاوية قادرية بودشيشية في المغرب. خلفه ابنه المكي سنة 1914.

اتَّبَعت الزاوية البودشيشية الطريقة القادرية إلى غاية عام 1936، لما أخذ الشيخ مصطفى بزمام أمرها. لكن، نشب نزاع بينه وبين عمه العباس، الذي دعم الشيخ بومدين، حول تبني تقاليد صوفية جديدة، حول الشيخ أحمد بن مصطفى بن علوية، الذي أسس زاويته الخاصة، العلاوية. فغادر الشيخ مصطفى زاوية مداغ، ولبث وفيًا لتقاليد القادرية، التي اتَّبَعها أجداده، واستقر في أحفير. أسس الشيخ بومدين بن لمنور سنة 1936، زاوية في المقر القديم للقادرية، حيث يوجد أتباع الطريقة العلاوية، في بويحيى جنوب أحفير، وهو مسقط رأسه.

غير الشيخ بومدين مبدأ الخلافة، فأصبح للأكثر جدارة وليس للنسل. عين الشيخ العباس بن المختار خلفًا له، الذي أقنعه بنقل الزاوية إلى مداغ، وأصبح الدليل الروحي، عند وفاة الشيخ بومدين سنة 1955. لقد عرف بالزاوية في المغرب وخارجه، من خلال تطوير الطريقة التي أطلقها الشيخ بومدين.

خَلَفه ابنه حمزة القادري بودشيش، عند وفاته سنة 1972.

الزاوية القادرية البودشيشية ومؤسسة الملتقى : ذكاء مجتمعي روحاني في خدمة التطور المتوازن والمستدام لجهة الشرق

تحتل جهة الشرق مركز الصدارة - خصوصًا نواحي بركان حول مداغ، حيث يوجد مقر الزاوية – في الجهود المستمرة للتماسك الاجتماعي، والتطور الاقتصادي المنسجم.

تعتبر الزاوية القادرية البودشيشية ومؤسسة الملتقى، من أهم المؤسسات التي تسعى إلى تحقيق هذه الطموحات، بالتزام مستوحى من القيم الإسلامية الأصيلة، تكريمًا لهوية المملكة المغربية العميقة، تحت الرؤية المستنيرة، لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله.

ضريح الشيخ سيدي حمزة (تغمده الله بواسع رحمته)

التزام متعدد الأبعاد

تدعـو الزاويـة، باعتبارهـا مؤسسـة تربويـة روحانيـة، إلى احـترام الثوابـت الدينيـة للأمـة المغربيـة، وتتمـيز بأنشـطتها الثقافيـة والاجتماعيـة والخيريـة العديـدة. تنـدرج هـذه الأعمـال، الـتي يقـوم بهـا أتباعهـا في المغـرب وخارجـه، ضمـن تقاليـد الصوفيـة، مـن تعـاون ورحمـة. تأثـير الزاويـة في الجهـة الشرقيـة واضـح جـدًا، فهـي تنظـم، بمعيـة مؤسسـة الملتقى، قوافـل تضامنيـة طبيـة، الـتي تقدم خدمـات صحيـة أساسـية، للأشـخاص المعوزيـن، وتدعـم إعـادة دمـج السـجناء، والملاجـئ ودور المسـنين. إضافـة إلى ذلـك، تقـوم بتكويـن مواطنـين، يحترمـون القيـم النبيلـة، ويدعـون إلى التضامـن والتعـاون، والمشـاركة الإيجابيـة في مجتمعاتهـم.

لقاءات عالمية وقرية تضامنية

تدافـع مؤسسـة الملتقى بفخـر، بتعـاون وثيـق مـع الطريقـة القادريـة البودشيشـية، وبشراكـة مـع المركـز الأورو-متوسـطي لدراسـة الإسـلام المعـاصر، عـن التزاماتهـا التربويـة والثقافيـة والاجتماعيـة.

- **لقـاءات الصوفيـة العالميـة** : نشـأت هـذا التظاهـرة في بدايـة القـرن، وتحظـى بالرعايـة السـامية لصاحـب الجلالـة الملـك محمـد السـادس. فهـي تسـتقطب كل عـام العديـد مـن المفكريـن والباحثـين. يحـضر آلاف الـزوار، مـن جميـع أنحـاء العالـم، المحـاضرات وورش العمـل حـول الروحانيـة، التعايـش، التسـامح والتنميـة البشريـة...
- **القريـة التضامنيـة** : ينظـم هـذا الحـدث السـنوي لمـؤازرة لقـاءات الصوفيـة العالميـة ويسـتمر لقرابـة أسـبوع.

لقـاءات الصـوفيـة العـالـميـة تسـتـقـطـب عـددًا كـبـيرًا مـن الـمـشـاركـين مـن جـمـيـع أنـحـاء الـعـالـم إلى الـزاويـة

أُنشئ في منعطف العقد الجديد من 2010، ويعتبر من أهم المبادرات لتطوير الاقتصاد التضامني، ولترويج المنتجات المجالية لجهة الشرق. فهو يوفر للتعاونيات منصة للتكوين، وفضاء للقاء جميع أطراف الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، والخبراء المحليين والأجانب، مما يحفز التنمية الإقليمية. تبيع التعاونيات من خلاله منتجاتها (مستخلصات النباتات، زيوت التجميل، التمور، العسل...) وتحقق أحياناً أكثر من نصف حجم مبيعاتها السنوية.

تعزيز التنمية من خلال التكوين والالتزام

تُثري مؤسسة الملتقى برامجها، بتنظيم منتديات متنوعة الخلفية، من بيئة وتكنولوجيا ومواطنة وصحة. تهدف هذه المبادرات إلى تعزيز التماسك الاجتماعي، وتطوير مهارات المشاركين.

- **ملتقى المسلمين للبيئة** : يجمع هذا التجمع بين الأساتذة والباحثين والأطر الملتزمة بالاستدامة البيئية، ويُحسِّن الأخلاقيات.
- **الجامعة المواطنة** : تهدف إلى غرس حب الوطن في الشباب، وقيم المواطنة، وتشجعهم على المشاركة النشطة في إدارة الشؤون العامة.

اختتام أعمال الجامعة الصيفية في مداغ 2023

- **منتدى التكنو-أخلاقي** : إنه إطار للتفكير، يجمع بين المهندسين والمفكرين من مختلف الآفاق، للتباحث حول دمج القيم الأخلاقية في عالم التكنولوجيا.
- **ورشات الصحة والوقاية والإسعاف** : تهدف إلى تحسين صحة المواطنين. فتدخلات الأطباء وأخصائي التغذية والمسعفين، تجسيدا للمثل : "العقل السليم في الجسم السليم."

أهمية الإنسان

تعمل الزاوية القادرية البودشيشية ومؤسسة الملتقى، بشكل وثيق، مع فعاليات التنمية الترابية، خاصة وكالة جهة تنمية جهة الشرق، مما يدل على قوة العمل الجماعي، ويرسم مستقبلًا مشرقًا لهذه المنطقة. تتميز مؤسسة الملتقى برؤية فريدة للعمل التطوعي، تعتمد على ثلاث أسس : تشجيع المواطنة السلمية والملتزمة، دعم تطوير الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، ونشر القيم النبيلة العالمية. تهدف مبادراتنا، مثل جامعة الصيف في مداغ، وورشات الروبوتات وتخطيط العقل والذكاء الاصطناعي، بالإضافة إلى الكشفية ومهرجان الأغاني الصوفية، إلى تحقيق الازدهار الكامل للإنسان، كعنصر أساسي لأي تنمية، كما ذكر جلالة الملك محمد السادس. وبهذه المناسبة، نعبر عن عميق امتناننا لحرصه على التنمية المحلية والجهوية. كما نود أن نشيد بجهوده المستمرة من أجل المملكة المغربية، وشعبها والقضايا النبيلة.

الدكتور مولاي منير القادري بودشيش
رئيس مؤسسة الملتقى.

مــداغ
كما تظهر عبر طائرة بدون طيار

عرفت الزاوية نموًا كبيرًا، وطورت التعديلات التي استهلها الشيخ بومدين والشيخ العباس، التي تنتقل من « طريق الجلال » إلى « طريق الجمال ». تولى جمال القادري البودشيشي قيادة الطريقة، بعد وفاة الشيخ حمزة عام 2017. تعتبر الزاوية اليوم، محطة مرموقًة للصوفية في العالم، بفضل مواقفها وأعمالها. تستقبل أكثر من 100 000 زائر سنويًا، من المغرب ومن الخارج، وتبلغ الزيارات أوجها في ذكرى المولد النبوي الشريف (عيد المولد) وفي ليلة القدر.

الزاوية الدرقاوية الهبرية

تقع في الدريوة، في منتصف الطريق بين أحفير والسعيدية. تأسست على يد الحاج محمد الهبري العزاوي، بعد أن تلقى تعليمه في الزاوية القرقرية، التي كان على رأسها مولاي العربي الدرقاوي، في الريف.
بناءً على طلبه، اتبع الحاج محمد الطريقة الدرقاوية، وأسس زاويته في تاغيت (عين الصفا)، حيث دفن. خلفه بعد وفاته، محمد الهبري الصغير، ونقل الزاوية إلى موقعها الحالي في الدريوة، قرب الحدود. لقد نفي لمدة أربع سنوات، بعد رفضه التعاون مع الاحتلال.
بعد وفاته سنة 1939، خلفه كل من سيدي أحمد، ثم سيدي علي، ثم سيدي عامر، الذي أعاد بناء الزاوية، كما تبدو حاليا. يتميز أتباعه في بني يزناسن، باستعمال الطبول، التي يدقها حصريا، مقدمو الزاوية أو الأتباع، الذين ورثوها عن أسلافهم، كما يعتمدون الخلوة، وهي ممارسة تطهيرية، تحث على التخلي عن الممتلكات والرغبات الدنيوية. يجلس الأتباع أو الزوار على سجاد متواضع، ويتغذون حصريًا على الشعير.

زاوية زكْزل، أو زاوية الحمداويين

أسسها مولاي أحمد بن العياشي، وهو متحدر من الأدارسة، وهي قريبة من مغارة الجمل. بعد وفاته في عام 1842، أسس أبناؤه كل منهم زاويته: سيدي محمد بن الهاشمي، في عين هوارة عند بني أوريمش، مولاي أحمد بن الطيب أسس زاوية مالو عند بني عتيق، سيدي محمد بن الصديق في تالمسات، عند بني كولال، ومولاي سعيد لبث على رأس زاوية زكْزل.

الزاوية البكاوية الزيانية

اسمها مشتق من سيدي علي بن محمد الوكيلي، وهو منحدر من الأدارسة : الملقب بالبكاي، هو سلف البكاوي، وكان من أتباع الطريقة الزيانية. بعد وفاته، انضم بعض أتباعه إلى الطريقة القادرية. تقع في أجدير بني وكلان، عند بني منكْوش.

الزاوية الرمضانية

تقع جنوب الرَّكَّادة، عند بني منكْوش، اسمها مشتق من مؤسسها، الشيخ رمضان، الداعي للطريقة الوزانية الطيبية الموروثة عن أسلافه. الرمضانيون أدارسة مستقرون ببني منكْوش.

اليهودية والمسيحية

الحضور القوي لليهود

استمر هذا الحضور إلى غاية النصف الثاني من القرن العشرين، ومرده في المقام الأول، إلى الهجرات القادمة من الأندلس في القرن الرابع عشر والخامس عشر. لقد اندمجت بعض العائلات اليهودية، التي لجأت إلى القبائل الأمازيغية عبر الأجيال، بعضها من أصول يهودية، مثل تاكْما، بني عامر، وجزء من أولاد يعقوب في الشويحية وغيرهم، حيث يحتفظ البعض إلى اليوم، بأسماء لها نبرة يهودية.

أحفير، بالقرب من مسجد، توجد المقبرة الإسرائيلية، التي تشهد على الوجود القديم للعائلات اليهودية في المدينة

المقبرات الثلاث
في أحفير - المسلمين،
اليهود والمسيحيين
- جنبا إلى جنب،
في ظل المسجد الكبير

وجاءت أخرى من بني يزناسن لتستقر في وجدة، مثل أولاد سحقو، وأولاد عبد العزيز، وأولاد بنكمون... يظهر هذا الحضور بوضوح من خلال قصبة بوغريبة، التي كانت ملكًا لهارون ابن مشعل، أغنى رجل في بني يزناسن في القرن السابع عشر؛ وقد اندمجت سلالته في قبيلة بني أوريمش.

استقبلت بركان ونواحيها، موجة ثانية للهجرة اليهودية، في بداية القرن العشرين، قدمت من الجزائر مع الاستعمار. كان اليهود يقومون بدور الوسيط للسكان المحليين، بفضل إتقانهم للغة العربية. لقد عملوا كحدادين، جزارين، خياطين، نساجين، صناع أحذية، وصائغي الذهب والفضة، إلخ. كان يتجول بعض التجار اليهود في بني يزناسن، إلى غاية السبعينيات من القرن الماضي، بين القبائل، لبيع وشراء المجوهرات. وكان البعض الآخر يمارس المهن الحرة، مثل الطب أو الصيدلة، وكذلك التجارة بالجملة أو بالتجزئة.

استقر اليهود والمسيحيون في المدن الجديدة. استقر 14 يهودي في بركان سنة 1911. وكان بأحفير45 يهودي من بين 316 نسمة، 91 مسلم مغربي، و180 مسيحي (112 فرنسي و 68 إسباني)، وبلغ 100 1 نسمة (منهم 474 أوروبي) سنة 1923. بلغ عدد سكان أحفير 000 5 نسمة سنة 1950، أكثر من 000 1 منهم قدموا من الجزائر، إلى جانب المسيحيين الفرنسيين والإسبان والبولنديين، واليهود والمسلمين المغاربة.

عاش الجميع في انسجام تام لعقود. لقد أُقيم قداس الأحد مثلا في بركان، في 25 يوليو 1910، في مستودع تم استعارته من يانين شوكرون، وهو تاجر يهودي، كان يدير مطعما للجنود... تحتفظ أحفير بشهادات على هذا التعايش الهادئ، مثل المدرسة الأوروبية التي تم بناؤها سنة 1909، والتي استقبلت الأطفال المسلمين واليهود والمسيحيين، وكذلك مخابز توريل وروكا وريكارد، ومقاهي روسيل وريكّي وبوهانا، وكذا محلات بنسوسان وبندانون وكوهن وشوكرون ونافارو وميراي وبولنوار... وتشكل المقبرات الثلاثة - المسلمة والمسيحية واليهودية - التي تقع جنبًا إلى جنب، منظر فريد! من نوعه. تعود أحدث القبور في المقبرة اليهودية، إلى عام 1964. يوجد بأحفير كُنُسين، مما يشير إلى أهمية الطائفة اليهودية : الأول كبير، بهندسة رائعة وباب ضخم، والثاني في شارع بركان، وهو صغير مخصص للعبادة ولتلقين تعاليم الدين للأطفال. وقد بني ببركان، كُنُس في الثلاثينيات من القرن الماضي، وتحول فيما بعد إلى متجر، بعد رحيل الطائفة.

كنائس مسيحية

ظهرت الكنائس مع الاحتلال الفرنسي. تشهد اليوم على جزء مهم من التاريخ المحلي، وعلى التسامح بين الأديان. الأولى وهي الأكبر، تعرف بكنيسة سانت أنيس في بركان، التي تم بناؤها سنة 1912، ثم أعيد بناؤها وتعديلها باستمرار ؛ لكنها ظلت غير مكتملة. تم بنيت كنيسة أصغر في أحفير، في أوائل العشرينات، بجوار الجمارك، بالقرب من النصب الذي أقامه الجنرال دو مارتيمبري، تكريمًا لجنوده الذين سقطوا أمام قبائل بني يزناسن. تحتضن اليوم مكتبة بلدية. ولقد فتحت الكنيسة بالسعيدية عام 1949، بناءً على طلب من السكان.

تشير المقبرة المسيحية، وهي أكبر بكثير من نظيرتها اليهودية في بركان، على وجود طائفة مسيحية كبيرة. كلاهما محميَّتان، كما أن القبور مصانة من طرف السكان، الذين يتسمون بالتسامح والاحترام ؛ وهو عرف ينقل من جيل إلى جيل.

ثروة
التعبيرات الثقافية

الموسيقى والرقص التقليدي

رقصة العلاوي

هو تعبير رمزي للتراث الثقافي الغير المادي للمناطق المحيطة ببركان، وهذا التقليد متجذر بعمق في الحياة المحلية. رقصة العلاوي تحيي الأعياد، والاحتفالات والتجمعات العائلية والمجتمعية الكبيرة (وعدة، الموسم، المهرجانات...).

هذه الرقصة توطد هوية قبائل بني يزناسن.

ترتكز رقصة العلاوي على أربعة آلات موسيقية :

- الكْصبة، وهو مزمار من القصب، شكله منحرف ومعبره حر ؛
- الغيطة، وهي ألة موسيقية هوائية شكلها مدبب ؛
- الزامر، الكلارينت التقليدي الأمازيغي بالريف،
  ب 12 فتحة، ينتهي بقرون كبيرة وصوته عميق وطنان ؛
- البندير، وهي طبلة دائرية، إطارها خشبي من شجرة التوت.

العلاوي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحرب : الحركات، الأنماط، الأكسسوارات، الأزياء، الآلات، حركات الراقصين وصرخات قائد المجموعة... كل شيء يوحي بقيم رمزية عالية. تروي من خلال أنماطها المختلفة، مواجهة، تتابع فيها المواقف من كر وفر وانتصار... تعبر الأنماط والحركات الحربية والصرخات، عن البطولة والقوة، وتروي نوبات حربية جميلة ومنسجمة.

تـتبع هـذه الرقصـة كوريغرافيـا دقيقـة، وتنجـز عـلى عـدة مراحـل. يسـير الرقصـة قائـد، يتمتـع بمهـارة عاليـة، لأنـه يعـرف أسرار هـذا الفـن. تخضـع الحـركات والأنمـاط والتنقـلات لقواعـد إلزاميـة، يتقنهـا الراقصـون مـع مـرور الوقـت.

فهـي شـعيرة جـادة، يطلـب فيهـا الراقصـون « التسـليم » (رحمـة أو عفـو اللـه). يواجـه الراقصـون الموسـيقيين، يصطفـون كالمحاربـين ؛ يرقصـون جماعيًـا عـلى إيقـاع البنديـر، الـذي تخضـع لـه الحـركات المحمومـة للكتفـين، والضربـات المتكـررة المنجـزة بالأقـدام :

- البونت : ضربة واحدة بالقدم على الأرض ؛
- العريشة : ثلاث ضربات (بطيئة) بالقدم على الأرض ؛
- السبايسي : ثلاث ضربات متتالية (سريعة) بالقدم على الأرض ؛
- الشـيبانية : ضربـة بالقـدم اليمـنى تليهـا ضربـة بالقـدم اليـسرى ؛ ثـلاث ضربـات بالقـدم اليمـنى تتبعهـا ثـلاث بالقـدم اليـسرى، ممـا يـدل عـلى نهايـة المشـهد بفـوز القبيلـة.

يرتـدي الراقصـون ملابـس وزينـة تقليديـة : الكْـندورة البيضـاء أو الصفراء، والشـال الملتـوي الـذي يسـند غمـد البندقيـة، عـلى الجانـب الأيـسر، وجـراب يسـمى « التحليـل » عـلى الجانـب الأيمـن، ممـا يذكـر بـزي المحاربـين القدامـى.

رقصات الرَّكْادة وإمديازن

تشـبه هـذه الرقصـة التقليديـة الـرَّكْادة ورقصـة العـلاوي، وكانـت نسـائية بالنهـار ورجاليـة بالليـل. أصبحـت الآن رجاليـة فقـط، ترقـص ببندقيـة في يـد و « خيزرانـة » (عصـا الرقـص) في الأخـرى، وتتمـيز بحـركات محـددة للكتفـين والسـاقين. يتصـاف أعضـاء الفرقـة ويرقصـون عـلى إيقـاع قـوي، وتائـره متعـددة، وألحانـه غنيـة. تنظـم « جمعيـة فـن الـرَّكْادة للتنميـة »، مهرجانـا للتعريـف بهـذه الرقصـة.

تمـارس بعـض قبائـل بـني يزناسـن نوعـا آخـر مـن الرقـص، وهـو عـل شـكل دائـري، يختلـف قليـلا عـن رقـص العـلاوي، ويسـمى إمديـازن.

التقاليد المحلية

سونا

يعتمد هذا الطقس على شخصية تُدعى « باشيخ » أو « أوداي أمقران ». يرتدي جلود الخرفان، وملابس ذات ألوان متنوعة، وعقدًا من قواقع الحلزون، وقبعة من الصبار، ومكنسة - أو ذيل خروف - في أسفل ظهره. أزونا هي زوجة باشيخ.

يلعب هذا الدور رجل يرتدي الزي النسائي المحلي « بلوزة »، ويستخدم الفواكه كبديل عن الصدر، ووسادة كبديل عن الأرداف، يغطي رأسه بغطاء، ويضع شالًا أسودًا على وجهه، ليحاكي شكل المرأة.

يرتدي خمسة إلى عشرة مشاركين آخرين، ملابس قديمة وعقودًا من قواقع الحلزون، يحملون أكياسًا من الرماد، يرشونها على بعضهم البعض طوال الوقت. يتبعون باشيخ وأزونا، بأيديهم البنادير والمزامير، ويغنون غالبًا أهازيج لا يفهمها السامعون. فيجوبون المدينة، ويطرقون الأبواب ويدخلون المنازل أحيانًا، فيأخذون جميع الطعام، ثم يدعون للسكان. يطلب باشيخ في الطرقات من المارة، أن يقدموا له ملابس لزوجته، لأنه فقير. يتظاهر بأنه مصاب بوعكة للفت الانتباه - أصدقاؤه يتظاهرون بمساعدته - ثم يقف ويصرخ للفت الأنظار.

سلطان الطلبة

استهل هذا التقليد السلطان مولاي رشيد في عام 1666، حيث كان يُكرم طلاب المدارس القرآنية، بموكب يجوب زقاق مدينة فاس. اعتمدت قبائل بني يزناسن هذا التقليد، إذ ينتخب الطلاب « سلطانهم » في إبريل، الذي يختار رفاقه (النائب الحاجب، الجنود، الوزراء). وعندما يتعلم نصف القرآن، يدعوه الفقيه إلى تزيين لوحه.

يكتب الطالب على لوحه الآية الأولى التي تلي الجزء الذي تعلمه، ثم يأخذ لوحه ويخرج مع رفاقه وهم يغنون. يجوبون الشوارع ويطرقون الأبواب فيمنحهم الناس البيض، القمح، السكر، وأحيانًا بعض المال. ثم يعودون إلى المسجد لتناول وجبة عشاء، ولقراءة جماعية لبعض الآيات، تليها أمداح نبوية.

تاغونجا

يُطلق عليه أيضًا « عروس الأمطار »، فهذا العرف الأمازيغي يُنظم من قبل نساء بني يزناسن، لطلب المطر في أوقات القحط. الهدف منه هو تقديم عروس لآنزار، إلاهة السماء الأمازيغية والأنهار والبحار. تأخذ شكل دمية تُدعى تاغونجا، وهو اسم الملعقة الكبيرة المصنوعة من الخشب، المستخدمة لسحب الماء. تزين النساء الدمية بملابس ومجوهرات عروس، فتجبن برفقة الأطفال، القرى وهن تغنين : « يا تاغونجا، يا أم الأمل! يا الله، أرسل المطر » (آ تغونجا، آ مورجا! آ ربي أووي-دانزار). تُرش الدمية بالماء، وتجمع النساء الصدقات (السميد، الطحين، اللحم ...) ثم تحضر وجبة جماعية للسكان. ينتهي العرف بصلاة من أجل عودة آنزار، « زوج تاغونجا » (أرڭاز ن تاغونجا)

المشهد الثقافي وأماكنه الأسطورية

تعرف المنطقة في المقام الأول بتاريخها الإنساني الاستثنائي وبالأولياء الصالحين، خصوصا سيدي محمد أبركان، الذي ألهم الكتّاب المحليين، باعتباره أول عالم ومفكر من بني يزناسن. كان السكان إلى غاية بداية القرن العشرين، يعيشون أساسًا في الجبال، باستثناء بعض القبائل التي تعيش في السهول، حيث يعيش البدو بالقرب من نهر ملوية. ونتيجة لذلك، كان الإسلام يغمر الحياة الثقافية، خصوصاً بفضل الدور الكبير الذي لعبته الزوايا في التعليم وتنظيم الأيام والليالي الدينية. كانت الجالية اليهودية تتألف أساسا من الحرفيين والتجار، وإن ظهر من بينهم بعض المفكرين. لقد كان الإخوة شكرون - جيرمين، جوزيف وإيلي - وهم أسرة من المزراعين البارزين (ما زالت هناك مزرعة تحمل اسمهم). إذ كتب لوسيان، ابن جوزيف، العديد من المؤلفات. وساهم جيرمان عياش، الذي وُلد في السعيدية، وحاز على شهادة في الأدب الكلاسيكي، في كتابة تاريخ المغرب الحديث، خاصة في كتابه « جذور حرب الريف ». وكتب أخوه ألبير عياش كتابًا مرجعيًا بعنوان « الحركة النقابية في المغرب ». وُلد المشهد الثقافي الحديث في بركان في العقد الثاني من القرن الماضي، بفضل أماكنة مخصصة، من بينها مقهى ليتيزيا الشهير، وسينما أدريان، بالإضافة إلى ثلاثة مقاهي شعبية، بالقرب من السوق.

سينما أدريان

تم بناء هذا المجمع سنة 1929 على مساحة تبلغ هكتارا واحدا تقريبا، ويتضمن مقهى، وحانة، وقاعة للسينما، وكذا مسرحًا على الهواء، تقدم به أعمال فنية للمسرحيين وللفرق الموسيقية. توجد بجانبه حديقة لاستقبال ألعاب السيرك. يشير اسم القاعة إلى مالكها، أدريان لوبيز. فهي تعتبر أول قاعة للسينما في جهة الشرق، وتُعرف أيضًا باسم السينما البيضاء، أو سينما باراديزيو، لعرض الأعمال الثقافية، وإن لم تجلب كثيرا من الزوار، إلا لما تعرض الأفلام المصرية والفرنسية والأمريكية (خصوصًا الويستيرن)، كانت طوابير الانتظار لهذه الأفلام طويلة جدًا، حيث تباع كل التذاكر، وعددها 350، في العروض الثلاث اليومية. كان السيد أدريان يراقب المداخل، ويتأكد من أن المشاهدين لا يدخلون القاعة إلا مرة واحدة في اليوم. لم يكن سعر التذاكر ثابتا : فلكل فيلم سعره. لقد عرضت أعمال أسطورية، مثل مكتوب، ودليلة وشمشون، ولورنس العرب، وكازابلانكا... كانت الإدارة الموزعة للأفلام في القاعات، تفضل سينما أدريان وتمنحها حق العرض الحصري أحيانا، قبل مدينة وجدة، لأنها كانت أقدم منها. أما الفناء، فقد كان يستخدم للموسيقى والرقص، يومي السبت والأحد. لقد استضاف كذلك مهرجانات فلاحية، مثل مهرجان حصاد العنب، ومهرجان جني الكليمتين، وانتخاب ملكة جمال بركان سنويًا، وهو حدث نخبوي جدًا. لقد قدمت الفرق الفنية ببركان معظم العروض في الثلاثينات. ابتداء من الأربعينات، كان المسرح يعرض أعمال بعض الفرق القادمة من فرنسا أو الجزائر، أو من مدينة وجدة.

قدم طلاب المدرسة الأوروبية أيضًا عروضًا، من مسرحيات موليير غالبًا، وخاصة العرض المشهود للجزء الأول من مسرحية « البخيل »، الذي قدمه الطلاب دانيال مورسيا وموريس بنبري وكريستيان بيريز سنة 1948. وقد بقيت قاعة أدريان رائدة القطاع، على الرغم من افتتاح قاعات منافسة. استضافت أيضًا منذ الستينيات، عروضا لفرق من بركان باللهجة المغربية.

ليتيزيا

يتضمن هذا المجمع فندقًا - وهو أول فندق يبنى في بركان - بالإضافة إلى قاعة للرقص وحانة ومقهى، ونادي ليلي في الطابق السفلي. لقد كانت النخبة الحضرية تعتبر أن للقاعة أهمية بالغة، لها وللزوار القادمين من الجزائر وإسبانيا وإيطاليا... ترتبط ليتيزيا ارتباطًا وثيقًا بالفن والثقافة منذ إنشائها. كما نظمت حفلات مرتبطة بالمواسم الزراعية، وأعياد نهاية السنة، بالإضافة إلى الأنشطة الأسبوعية، مثل مسابقات الرقص (الروك آندرول أو التويست التي كانت شائعة في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي) إذ تهافت الشباب لممارستها. استضاف المكان أيضًا فرقًا مثل فرقة « الأقنعة السوداء »، التي كانت تقدم عروضا موسيقية ومسرحيات، أو الفرقة الموسيقية « هانز » من الناظور. توجد بجنبه حديقة عامة كبيرة، كانت تحتضن العروض المسرحية أو الموسيقية، بالإضافة إلى ألعاب السيرك.

سينما زكْزل

بنيت عام 1955، وكان يُطلق عليها اسم القايد المنصوري (تيمنًا باسم صاحبها). لقد ساهمت في تنويع المشهد الثقافي في بركان بشكل كبير، حيث استضافت فرقًا مسرحية إقليمية، وعروضًا من جميع أنحاء المغرب، مثل المسرحية الشهيرة « الحجاج والشبان الثلاثة ».

سينما الأندلس

لقـد كانـت القاعـة المفضلـة عنـد المثقفـين. يرتبـط اسـمها بمالكهـا، مـولاي أحمـد، الـذي كان يسـهر شـخصيا عـلى تسـييرها، ويختـار الأفـلام بعنايـة. لقـد اعتـاد بعـد كل عـرض، أن يطـرح أسـئلة حـول الفيلـم، لمجموعـات صغـيرة مـن المشـاهدين، ويمنـح جوائـزا للفائزيـن.

المشهد الأدبي المجهول

لطالما واجـه صعوبـات بـبركان في بدايـة القـرن العشريـن، بسـبب نـدرة المـدارس الحديثـة، وانعـدام الهيـاكل الثقافيـة. لقـد كان أطفـال النخبـة يذهبـون للدراسـة إلى جامعـة القرويـين في فـاس، أو إلى الخـارج ؛ فطـوروا المجـال الثقـافي في بـركان عنـد عودتهـم، ابتـداء مـن السـتينيات مـن القـرن المـاضي. نذكـر مـن بينهـم، قـدور الورطـاسي، الـذي كتـب خصوصـا عـن الحركـة الوطنيـة، باسـتثناء كتبـه « بـني يزناسـن عـبر التاريـخ »، و« الحدائـق » الـذي نـشر سـنة 1977، وهـي أول مجموعـة قصائـد نشرهـا مؤلـف مـن بـركان. تـلاه آخـرون مثـل محمـد الصفـراوي، بكتـاب « ذكريـات وطـني »، وبـن عبـد اللـه الوكـوتي المعـروف بـمؤلفه « ذكريـات مقـاوم ».

عبد الكريم بريشيد

عبـد الكريـم برشـيد، الـذي وُلـد في بـركان ودرس في مدينـة فـاس، واحـد مـن رواد الكتابـة المسرحيـة المغربيـة خـلال السـبعينيات مـن القـرن المـاضي. مـن أعمالـه المذهلـة مسرحيـة « سـالف لونجـا » الـتي نـشرت في 1977، و« ابـن الرومـي في مـدن الصفيـح »، و« عنـتر في المرايـا المكسـرة »، و« ديـوان الحشاشـين »، وغيرهـا الكثـير. تـم نـشر أفـكاره النظريـة في العديـد مـن الكتـب، مثـل « حـدود الكائـن والممكـن في المسـرح الاحتفـالي »، وكذلـك روايـة « غابـة الإشـارات ».

تطـورت فنـون أخـرى في بـركان في نهايـة القـرن العشريـن، مثـل الشـعر والروايـات والقصـص القصـيرة. عبـد القـادر معتـوق في 1993، ثـم محمد العـتروس في 1994من رواد هـذا التجديـد. سـينشر هـذا الأخـير روايـات « هـذا القـادم »، « هلوسـات » و« غالبـا مـا ». نـشر أحمـد بلقاسـم العديـد مـن القصـص القصـيرة، مثـل « لعنـة بخـوس »، « الشـيخ قـارون »، « مهـد الخيـال »... ظهـر كتـاب آخـرون، مثـل فريـد كومـار، وحسـين قيسـامي، وروائيـون مثـل مصطفـى شـعبان، وعبـد الملـك مومـني صاحـب كتـاب « خـضرا والمجـذوب »، أو حسـن عزيمـاني بكتابـه « الحرائـق » و « شـكراً كورونـا ».

أمـا عبـد الباسـط زخنيـني فقـد أصـدر « نعمـة الأشـقياء » و « القمـر الأخـير »... ثـم نـشرت دواويـن شـعرية خـلال العقـد الأول مـن القـرن الواحـد والعشريـن، مثـل « مرايـا عشـتار » لثريـا أحنـاش، وأعمـال لحسـن مـرزوقي وعبـد العزيـز أبـو شـيار بشـكل خـاص. يـثري كتـاب آخـرون المشـهد الثقـافي، مثـل أحمـد يعقـوبي، وعبـد المجيـد رزوقي، وعبـد المالـك مومـني...

تمثيل المسرحية « لا للهروب » لمحمد الشركّي من جمعية بسمة في بركان

مسرح بركان الجياش

مصطفى الرمضاني

تألق العديد من الفنانين من بركان في المغرب وخارجه، منهم مصطفى رمضاني، الذي ألف عدة كتب، من بينها « بني كردون »، « مرتجلات الشرق »، « سوق مطيار »، و « الحركة المسرحية في وجدة »، بالإضافة إلى كتاباته في النقد المسرحي. كما برز كتّاب آخرون، مثل محمد قيسامي، محمد جلال عراب، جميل حمداوي، عيسى شلفي وعبد الحفيظ مديوني. وقد شكل شباب هواة، منذ الستينيات، فرقًا ناطقة بالعربية في بركان. فتطور المسرح بعد عقد من الزمن، مع ظهور العديد من الفرق والمسرحيات مثل « رأس الخيط » و« المجادب » في عام 1977، من تأليف محمد جلطي وعبد الوهاب عقّاوي. كما قدمت جمعية « العربية »، التي يديرها محمد قيسامي، مسرحيات «بين العلم والجهل» و«ألحق الروائح المليح». أصبحت الجمعية تدعى « نجوم الشرق »، وأنتجت خصوصًا « الصيحة الخالدة » في عام 1977، ثم « الصراع الأبدي » في عام 1979. ظهرت في الثمانينيات من القرن العشرين، جمعيات جديدة، مثل « الطليعة ». شاركت الفرقة في المهرجان الوطني الثامن للمسرح بأكادير بمسرحية «طروادة والحصار»، التي أُعيد تقديمها في عام 2019 تحت عنوان « الأسوار ». « الجمهور»، فرقة جديدة، تقدم « العصافير» و« نونو في حفرة »، وهي مسرحيات من تأليف عبد الوهاب عقاوي.

تأسست فرقة « أنوار » في 5 مايو 1983 في دار الشباب ببركان. قدمت العديد من المسرحيات، بما في ذلك « طروادة والحصار » في عام 1987، « الطوفان » في عام 1990 و« كباش الحضرة » في عام 1992، من تأليف وإخراج ميمون غازي. تم تقديم « طاحونة وقنديل » في عام 1998 و« رجال البلاد » في عام 2001، وحازتا على العديد من الجوائز.

روح التفوق في مجال الرياضة

تطورت الرياضات مع بداية القرن العشرين. نظمت في البداية من طرف الأسر والأصدقاء، وأصبحت مع مرور الوقت، تُنظم في جمعيات وأندية رياضية، اعتنت بشكل أساسي بكرة القدم وكرة السلة وكرة اليد.

كرة القدم في بركان وأحفير، الصعود نحو القمة

كْاليا سبور، أول نادي في بركان

كـرة القـدم هـي الرياضـة الأولى الـتي تمـارس في بـركان. تأسـس نـادي كْاليـة سـبور في أوائـل العشرينـات من القـرن المـاضي، وكان جوزيـف شـوكرون رئيسًـا لـه. كان الأعضـاء يتدربـون ويلعبـون في ملعـب بسـيط، بجانـب الكنيسـة. وصـل النـادي إلى مسـتوى جيـد وبـرز عـلى السـاحة الإقليميـة، خاصـةً ضـد فريـق وجـدة. ترأسـه في الثلاثينـات والأربعينـات مـن القـرن المـاضي إميـل كوفـان، وكان واحـدا مـن أفضـل الفـرق في جهـة الـشرق. مـن بـين لاعبيـه نذكـر إيزيـدور بينيـبري، الـذي كان يُلقـب بــ « السـهم الأسـود ». حظـي بملعـب جديـد في عـام 1950، فأصبـح يتنافـس في دوري « الهـواة » ويخـوض مباريـات في جهـة الـشرق وفي الجزائـر. أصبـح النـادي متعـدد الرياضـات ثـم اختفـى بعـد الاسـتقلال.

في 27 ديسمبر من سنة 1927، فاز ميشيل فنول، من كْالية سبور بركان، بسباق 000 4 متر الذي نظمته جريدة صدى المغرب، وحطم الرقم القياسي الوطني لهذه الرياضة

الجمعية الرياضية لبركان

تأسسـت في 21 مايـو 1938 للرفـع بمسـتواه. تـولى إميـل كوفـان الرئاسـة، وكان في الإدارة جـان مورلـو وتومـاس لـوي وأنطونيـو زاباتـا وجـورج فيـيري. درب الفريـق هـنري ليكيـت، وكان يضـم خمسـة عـشر فرنسـيًا وثلاثـة مغاربـة. انضـم بعـض العنـاصر الجيـدة مـن كْاليـة سـبور إلى النـادي الجديـد. بـدأت الفرقـة تتنافـس في رابطـة وهـران، ثـم في الـدوري المغـربي مـع الأنديـة الأخـرى مـن جهـة الـشرق لموسـم 1940-1939. خـلال موسـم 1943-1942، تأسسـت الرابطـة الشرقيـة، وضمـت الجمعيـة الرياضيـة لـبركان وجـرادة والاتحـاد الريـاضي الوجـدي والطاقـة.

في 3 نوفمـبر 1946، لعبـت الجمعيـة الرياضيـة لـبركان كأس شـمال إفريقيـا ضـد بور-ليـوتي، مـع كْاسـتون بونفيـال كمـدرب؛ خـسروا بهدفـين مقابـل هـدف واحـد، فتقـرر بنـاء الملعـب البلـدي في بـركان في 5 فبرايـر 1948، وتـم افتتاحـه بعـد بضعـة أشـهر.

مدخل الملعب البلدي في بركان اليوم

في عـام 1953، ظهـرت فرقـة أغلـب أعضائهـا مغاربـة وطنيـون، تحـت اسـم الاتحـاد الريـاضي المسـلم بـبركان، ولكنهـا حُلّـت سـنتين بعـد إنشـائها.

ابتـداءً مـن عـام 1956، بـدأت جميـع الفـرق المغربيـة تلعـب في المباريـات التصنيفيـة، الـتي نظمتهـا الجامعـة الملكيـة المغربيـة لكـرة القـدم، الحديثـة العهـد، بهـدف تكويـن الأقسـام. خـسر الاتحـاد الريـاضي بـبركان أمـام فريـق الرشـاد البيضـاوي، بعـد طـرد ثلاثـة مـن لاعبيـه، بمـا في ذلـك العميـد ميمـون بوجنـان. وبعـد أنـه صنـف في القسـم الثـاني، تقهقـر في المواسـم التاليـة قبـل أن يصعـد مـرة أخـرى في موسـم 1960-1959.

تأسـس الاتحـاد الريـاضي لـبركان سـنة 1966 وحـل محـل الاتحاد الريـاضي القديـم. في يونيـو 1968، تأسسـت فرقـة جديـدة تحـت اسـم الشـبيبة الرياضيـة بـبركان، بقيـادة المـدرب سـعيد لوكيـلي، ورئاسـة ناجـم لهبيـل. وبعـد بدايـة جيـدة، ارتقـى إلى القسـم الثـاني في الموسـم التـالي. خـلال موسـم 1972-1971، أدمجـت أنديـة بـركان لمصلحـة المدينـة، فتأسسـت « النهضـة الرياضيـة البركانيـة ».

محمد شاوش (على اليمين، الكرة عند رجله)، من مواليد واد رحو، وهو مهاجم بارع، ساهم في تألق فريق بركان من عام 1983 إلى 1985، وابتداءً من عام 1988، واصل مسيرته الاحترافية في أوروبا. شارك مع أسود الأطلس من 1986 إلى غاية 1995

فريق النهضة الأول : من اليمين إلى اليسار واقفا عزيز بلحاج، مصطفى لياوي، لاعب إسباني ملقب بـ « قرطبة »، سليمان العرنوفي، بلقاسم عفراوي، ميمون بوجنان، وجالسا، محمد أوشكدري، محمد السعيدي، حسن الإبراهيمي، عبد الحفيظ أوشكدري، سلفادور

النهضة الرياضية البركانية

وصـل النـادي الجديـد إلى القسـم الأول في موسـم 1978-1977، وأنهـى موسـم 1983 ثانيـا في البطولـة، كمـا لعـب نهـائي كأس العـرش سـنة 1987، قبـل أن يتدهـور إلى غايـة القسـم الرابـع. غـير أن سـنة 2009 شـهدت تحـولًا كبـيرًا في الفريـق، مـع تـولي فـوزي لقجـع رئاسـة النـادي، حيـث قـام بإدخـال تغيـيرات جذريـة، غـيرت وجـه النـادي، وصاحبـت تقدمًـه السريـع. فتوالـت النتائـج : حيـث ارتقـى إلى القسـم الأول سـنة 2012.

التتويج الثاني لنهضة بركان في 2022 في كأس الكونفدرالية الأفريقية.

بركان، إقليم كرة القدم

كان نهضة بركان سنة 2000، لا يزال ناديا للهواة، في القسم الثالث من البطولة المغربية. تم تغيير إدارته. دخل المهندس الزراعي إليه وأصبح مسؤولاً عن البنية التحتية. تمكن فوزي لقجع من توفير الموارد المالية الضرورية، وتجهيز المرافق الرياضية (افتتاح ملعب بركان البلدي - بسعة 10 000 مقعد - في 2014، ثم تم تجديده في 2017).

أصبح مهتمًا بالتنظيم والاحتراف، وأصبح المدير العام للنادي، ثم رئيسًا له في 2009. فور انتخابه، أنشأ مركزًا للتدريب، ووجد المستثمرين والشركاء الماليين. أصبح "النادي البرتقالي" - اللون الذي أصبح رمزًا له - قادرًا على جذب لاعبين قديرين، وتمويل البنية التحتية، واعتماد تسيير من أعلى مستوى. يأتي الشبان من جميع أنحاء المملكة للتدريب في المركز، خصوصًا بسبب مقامه وتميزه. أصبح فوزي لقجع رئيسًا للجامعة الملكية المغربية لكرة القدم في 2014، ثم نائبًا للرئيس الكونفدرالية الأفريقية لكرة القدم في 2017. بعد عقد من التفوق على رأس نهضة بركان، استقال من رئاسة النادي سنة 2019. وظل النادي منذ ذلك الحين، في مقدمة المنافسات الوطنية والأفريقية.

توج النادي للمرة الأولى بكأس العرش سنة 2018، ثم مرتين أخريين، الأخيرة كانت في 15 يوليو 2023 أمام الرجاء البيضاوي.

وقد تألق نهضة بركان أيضًا على الساحة القارية، ففاز بكأس الكونفدرالية الأفريقية مرتين في 2020 و 2022 (حيث خاض ثلاث مباريات نهائية خلال أربع سنوات!).

الاتحاد الرياضي لأحفير

بعد سنوات من ممارسة كرة القدم على مستوى الهواة، تأسس النادي في أحفير في عام 1954.

عاش الفريق أوقاته الذهبية خلال السبعينيات من القرن الماضي، مع لاعبين مثل عيسى بنتفريت، عمر بن يمنى، محمد غرماوي، محمد فيلا، التوهامي (الملقب بـ « شنا »)، ميلود زنبي، عبد الحفيظ لجدال، أحمد الهواري، محمد أوبران، أحمد مرابط وحسين وكان مدربهم هو المحجوب.

في الملعب البلدي، جعل نادي النهضة « النصر » و « المجد » يترددان على جدرانه ؛
والنتائج تؤكد ذلك. اللون البرتقالي الدافئ والنابض بالحيوية موجود في كل مكان

فوزي لقجع، رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، والوزير المنتدب لدى وزيرة الاقتصاد والمالية، المكلف بالميزانية، برفقة الدكتور باتريس موتسيبي، رئيس الكونفدرالية الأفريقية لكرة القدم، يقومان بتقديم كأس السوبر، للاعبي نهضة بركان، بعد النهائي الذي فازوا فيه ضد نادي الوداد البيضاوي، في ملعب الأمير مولاي عبد الله في 10 سبتمبر 2022

كرة السلة في بركان تتألق على الصعيد العالمي

تأسس فريق كرة السلة في بركان في الثلاثينيات من القرن الماضي، خاصة بفضل لاعبين أوروبيين. بعد بداية متواضعة، تحسنت نتائجه في الأربعينيات من القرن الماضي، بلاعبين مثل جيرمان شوكرون وروجر تيبول. تأسس نادي بركان، وضم الفريق ثلاثة أجانب وهم: سيسيليو، غونزالفيس وكلود بيريس. تألق النادي في بداية الخمسينيات من القرن الماضي: فاز الشبان، تحت إشراف جان ألفونس، ببطولة المغرب في 1953، ثم بالألعاب الجامعية الإفريقية. بعد الاستقلال، فقد النادي العديد من عناصره. ومع ذلك، تميز الفريق في البطولة المغربية خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي.

فريق بركان سنة 1976، من اليسار إلى اليمين، الواقفين : عزيز بلحاج، بنيونس بلخطير، عبد الكريم عتروس، مصطفى جعلول، عبد الحق بوعزة، قويدر مكحلي، بلحاج عبد الغني، عبد الوهاب بولغالغ والجالسين : مصطفى طالبي، محمد شهلاوي، محمد بولغالغ، حمزة، ومصطفى حرشاوي

بركان ضد فريق هارلم غلوبتروترز

خلال موسم 1970-1971، قام الفريق الأمريكي المرموق هارلم غلوبتروترز بجولة في المغرب، وأجرى عدة مباريات ودية مع أفضل الأندية المغربية، من بينها وجدة وبركان في الشرق. ففاز فريق بركان بنتيجة 52 مقابل 50!

يضم الفريق (في الصور المرفقة) عاشور لهبيل، عبد الحق بوعزة، بنيونس بلخطير، مصطفى طالبي، عبد الكريم عتروس، قويدر مكحلي، مصطفى جعلول، مصطفى حرشاوي، عبد الوهاب بولغالغ، بوخاري، ومحمد شهلاوي (الملقب بـ« ستيتو »).

فريق
كرة السلة
لموسم
1974-1975 :
على اليمين،
بالسترة السوداء،
المرحوم
أبو القاسمي البكاي ؛
الرقم 4 زركيت،
الرقم 8 واشاني،
خلف اللوح،
المرحوم بلخطير
بنيونس،
الرقم 10 الحاج
مكحلي قويدر،
الرقم 9 عتروس،
بالأبيض وهاب،
الرقم 15 بوجنان،
الرقم 13 المرحوم
حمزة ستيتو،
الرقم 6 بوراس،
الرقم 5 مصطفى
جعلول

ابتدأ معظم اللاعبين مشوارهم في فرق المدارس الثانوية أبو الخير وابن رشد. كان السيد السعيدي، أستاذ التربية البدنية ولاعب سابق، يوجه المواهب الشابة نحو كرة السلة. خلال موسم 1976-1975، توج فريق المدرسة الثانوية أبو الخير ببطولة المغرب. شارك في الألعاب الأفريقية في موريتانيا بقيادة مدربه، السيد بشراوي، وخاض ثلاث نهائيات متتالية، من 1973 إلى 1975، بالإضافة إلى نصف النهائيات في 1981 و 1983. في 1991، اندمج النادي في « النهضة الرياضية البركانية ». تعود استمرارية كرة السلة في بركان للرئيس قويدر مكحلي والمدرب بنيونس بلخير، وهما لاعبان سابقان، دأبا على إنقاذ الفريق في الأوقات العصيبة. فاز الفريق ببطولة المغرب في 2013، تحت رئاسة محمد مدران، وبكأس العرش في نفس الموسم تحت رئاسة مصطفى جدايني.

كرة اليد في بركان، من المدرسة الثانوية إلى البطولة الوطنية

تأسس فريق كرة اليد في الثلاثينيات من القرن الماضي، وانتسب إلى الجمعية الرياضية لبركان. وقد كان يلعب مبارياته يوم الأحد في مدرسة أبو الخير التي تحتوي على ملعب مجهز. ساهم الجيل الأول من اللاعبين بعد الاستقلال، والذين جاءوا خصوصًا من المدارس، في شعبية لعبة كرة اليد، التي غيبتها كرتا القدم والسلة. تطور الجيل الثاني في السبعينيات من القرن الماضي. ووصل فريق مدرسة أبو الخير تدريجيًا إلى قمة البطولة الوطنية. حقق الفريق نجاحات وتقلبات خلال المواسم الموالية ؛ حيث فاز ببطولة المغرب لأول مرة سنة 2011، كما لعب الدور النهائي سنتي 2012 و 2013.

بركان تفتخر بتقديم بنى تحتية
حديثة وفعالة للشباب والرياضيين

الرياضة، منتوج مجالي ببركان

يمكن ممارسة جميع الأنشطة الرياضية في مدينة بركان ونواحيها؛ بعضها قديم مثل البولينغ، أو تاريخي مثل ألعاب القوى. وهكذا، فهشام الكْروج، الذي وُلد في بركان، هو ربما أشهر وأكثر الرياضيين المغاربة تتويجًا، وهو متخصص في سباقات المسافات الطويلة والمتوسطة، شهرته عالمية، كما أنه ينظم نصف ماراثون بركان الدولي، من خلال جمعية بني يزناسن التي أسسها ويترأسها. تستقطب كل نسخة آلاف المشاركين، منذ عام 2015، ثلثيهم من الأطفال. تدعم وكالة تنمية جهة الشرق هذا الحدث. كما توجد الرياضات المرتبطة بالبحر بالسعيدية (رياضات الانزلاق والسباحة بشكل خاص) ورأس الماء (الغوص تحت الماء بشكل خاص). كما تمارس رياضة الكْولف في السعيدية التي تجدب رياضيين مرموقين من أوربا، على مسارين من 18 حفرة، خاصةً خلال فعاليات الكْولف والطهي. فرياضة الكْولف نقطة قوة هذه المناطق الشغوفة بالرياضية بشكل خاص.

عرض صحي متوازن ومتاح للجميع

تعميم الوصول إلى الرعاية، وتعزيز الموارد البشرية، وتشجيع الوقاية، هي الأهداف الرئيسية للإستراتيجية الوطنية للصحة، التي تسعى إليها الحكومة المغربية. فلتنزيلها على صعيد المنطقة، قام إقليم بركان بوضع خطة متوازنة للعروض الصحية، بين القطاعين العام والخاص. تضم شبكة الاستشفاء العامة ثلاثة مستشفيات و21 مركزًا صحيًا، تحتوي على 204 سرير، أي واحد لكل 1 400 نسمة تقريبًا.

شهد المستشفى الإقليمي « الدراق » في بركان، خلال ثلاثة عقود، تعديلات وتوسيعات، رفعت من قدرته الاستشفائية إلى 136 سريرًا. فهو يقدم خدمات في الطب العام والعديد من التخصصات، بالإضافة إلى قسم المستعجلات.

مستشفى السعيدية، الذي يحتوي على 68 سريرًا، يستجيب للحالات الطارئة المحلية، والذي تبلغ دروته خلال فصل الصيف حيث يرتفع عدد المصطافين. بأسرته ـ45، يقدم مستشفى أحفير، عرضًا متنوعًا للرعاية الصحية (الجراحة، والتوليد، والطب العام، والأشعة...). كما تضم أحفير دارا للولادة، ومركزًا صحيًا حضريًا، تم افتتاحهما سنة 2017.

تتجلى الأولوية الممنوحة للصحة والرغبة في إتاحتها للجميع من خلال القافلة الطبية، المتعددة التخصصات (12 تخصصًا) لصالح سجناء مدينة بركان التي أُجريت في عام 2022، برعاية مؤسسة محمد السادس لإعادة دمج السجناء. وقد طور إقليم بركان أيضًا شبكة لطب القرب، من خلال فتح العديد من مراكز الصحة.

خوسيه هود، طبيب بريتوني، بركاني إلى الأبد

الدكتور جوزيف هود، المعروف بـ "خوسيه"، استقر في بركان في عام 1918. وُلد سنة 1883 في بروطان بفرنسا، وكان يرتدي دائمًا البيرية التقليدية (قبعة) المعروفة بهذه المنطقة. هو أول طبيب مدني في المدينة، و كان يدير عيادة بموارد محدودة، ولكنها كانت مع ذلك، تقدم الرعاية الصحية الأولية لجميع المناطق المحيطة ببركان.

كان الدكتور يجوب الأرياف ويزور القرى، بسيارته التي كانت بمثابة سيارة إسعاف. كما كان يشرف على جمعية خيرية تدعى « قطرة حليب »، قرب ثانوية أبو الخير، بمساعدة أخته. خلال مكافحته للتيفوس في عام 1940، الذي أودى بحياة الكثير من السكان، أصيب بالمرض نتيجة التواصل المباشر مع المرضى. خلال الاشتباكات التي سبقت الاستقلال، استقبل الطبيب وعالج، كلا من المقاومين والممارسين للقمع، على حد سواء. لقد كان مسيحيا، إيمانه قوي، وكان يحترم الإسلام كثيرا ؛ لم يدع أي فقير يدفع أجرا مقابل خدماته. وقد اختصر هذا النهج بقوله : « أفعل الخير حتى تؤمن به »...

بعد تقاعده، في سن متقدمة، استقر في تافوغالت وواصل العناية بالسكان هناك. توفي في بركان في 26 ديسمبر 1958، عام افتتاح المستشفى الجديد، الذي أطلق عليه اسمه تكريمًا له (وسيصبح فيما بعد مستشفى الدراق).

دفن خوسيه هود في المقبرة المسيحية ببركان.

CENTRE HOSPITALIER PROVINCIAL
HOPITAL EDDERRAK
المركز الاستشفائي الاقليمي
مستشفى الدرك

مبنى جمعية « قطرة حليب » في بركان، خيرية برعاية الدكتور هود

واجهتان لمستشفى هود في بركان كما ظهرتا في حفل افـتـتاحه في عـام 1958

هـذا هـو الحـال في أغبـال، أحفـير، عـين الـرَّكَّادة، أكليـم، بـركان، بوغريبـة، الشـويحية، زكْـزل، العثامنـة، مـداغ، واولـوت، السـعيدية، سـيدي سـليمان شراعـة، تافوغالـت، رسـلان، وسـيدي بوهريـة.

يوجـد في بـركان، مركـز مخصـص للشـباب، يقـدم خدمـات صحيـة خاصـة، إلى جانـب العديـد مـن الأنشـطة (اسـتقبال، اسـتماع، إرشـاد، دعـم، خدمـات طبيـة وتمريضيـة، فحوصـات عامـة ومتخصصـة...)

أعيـد بنـاء وتوسـيع المركـز الصحـي الحـضري في أكليـم، وألحقـت بـه دار للـولادة.

لتسـهيل الرعايـة لجميـع السـكان، خاصـة في المناطـق القرويـة النائيـة، تنظـم المندوبيـة الإقليميـة للصحـة، عـدة مـرات في السـنة، قوافـل طبيـة متعـددة التخصصـات : وقـد حققـت نجاحـات حقيقيـة وعرفـت توافـدا مهمـا ومتكـررا.

كمـا تُجـرى كل سـنة، حمـلات توعيـة (صحـة الفـم والأسـنان، النظافـة، مكافحـة أمـراض العـين...). تقـدم هـذه الأنشـطة خدمـات عاليـة الجـودة. فهـي تُيـسر إمكانيـة الاسـتفادة مـن الرعايـة الصحيـة الأوليـة للسـكان، ممـا يجنبهـم التنقـل إلى المؤسسـات الطبيـة في المـدن، إذ تُنجـز الفحوصـات الطبيـة والرعايـة التمريضيـة في مقـر إقامتهـم.

يسـتفيد الإقليـم أيضًـا مـن شـبكة استشـفائية في القطـاع الخـاص، تضـم 73 عيـادة طبيـة، حـوالي 200 ممـرض وقابلـة، 104 صيدليـة، 18 عيـادة لطـب الأسـنان، 6 مختـبرات للتحاليـل الطبيـة و 4 مراكـز للأشـعة.

تضـاف إليهـا خمـس عيـادات، وسـت مراكـز للترويـض. يشـكل الـكل إذا شـبكة صحيـة مكتملـة بشـكل كبـير، مـن المـوارد الماديـة والبشريـة.

التعليم، نحو المجتمع الذكي 4.0

شهدت بركان ونواحيها افتتاح مدارس « حديثة »، في نهاية العقد الأول من القرن العشرين. تُعتبر هذه المدارس نواة المنظومة التعليمية الحالية. لقد استكملت وتوسعت، وتم نشيطها بفضل العديد من المبادرات التي تتخذ باستمرار، لتلبية الحاجيات الحالية، وخاصة المستقبلية. يظهر تاريخ ثانوية أبو الخير، التي أصبحت بعد الاستقلال رمزًا للتعليم العمومي في المغرب، هذا المسار المتميز، حيث تجمع بين النجاح الأكاديمي والإنجازات الرياضية.

لا وجود لمدينة ذكية، دون مواطنين أذكياء !

تعتبر بركان مدينة رائدة في مجال التحويل الرقمي، تعتمد على التربية والتكوين لجعل المواطن واع بقضايا الشأن المحلي، وقادر على متابعة التطور 4.0 المعتمد حاليا بكافة المكونات الترابية للإقليم. لذا، تبذل جهود كبيرة لرفع مستوى التعليم وتهيئة المهارات، من خلال تعزيز التكوين والتدريب التقني والمهني. فهذا الاستثمار في التعليم، سيوفر لإقليم بركان الوسائل الضرورية لتحقيق طموحاته في ميادين الاقتصاد، التشغيل، الصحة، التطور الرقمي والمستدام، البيئة... ذلك أن شبكة المؤسسات العمومية عرفت تطورا ملحوظا بالإقليم، بلغت 79 مدرسة ابتدائية سنة 2023 و 23 إعدادية و 13 ثانوية تأهيلية (منها ثانوية زراعية واخرى بها أقسام دبلوم التقنيين المتخصصين. (كما أن القطاع الخاص يضم 27 مؤسسة في مختلف المستويات).

ثانوية أبو الخير، الفصول التاريخية التي كونت أجيالًا بركانية

تستقبل المنظومة التربوية بأكملها أكثر من 100 65 تلميذ، من بينهم حوالي 000 32 فتاة. تشارك جميع الأطراف المعنية، في مشروع إنجاح المنظومة التعليمية. الهدف هو تحسين الإدارة والحكامة في تسيير الموارد البشرية. تُنظم باستمرار، العديد من حملات التواصل والتعبئة للأطراف المعنية بالتعليم، وآباء وأولياء التلاميذ وشركاء المدرسة، وكذا حملات التوظيف لسد العجز في الرأسمال البشري بمختلف المجالات.

من أجل المساواة في الفرص

يتميز إقليم بركان بساكنته الشابة. والتحدي يتمثل في توفير عرض تعليمي متنوع للجميع، بجودة عالية، لكي يصبح جذابا، وعادلا وفعالا. فالمساواة في الفرص تبدأ منذ الصغر. لذلك، فالتعليم الأولي الجيد أساسي لبناء المدرسة المغربية، كما هو مقرر في النموذج الجديد للتنمية. ففي سنة 2023، كان إقليم بركان يتوفر على 326 قسم للتعليم أي ما يشكل 12% من مجمع جهة الشرق. وبفضل هذه المجهودات، تم تسجيل معظم الأطفال البالغين أربع وخمس سنوات (الذين كان عددهم 930 4 طفل) في التعليم الأولي، في الوقت الذي لم يتجاوز فيه هذا العدد الثلثين فحسب، سنة 2021، بفضل تشغيل وتدريب مربين تربويين بشكل خاص. فالاستراتيجية الإقليمية تسعى لتعميم التعليم بشكل واسع، وإحصاء الأطفال البالغين سن التمدرس، ومحاربة الهدر المدرسي وإجبارية المدرسة من الرابعة إلى السادسة عشرة سنة، بحلول سنة 2030. ومن أجل تحقيق هذا الطموح، كان لزاما خفض نسبة الاكتظاظ في الفصول.

في مارتيمبري-دو-كيس، المدرسة الأوروبية، المعروفة بمدرسة سانت هيلاير، من 1919 إلى 1938

في بركان، المدرسة الأولى المعروفة بـ « المدرسة المختلطة » في 1909، والتي أصبحت فيما بعد ثانوية أبو الخير

تم تحقيق هذا الهدف بالنسبة للإعدادي والتأهيلي. اما بالابتدائي، فقد تم القضاء على هذه الظاهرة في المراكز الحضرية، بحيث لم يعد هناك أي فصل دراسي متعدد المستويات. في حين بالمدارس القروية، تقلصت كثيرا ، ولم نعد نسجل مستويين بالفصل إلا في تلث الأقسام.

مكافحة الهدر المدرسي والتمييز

إن دعم التعليم العادل والفعال، يتطلب تجاوز العقبات الاقتصادية والجغرافية، التي تعيق تعليم الأطفال، خاصةً بالنسبة للفئات المعوزة، واللاتي تعيش في المناطق النائية. وبالتالي، فتحسين وسائل النقل المدرسي أمر استراتيجي، لأنه يساهم في تعزيز فرص التعليم المتساوية، يقلل من الهدر المدرسي ويشجع على تعليم الفتيات، ففي سنة 2022، استفاد من النقل المدرسي 838 2 تلميذ بالمناطق القروية المتمدرسين بالأسلاك الابتدائية والإعدادية والثانوية، و 554 1 تلميذ بالمناطق الحضرية. كما أن التخفيف من عبئ تكاليف اللوازم والكتب المدرسية ساهم في تشجيع التمدرس. هكذا، مكنت المبادرة الملكية «مليون محفظة»في بداية الموسم الدراسي الحالي، من مساعدة 835 13 تلميذ في التعليم الابتدائي بالمجال القروي، من بينهم 718 6 فتاة، و 178 3 تلميذ في المدارس الإعدادية، من بينهم 088 2 فتاة، بالإضافة إلى 575 17 تلميذ في التعليم الابتدائي، من بينهم 343 8 فتاة في المناطق الحضرية. في المناطق القروية، جميع المدارس والاعداديات مزودة بمطاعم، تعمل مع بداية الموسم الدراسي. يستفيد منها في السلكين الابتدائي والإعدادي، حوالي 15 000 تلميذ. كما تم تعزيزها أيضًا بشبكة دور الطالبة والطالب وإنجاز أجنحة «داخليات» لإيواء التلاميذ بمختلف المستويات.

مدرسة قاسم أمين التي تم إصلاحها في عين الأركان

ثانوية ابن رشد في بركان

يقـدم برنامـج تيسـير، دعمـا ماليـا للعائـلات المحتاجـة. يشـمل بشـكل خـاص الجماعـات القرويـة، وبعـض المناطـق الحضريـة الـتي تعـاني مـن نسـبة عاليـة مـن الهـدر المـدرسي. فقـد حصـل حـوالي 000 19 تلميـذ في إقليـم بـركان، حـوالي ربعهـم مـن الفتيـات، عـلى منـح دراسـية سـنة 2022. ومـن الجديـر بالذكـر، فالمدرسـة للجميـع، بـدون تميـيز، تسـتهدف كذلـك الشـباب الذيـن يعانـون مـن إعاقـة أو صعوبـات. لقـد زاد عـدد المؤسسـات الدامجـة في الإقليـم، مـن 49 في عـام 2021 إلى 53 في عـام 2022. وخـلال نفـس الفـترة، زاد عـدد المعلمـين المتخصصـين مـن 106 إلى 140. كمـا أنـه قـد اعتمـدت خطـة لتوفـير فرصـة ثانيـة للذيـن غـادروا التعليـم التقليـدي، عـبر تحسـين أداء التربيـة غـير النظاميـة. وتعـرف هـذه المـدارس باسـم « مـدارس الفرصـة الثانيـة » الـتي تسـتقبل التلاميـذ مـن 8 إلى 18 سـنة.

أجواء المدرسة والرياضة للجميع

يجـب أن تكـون المدرسـة مكانًـا رحبـا للدراسـة والتعايـش، حيـث يتفتـح المعلمـون والتلاميـذ، ويعملـون في ظـروف جيدة. لا تحصـل المؤسسـات التعليميـة في القطـاع العمومـي عـلى الصيانـة الكافيـة، ممـا يسـاهم في الهـدر المـدرسي. وقـد شرع إقليـم بـركان في تحسـين البـنى التحتيـة المدرسـية: فـزود معظـم المؤسسـات في الإقليـم، بالمعـدات الأساسـية. تتطلـب المدرسـة المواطنـة والدامجـة أيضًـا التنـوع في أنشـطة الحيـاة المدرسـية. لذلـك، أعـدت جميـع المؤسسـات خلايـا للاسـتماع

مدخل ثانوية تريفة ببركان

والوسـاطة، وأنديـة تعليميـة نشـطة في الفنـون والعلـوم والثقافـة، وعـززت الرياضـة المدرسـية، وهـي مـن الأولويـات، إذ تتطلـب إشرافًـا ومتابعـةً وتسـييرا دقيقـين. يحـرص الإقليـم عـلى خلـق الـشروط الملائمـة لممارسـة الرياضـات المدرسـية، ولتكويـن نـواة مـن المواهـب الرياضيـة العاليـة المسـتوى. وفي هـذا الصـدد، فتحـت شـعبة « الرياضـة والدراسـة » في السـلك الثانـوي التأهيـلي. كمـا تعمـل جمعيـات رياضيـة متعـددة الاختصاصـات، داخل المؤسسـات. تتميـز بـركان أيضًـا بأكاديمية لدعـم كـرة القـدم، تحـت رعايـة نـادي نهضـة بـركان. وقـد تـم إنجازهـا بشراكـة مـع السـلطات المحليـة، ومديريـات الشـباب والرياضـة، والتعليـم، والمبـادرة الوطنيـة للتنميـة البشريـة، الـتي تنظـم التداريـب في المـدارس الابتدائيـة بالإقليـم.

للشباب،
منصة متعددة الوظائف،
مفعمة بالحيوية والنشاط

الـرقـمـنـة

تبعث الحيوية في المجتمع

تغيير الحياة بفضل الذكاء الرقمي

أصبح إقليم بركان منذ سنين عديدة، مختبرًا للإبتكارات المتعددة، إذ يبعد باستمرار حدود التطور التكنولوجي، لمواجهة التحديات الترابية، مع مراعاة التحسين المستمر للحياة اليومية للساكنة.

الإستقبال بالوحدة الرقمية، بمقر عمالة إقليم بركان

بركان، مدينة مفعمة بالحيوية

في سنة 1993، أنجزت استطلاعات ميدانية، على الشبكة الحضرية لجهة الشرق، في مؤشرات التحضر. نتج عنها أن بركان مدينة متوسطة، بنسبة تحضر ضعيفة، إذ كانت تتوفر على 9 وكالات بنكية، 143 تاجر جملة، لكن لا يوجد بها أطباء متخصصون، ومبنى واحد فقط به مصعد، ولا وجود لحافلة النقل الحضري ولا لسيارات الأجرة.
تغيرت المدينة جذرياً خلال 30 سنة. فأصبحت تتوفر اليوم على حوالي أربعين طبيبًا (منهم 26 في القطاع الخاص)، 44 وكالة بنكية، 70 حافلة حضريًّة وحوالي 220 سيارة الأجرة، عشر تقاطعات بها إشارات المرور، وحوالي عشرين مبنى مزود بمصاعد. فقد كانت بالفعل بركان، قبل الابتكار الرقمي في طريق التقدم : مدينة متوسطة، حيوية، تستقطب العديد من الاستثمارات الهامة.
وبالتالي، فرهان الذكاء يندرج في سياق مناسب له. أشرك المشروع السكان، كفاعلين وكمستفيدين، على حد سواء. فالحصول على الوثائق الإدارية من عمالة إقليم بركان يتم اليوم عن بعد، عبر الإنترنت، مما وضع حدا للانتظارات السابقة في الطوابير.
لقد غيرت الثورة الرقمية في جوهرها وشكلها، سلوك الموظفين، ويسرت بشكل كبير حياة المواطنين.

الرقمنة وتجريد الاجراءات الادارية

« دعا صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، المسؤولين إلى الابتكار. وكل ما نقوم به في بركان هو تفعيل الرؤية الملكية، التي تدعو إلى خدمة المواطن وتطوير المجال الترابي للإقليم"، يقول السيد علي حبوها، عامل إقليم بركان، مؤكدًا على ضرورة "التفكير الطموح، والعمل السريع، واليقظة الحذرة، والاستجابة المسبقة ». فالابتكار في الإدارة يعني أنها تتطور كشركة خاصة، تعيد النظر في حاجيات زبنائها، وتستعين بالذكاء الجماعي. وبهذا، تعتبر بركان وضواحيها رائدة في مجال التدبير الترابي والذكاء الجماعي.
تمت هذه التحولات انطلاقا من سنة 2017، وهي تتناسب تمامًا مع التوجيهات الملكية السامية، في تقريب الإدارة من المواطنين والاستفادة الفورية والشفافة، بأجرأة إدارية مبسطة، للأفراد والشركات، على حد سواء. لقد نفذت خطوة بخطوة، من أجل إدخال وتطوير التكنولوجيات الرقمية، بشكل مبتكر ومستدام. وقد أدى القانون التنظيمي لقانون المالية لسنة، 2022 إلى إعادة التفكير في تسيير الإدارات العمومية، بأسلوب عملي. فهو يهدف إلى ضمان الاستدامة المالية، والرفع من روح المسؤولية للمسيرين، وتوضيح رؤيتهم، وتحسين الشفافية في إدارة الشأن العام. لا مجال الآن في التفكير في الوسائل، بل في النتائج. فالتقنيات الرقمية بالتحديد، تستجيب فعلا لتوقعات وانشغالات الحكامة الجديدة.

كل ما يتعلق بالحقوق
والإجراءات الإدارية متوفر
في المواقع الإلكترونية

الموقع الالكتروني، أداة بسيطة وقوية متاحة لكل مواطن

الابتكار هو أيضًا التغيير المشترك، سواء من قبل الإدارة أو من قبل المواطنين، وهو ما يتطلب مجهودات بيداغوجية. فقد تمكنت السلطات العمومية من تغيير طريقة تفكيرها، من أجل تطبيق نموذج جديد للحكامة، الذي يعتمد على ثقافة عمل، مرنة وجريئة ومتعاونة.

المواطن مطالب بمعرفة الوثائق التي يحق له الحصول عليها، بالموقع الالكتروني الموضوع رهن إشارته

لتحقيق ذلك، قامت عمالة إقليم بركان بمراجعة نظام عملها، حيث قامت بعملية تحديد وتحليل حاسمة، لبلورة نظام جديد أكثر فعالية. فقد أدى ذلك إلى إعادة تقييم الحاجيات، وإعادة هيكلة المصالح، وتحسين أداء الموارد البشرية وإلى إعادة النظر في أماكن العمل. وبالتالي، فقد اكتشف الموظفون مزايا العمل في فضاء عمل مفتوح، حيث التواصل أسهل وسلس، مما يشجع على بروز الأفكار، التي تعزز روح وثقافة الشراكة. كما خضع حوالي 200 موظف لتقييم كفاءاتهم وشخصياتهم، مما أدى إلى معرفة أدق لكل فرد، وللدور الذي يقوم به. فتم تصحيح بعض الغموض الهيكلي، وبعض الاختلالات. نجم عن تلك الخريطة البشرية، هيكلًا تنظيميًا جديدًا، تم نشره على نطاق واسع، بحيث أمكن من تحفيز وترقية الموظفين.

وتم أيضا توظيف أطر جديدة -مطورين للحلول الرقمية، مهندسين، تقنيين، ومبرمجين، منحت لهم كافة الصلاحيات لتطوير برامج وتطبيقات الحكامة. كما استفاد الموظفون من دورات تكوينية في الرقمنة لمواكبة التوجهات الجديدة للارتقاء بهذا المرفق العمومي وتحسين المردودية والرفع من جودة الخدمات. وقد قام قطب الذكاء الترابي وقسم الحكامة الترابية الرقمية المندمجة، بتطوير حوكمة وتدبير 4.0، أشاد بها المرتفقون.

لقد داع صيت بركان "مدينة ذكية" على صعيد كافة التراب الوطني وعلى المستوى الدولي، ويثير طموحها الإعجاب !

الخرائطية، أداة حاسمة لتشخيص المجال الترابي

يستلزم تطوير حلول ذكية، تشخيص المناطق، وإنجاز خرائط لإبراز نقط قوة وضعف المواقع، وتحديد الفئات المعنية وحاجياتها. وقد ساعدت البيانات المجمعة، في توجيه أو إعادة توجيه التدخلات والاستثمارات، سواء على مستوى التهيئة أو على مستوى البنيات تحتية، وحتى السياسة الحضرية، والاستراتيجيات الاقتصادية والاجتماعية...

ساهم هذا التقييم المرجعي المحلل والمرقم أيضا، في تحديد أفضل منهجية، لتشجيع تبني الممارسات الرقمية المستدامة.

كما أن « نظام المعلومات الجغرافي المندمج » مكن مهندسي العمالة من تطوير حلول ذكية لتدبير المجال الحضري : جمع النفايات، الشبكة الكهربائية، الطرق، حركة المرور ووضعية أوراش البناء... فالحلول الرقمية هي أفضل وأنجع أداة للتسيير الترابي مرفوقا طبعًا، بأمن فعال للمعلومات الالكترونية قصد حماية البيانات المتوفرة.

المملكة المغربية
وزارة الداخلية
عمالة اقليم
برکان
PROVINCE
DE BERKANE

مقر عمالة
إقليم بركان

المواطنون في غمرة الذكاء

إن رهـان الـذكاء الرقمـي في جوهـره جماعـي؛ لـم يكـن تحقيقـه ممكنـا دون مشـاركة المواطنـين، الذيـن أدمجـوا مـن البدايـة حـتى النهايـة، في خلـق وتفعيـل هـذه الإدارة 4.0 : « الإدارة، يجـب أن تكـون صديقـة للمواطـن »، يقـول عامـل إقليـم بـركان. لقـد سـاد جـو مـن الثقـة، وميثـاق أخـلاقي حـدد مـن جديـد قواعـد الحـوار : جعـل المواطـن مخاطبـا لـلإدارة، في حـوار متـوازن، يسـمح بالتبـادل العـادل. باحـترام المواطـن، فإنـه بـدوره يحـترم الإدارة.

إن اسـتطلاعات الـرأي تشـهد بذلـك : سياسـة 4.0 الـتي تـم اعتمادهـا مـن طـرف مصالـح العمالـة، في أول ملحقـة إداريـة رقميـة، فريـدة مـن نوعهـا بالمملكـة، والـتي تـم افتتاحهـا في 2021 بمناسـبة عيـد العـرش، تحقـق نجاحًـا كبـيرًا.

استحسـن المواطنون-المسـتخدمون المسـار الإداري الجديـد، الـذي يبسـط الإجـراءات، فـور عبـور بـاب المؤسسـة. يمكـن لأي مرتفـق الاطـلاع، عـبر بوابـة إلكترونيـة، عـلى جميـع الخدمـات الإداريـة المتاحـة، والمسـتندات المطلوبـة للحصـول عـلى الخدمـة المرجـوة. تدعـوه الإدارة لفتـح حسـابه الإداري الرقمـي، الـذي يسـجل تاريـخ الإجـراءات الـتي أنجـزت، بحيـث لا حاجـة بعـد ذلـك، لتقديـم جميـع المعلومـات اللازمـة، للحصـول عـلى وثائـق جديـدة، إذ أن جـزءا منهـا مخـزن لديـه ولـدى الإدارة.

بالنسـبة للأشـخاص الأميـين أو الذيـن يواجهـون صعوبـة في التعامـل مـع الأدوات الرقميـة، خصصـت الإدارة موظفـين، لمسـاعدتهم ومرافقتهـم لاسـتكمال إجراءاتهـم الإداريـة. قامـت عمالـة إقليـم بـركان وجمعيـة التنميـة الرقميـة، بوضـع برامـج دعـم، لمواكبـة مسـتخدمي الرقمنـة الجـدد.

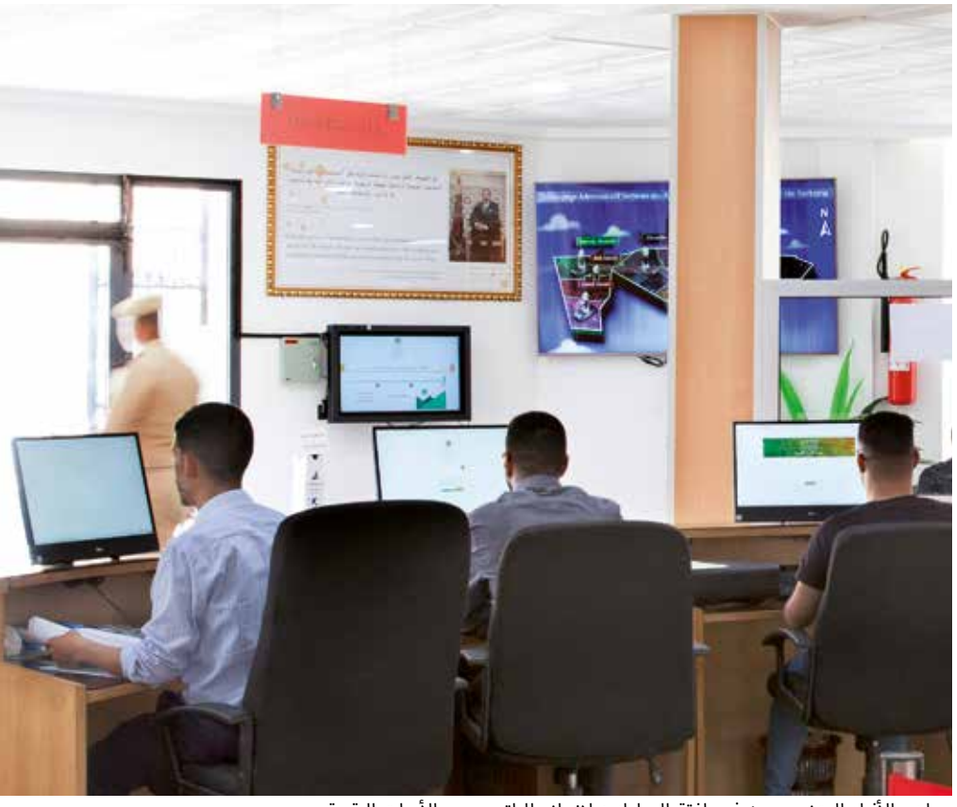

يساهم الأفراد المتخصصون في مرافقة المواطنين لإنجاز طلباتهم، عبر الأدوات الرقمية، في تقليص طوابير الانتظار، كما كان عليه الحال في السابق

لـم يعـد المرتفـق بحاجـة لانتظـار عـون السـلطة، المقـدم مثـلا، لطلـب وثيقـة إداريـة، وإنمـا أصبـح الأمـر يتطلـب إرسـال الطلـب مباشـرة عـبر تطبيـق خـاص، ليتلقـى بعـد ذلـك، إخبـار بالقبـول أو الرفـض المعلـل. وحينمـا تكـون الوثيقـة جاهـزة، يتلقـى المعـني بالأمـر رسـالة نصيـة قصـد التنقـل لاسـتيلامها.

أعوان السلطة 4.0

في حوكمة 4.0، اكتسب المقدم بعدًا جديدًا. ذلك أنه بدون تدخل عون السلطة، الذي يعد أحد ركائز الإدارة الترابية، لا يمكن الحصول على معظم الوثائق الإدارية الشخصية أو العائلية، أو العقارية، دون بحثه. غير ان رقمنة الخدمات المقدمة للمواطنين، طورت المساطر التقليدية للإداريين، خصوصًا المقدمين.
لم يعد المواطن مجبر على التنقل عندهم. فكل أعوان السلطة ببركان، منحت لهم لوحات إلكترونية لمعالجة الطلبات والقضايا المتعلقة باختصاصاتهم : تقديم الوثائق الإدارية بسلاسة، التحقق من التراخيص، الإشراف على أورش البناء... أصبح المقدم الآن جزءًا جديدًا من الحداثة الحضرية. تؤدي رقمنة الخدمات الإدارية إلى الشفافية، متابعة القرارات وتتبعها، وتحديث المعلومات بشكل دائم وفوري.

الدمج الرقمي للجميع

تعتبر بركان نموذجًا للحكامة 4.0. فبرنامج تطوير استخدام تقنيات المعلومات والاتصال في مجال التعليم، ينشر الثقافة الرقمية الجديدة. ذلك أن جميع المؤسسات التعليمية المزودة بالإنترنت أدمجت في البرامج الدراسية. الهدف هو المشاركة الفعالة للمواطنين في الاقتصاد، وفي مجتمع المعرفة، الذي يتم بناؤه في الإقليم.
بالإضافة إلى مختبرات الابتكار وإنتاج الموارد الرقمية، وتجهيز المؤسسات بقاعات وحقائب متعددة الوسائط، تم التركيز على تكوين المدرسين والتدريب. يتم دعم التعليم وتقييم المكتسبات في جميع المؤسسات العمومية. لقد تمكن النموذج التعليمي الذي يعتمد على التنوع والانفتاح والابتكار، من أن يؤتي ثماره : تعليم الأمازيغية والفرنسية والإنجليزية، المسارات الدولية والمهنية، التبادل اللغوي... إذ أن إغناء العرض المدرسي يعمل على تحسين جودة التعليم. من جهة أخرى، فالتعليم الخاص شريك للقطاع العام في الإدماج والعدالة ؛ لكن الانخراط في هذه المؤسسات لا زال محدودا، خصوصًا في المناطق القروية وضواحي المدن وبالأحياء ناقصة التجهيز.

طائرات بدون طيار لذكاء الأراضي

إن المعلومات أساسية بالنسبة للمجالات الذكية، لكي تصبح من الفاعلين الرئيسيين في التنمية الاقتصادية، ولتحقيق الانتقال البيئي، و لتحسين جودة الحياة للسكان، بكلفة معقولة. تستخدم عمالة إقليم بركان منذ 2017، طائرات بدون طيار لعدة مهام الصالح العام. إذ توفر هذه الأجهزة المتطورة المعلومات الفورية، وبكميات كبيرة.

فهـي تسـاهم في مراقبـة المجـالات، مـن أجـل تسـهيل حركـة المـرور والتنبـؤ بالمخاطـر (حرائـق، عواصـف...) كمـا تقـدم معطيـات جويـة وبيئيـة مهمـة. كمـا أن عملهـا أساسي في مراقبـة جمـع النفايـات، والأحـداث العامـة. خـلال الأزمـة الصحيـة لكوفيـد19- والحجـر الصحـي، اسـتعملت لنـشر التوجيهـات الحكوميـة، وتحديـد أماكـن الحـالات المحظـورة أو المعزولـة.

بمـا أنهـا مجهـزة بمكـبرات الصـوت وبكاميـرات، فهـي أدوات اتصـال فريـدة وفعالـة. تسـتخدم غالبًـا مـا بمسـاعدة فعاليـات المجتمـع المـدني.

مـدن ومجـالات ترابيـة نظيفـة

تظهـر نظافـة بـركان ابتـداء مـن مداخلهـا، وهـي ميـزة تضيـف لهـا جماليـة خاصـة. بـدأ هـذا التحكـم بنظافـة الفضـاءات، بعـد دراسـة مقارنـة لأفضـل الممارسـات المعمـول بهـا في مـدن أخـرى.

أثبتـت الصيغـة الـتي تـم تطويرهـا في بـركان جدواهـا، وظهـرت نجاعتهـا للمدينـة وللجماعـات المجـاورة : فكلفـت شركـة « مرافـق بـركان » بالعديـد مـن الخدمـات الحضريـة، وهـي شركـة تنميـة محليـة، تأسسـت في 2018، تسـاهم فيهـا الجماعـات الترابيـة السـتة عـشر بالإقليـم. ومـن بـين المهـام المنوطـة بهـا، نجـد :

- تنظيـف الطـرق، جمـع النفايـات المنزليـة والأزبـال ونقلهـا المطـرح العمومـي ومعالجتهـا وتثمينهـا ؛
- النقل العمومي داخل المدينة، والمحطة الطرقية ومواقف السيارات ؛
- الأسـواق، أسـواق السـمك، المجـازر، أسـواق الجملـة والقـرب، وكذلـك المحـلات التجاريـة ؛
- ملاعب القرب ومختلف المراكز الرياضية ؛
- في المدينـة : الإنـارة العموميـة، المسـاحات الخـضراء، الحدائـق، الـصرف الصحـي ومختلـف ممتلـكات الجماعـات الترابيـة.

للقيـام بمهامهـا، تعتمـد شركـة مرافـق بـركان عـلى التطبيقـات الرقميـة الذكيـة، الـتي وضعهـا مهندسـو العمالـة. تنقـل الطائـرات بـدون طيـار مجريـات الأحـداث فوريـا، خصوصًـا الاختـلالات المحتملـة، ممـا يسـمح بتصحيحهـا بـدون تأخـير.

إن هـذه التجربـة الفريـدة مـن نوعهـا في المغـرب، تحـل العديـد مـن المشـاكل وترشِّـد النفقـات. فبالمقارنـة مـع التدبـير المفـوض، انخفضـت تكلفـة جمْـع النفايـات المنزليـة، بنسـبة تقـترب مـن الثلـث.

نحو « مدينة بركان الذكية »

مجـال بـركان هـي شركـة تنميـة محليـة أخـرى، تسـاهم فيهـا كل الجماعـات الترابيـة للإقليـم. فهـي تتوفـر عـلى أبـرز وسـائل الابتـكار المسـتوحاة مـن أعـلى المعايـير الدوليـة. لقـد كان إنشـاؤها، خطـوة حاسـمة نحـو تنظيـم « مدينـة بـركان الذكيـة ». « مجـال بـركان، هـو الأداة المؤسسـاتية الوحيـدة المخصصـة للابتـكار والـذكاء الـترابي المتـاح للمجتمعـات المحليـة، في جميـع أنحـاء العالـم العـربي، وعـلى مسـتوى القـارة الأفريقيـة كلهـا ».

فبمصاحبـة الفاعلـين الاقتصاديـين في التنميـة بمختلـف أنواعهـا، (شركات ناشـئة، مؤسسـات وشركات)، يتيـح مجـال بـركان لهـم الاسـتجابة، بطـرق مبتكـرة، لتحدياتهـم في مجـالات عملهـم. بتناسـق مـع صلاحياتهـا، تشـمل مهـام مجـال بـركان، الابتـكار الـترابي، الـذكاء الاقتصـادي، التسـويق الـترابي، تيسـير الاسـتثمار وإنجـاز المشـاريع، بالإضافـة إلى العديـد مـن الخدمـات التقنيـة.

« مجمع مجال للذكاء والابتكار الترابي »، منظومة رقمية بشركات ناشئة مبتكرة

في مـارس 2022، تـم إطـلاق « مجمـع مجـال للـذكاء والابتـكار الـترابي » بمدينـة بـركان، ويتألـف مـن مركزيـن : « مركـز بـركان الرقمـي للابتـكار ومركـز الإحتضـان والابتـكار الصناعـي».

واجهـة مجـمع مجـال للـذكاء والإبتـكار الـترابي

تم افتتاح مركز بركان الرقمي للابتكار أو ما يعرف بمختبر التصنيع، خلال المنتدى الثاني للمجتمع الرقمي. لقد أنشئ بواسطة جمعية التنمية الرقمية، وتم تمويله من قبل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بشراكة مع وكالة تنمية جهة الشرق. يقع في مباني صناعية قديمة تم إصلاحها، وأنجز ضمن اتفاقية مبرمة مع الجامعة الدولية بالرباط، وتم ربطه بشبكة عالمية من المختبرات المحلية. فهي معتمدة من طرف معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ومخصصة حصريا للابتكار. يمتلك الشباب في هذا المكان الذي يعج بالأفكار، أدوات تكنولوجية بأعلى مستوى، لتطوير مشاريعهم وإنجاز النموذج الأولي، إذ تتوفر على طابعة ثلاثية الأبعاد، وآلات قطع عالية الدقة. فهو فضاء يشجع على التبادل والتعاون والتكوين. بمثابة تكنوبارك، يقدم للمستثمرين والطلاب، موارد مشتركة، وخدمات مصممة خصيصًا، وجاهزة للاستعمال.

يستفيد المستخدم من الخدمات ومن تبادل الأراء داخل هذا المركز، ويقدم بالمقابل إبداعاته للمجموعة ويشارك في حسن سير العمل به.، فتتداول الأفكار في هذا الملتقى، تنتقل وتتعارض. تنشأ عن امتزاج هذه المهارات، مبادرات فريدة، وتقدم تكنولوجي، تعتزم عمالة إقليم بركان استغلالها بنجاعة.

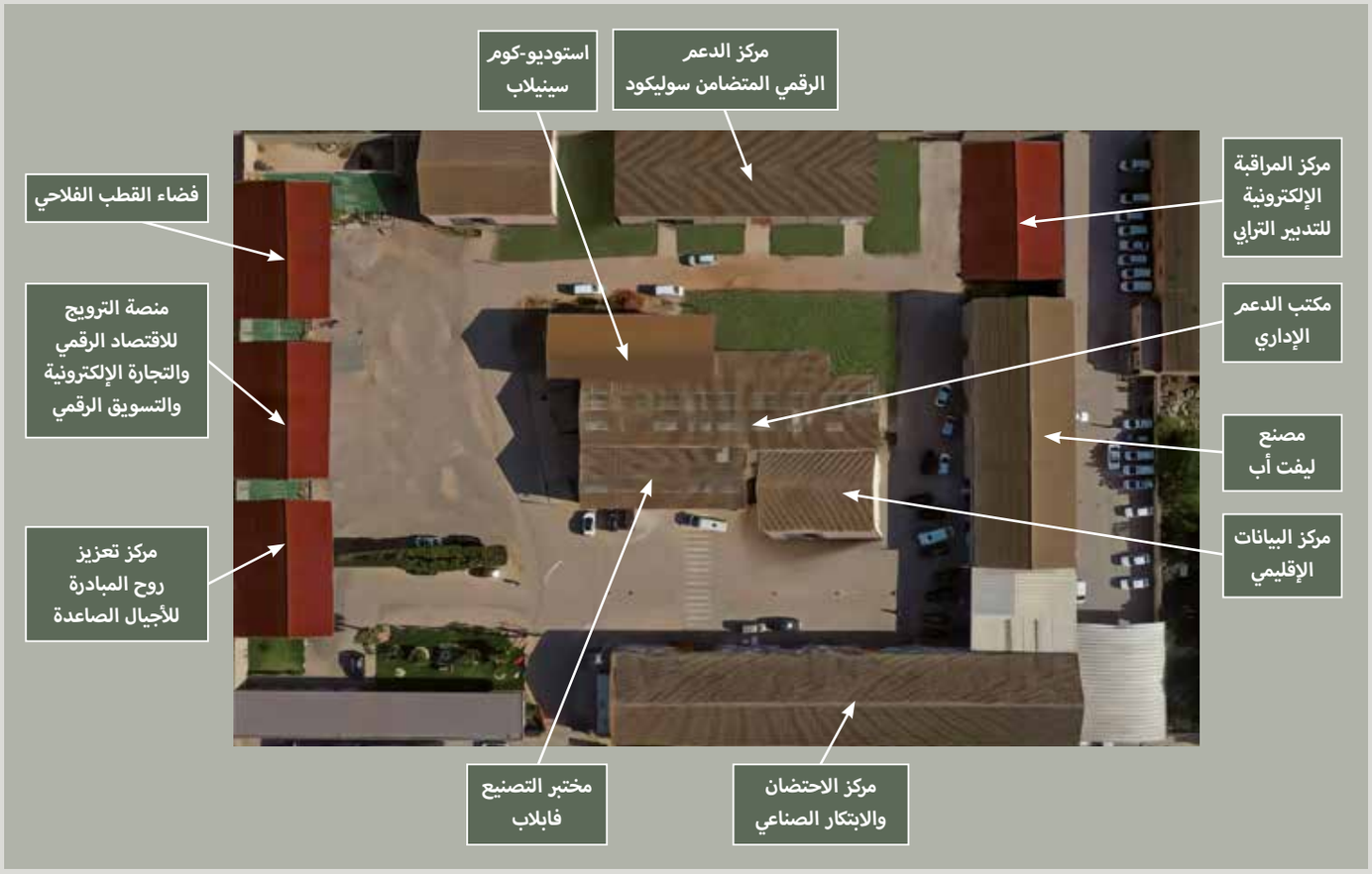

تم تجهيز مركز بركان الرقمي للابتكار ومركز الإحتضان والابتكار الصناعي في المباني الصناعية القديمة التي تم إصلاحها، وتزويدها بجميع المعدات اللازمة

DOUAR ZID
DREMEL
DC POWER SUPPLY

F A B
L A B
مركز الإبداع الرقمي بركان
Berkane Digital Innovation Center

تعتـبر هـذه المنصـة التكنولوجيـة نموذجًـا، في المغـرب وللعديـد مـن الجماعـات الترابيـة في قارتنـا. فـإن كانـت مهمـة مركـز الاحتضـان والابتـكار الصناعـي، هـي مرافقـة الـشركات الناشـئة، فهـو يهـدف إلى تحسـين أسـاليب عملهـم، ودعـم اندماجهـم الاقتصـادي. يقـترح المركـز كذلـك، حلـولا لمرافقـة حامـلي المشـاريع مـن البدايـة إلى النهايـة، بغـض النظـر عن الهيـكل القانـوني المُزمـع (شركـة، تعاونية...). ويضـم أيضًـا فضـاءات للحـوار والتشـاور.

إن تعهـد مصالـح العمالـة بالمجـالات التكنولوجيـة الجديـدة يحفـز الشـباب، ويدفعهـم إلى الابتـكار في المجـال الرقمـي. لـذا تُنظـم « هاكاثونـات » (أو مسـابقات الإبتـكار) بانتظـام، لإبـراز الأفـكار في مجـالات متنوعـة : التعليـم، الصحـة، البيئـة، الاتصـال الرقمـي، الأمـن، السـلامة... يحظـى الشـباب، الذيـن اختـيرت مشـاريعهم مـن قبـل لجنـة مـن الأكاديميـين والمقاولـين، بالخدمـات الـتي توفرهـا هيـاكل مركـز بـركان الرقمي للابتـكار، لدعـم الروابـط الاجتماعيـة ولإثارة طمـوح المبتكريـن. شـعار هـذه الأماكـن هـو « قـم بذلـك مـع الآخريـن ». فأصحـاب الأفـكار الجديـدة مـع المركـز ، لا يشـتغلون لوحدهـم؛ بـل يسـتفيدون مـن المسـاعدة، ودعـم خـبراء، ومـن معـدات عاليـة الجـودة. و الجديـر بالذكـر، أن مغاربـة الخـارج يشـاركون في مسلسـل دعـم المواهـب. ظفـرت بـركان، في المنتـدى الثـاني للمجتمـع الرقمـي، بجائـزة مـن بـين حـوالي 150 مجموعـة، مـن العديـد مـن مـدن المغرب. تسـتثمر الجماعـة الترابيـة في هـذه « المختـبرات للأفـكار »، وتهـدف إلى الاسـتفادة منهـا، وتطويـر ربحيتهـا. سـتتمكن مـن اسـتغلال جميـع التطبيقـات الـتي طـورت في هـذه المراكـز الرقميـة، الـتي ستسـاهم في تحفـيز الديناميـات الاقتصاديـة المحليـة، وسـتعزز الشـعور بالفخـر والانتمـاء لـبركان.

معدات حديثة عالية الدقة

النظام البيئي الرقمي والتطوير البيئي

أثبتت عمالة إقليم بركان ريادتها في مجال الابتكار والحكامة الرقمية. فخدماتها الرقمية فعالة للغاية.
تتجسد الرؤية الشاملة للتطوير الرقمي، على مستوى جماعة بركان في برنامج « بيكيست »، والذي يشتمل على ستة محاور استراتيجية. فقد يعجل « مجال بركان » وثيرة التحول الرقمي الذي يقوده هذا البرنامج.

(المصدر : عمالة إقليم بركان)

بفضل دعم المجتمع المدني والسلطات العمومية، تنشط الحياة المحلية بالمنتديات واللقاءات، حول موضوعات مثل : « المجتمع الرقمي والاقتصاد الأخضر »، « الذكاء الصناعي وزراعة الشرائح الإلكترونية »، « المدينة الشاملة : أي نموذج للمغرب ؟ »، « المدن الذكية والابتكار »... تعرف هذه التظاهرات نجاحًا كبيرًا.
لقد تمكنت عمالة إقليم بركان إذًا، من تحقيق التحول الرقمي نحو تدبير ترابي رقمي، يديرها بالكامل موظفوها.

كلمة شكر

نتوجه بالشكر الجزيل لكل من يساهم في تنمية جهة الشرق :

السيد والي جهة الشرق،
السيد رئيس مجلس جهة الشرق.

نتوجه بشكرنا الخاص إلى :

السيد محمد علي حبوها، عامل إقليم بركان،
السيد محمد جلول، رئيس المجلس الإقليمي لبركان،
السيد محمد إبراهيمي، رئيس جماعة بركان،
الدكتور مولاي منير القادري بودشيش، رئيس مؤسسة الملتقى.

نتوجه بالشكر أيضا لجميع الأشخاص وفعاليات المجتمع المدني والمتدخلين، كخبراء أو شهود :

السيد المدير الإقليمي للسياحة،
السيد المدير العام لقطب البحث والتنمية ومراقبة الجودة في القطب الفلاحي الصناعي ببركان
السيد رئيس جمعية دار العائلة القروية بني يزناسن
السيد رئيس جمعية الإنسان والبيئة
أطر المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لملوية من جامعة محمد الأول بوجدة :
ذ. عبد الإله عونانة ، ذ. جمال الدين السراج،
السيد خالد لمبورد

نتقدم أيضًا بالشكر الخالص لأطر وكالة تنمية جهة الشرق، وللسلطات المحلية والمصالح المعنية بعمالة إقليم بركان.

ISBN : 978-9920-8790-8-8
Dépôt Légal : 2023MO4203
978-9920-8790-8-8

Editions Hammouch

وكالة جهة الشرق